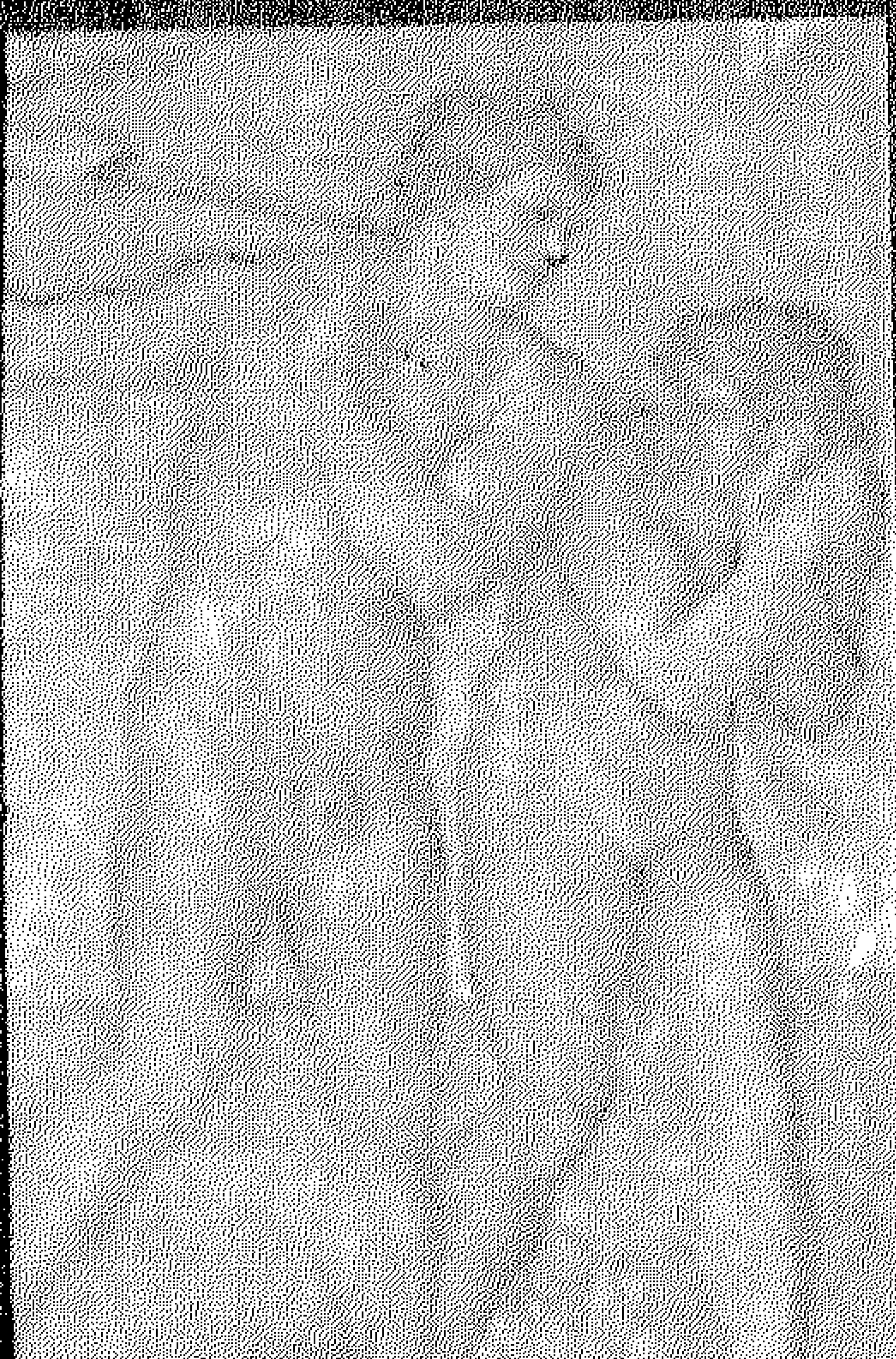


فنون الغرب

في العصور الوسطى والنهضة والباروك

نعمت إسماعيل علام







دار المعارف بمصر

هذا الكتاب

يبحث هذا الكتاب فى تاريخ الفنون التشكيلية فى الغرب من عام ١٠٠٠ حتى نشوب الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ ، ويقدم الكتاب دراسات تاريخية مختصرة للفنون التشكيلية : (العمارة – النحت – التصوير) فى تلك الفترة ، ويتنـاول الحركات الفنية المختلفة التى ازدهرت فى أوربا فى تسلسل تاريخى منتظم . فتستعرض المؤلفـــة الفنـــون المسيحية الرومانسكية والقوطيـــة فى عصرى النهضة المبكر والذهبى فى إيطاليا وبلاد الشمال ، ثم الحركات الفنية التى تلت تلك العصور العظيمة ، النهجية ، الباروك والركوكو الذى انتشر فى فرنسا قبل اندلاع الثورة الفرنسية .

ويضم الكتاب مائتى صورة باللون الأسود والأبيض وست عشرة لوحة ملونة لأعمال بعض المشاهير مصورى الغرب الذين ساهموا فى إثراء تلك الحركات الفنية . ويلاحظ أن كل صورة منها صاحبها النص المتعلق بها حتى يسهل على القارئ تتبع المعلومات التى ذخر بها الكتاب .

وهذا كتاب يساهم فى إثراء المكتبة العربية فى مجال تاريخ الفنون التشكيلية فى العالم .



فنون الغرب

في العصور الوسطى والنهضة والباروك

نعمت إسماعيل علام

فنون الغرب

في العصور الوسطى والنهضة والباروك



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة . ج . م . ع .

إهداء

إلى ذكرى والدتي
وإلى أسرتي

نصر إسماعيل

الفهــرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تقديم

كان التراث الأول الذى يمكن أن يتجه إليه الباحثون فى دراسة تاريخ الفنون هو منطقة الشرق الأوسط . وذلك لأن ازدهار الفنون التشكيلية كان قاصراً على بلاد هذه المنطقة حتى القرن الخامس قبل الميلاد .

إلا أن شعلة فنون الحضارات الأولى التى نمت فى مصر وبلاد النهرين وأرسلت ظلها الوارف إلى أنحاء الشرق الأوسط القديم لم تلبث أن خبا ضوءها بعد أن أسدلت المسيحية ستارها على العقائد الدينية القديمة .

وبينما كان التزاوج بين الطرز القومية القديمة والدين الإسلامى الذى ساد أنحاء الشرق الأوسط القديم ، باعثاً على عودة الحياة إلى فنون بلاد هذه المنطقة بشكل جديد فى العصور الوسطى ، نجد أن المسيحية التى سادت فى الغرب فى تلك الحقبة كانت باعثاً على خلق طراز فنى مسيحى تغير وتطور بتأثير تطور الحياة فى الغرب .

ولما كانت مكتبتنا العربية فى حاجة ماسة إلى هذا النوع من الكتب التى تبحث فى الفنون ، لذلك فكرت فى أن أقدم هذا الكتاب الذى يلقى الضوء على صفحة جديدة من صفحات الفنون التى أزدهرت فى العالم الغربى ، وذلك بعد أن تعرضنا لفنون الشرق الأوسط فى مراحله الثلاث : القديم والمسيحى والإسلامى .

كانت معظم البلاد الأوربية فى الفترة ما بين عامى ١٠٠٠ ، ١٤٠٠ واقعة تحت سيطرة السلطة الدينية المسيحية ، وظهرت آثار هذه السيطرة فى المنشآت الدينية ، الكاتدرائيات والكنائس التى تنافست البلاد على إقامتها . وعرف هذا الطراز المسيحى بطراز العصور الوسطى .

إلا أن الإنسان فى نهاية القرن الرابع عشر بدأ يتخلص من سيطرة الروح الدينية ، فاستقل بشخصيته عن الكنيسة والمجتمع وبدأ يشعر بفرديته ، وكان من نتيجة الاهتمام بالإنسانيات ظهور طراز جديد عرف باسم عصر النهضة .

وكانت التغييرات الاقتصادية والسياسية والدينية التى تمر بالمجتمع الأوروبى فى القرن السادس عشر لها أثر كبير فى عالم الفنون ، حيث ظهر فى القرن السابع عشر فى البلاد الكاثوليكية فناً مكرّساً لخدمة الدين المسيحى وإعلاء شأنه . وعرف هذا الأسلوب بالطراز الباروكى .

ولما كانت هذه التطورات يرجع الفضل فيها إلى شخصية الفنانين العظام الذين قاموا بها فى العصور المختلفة ، لذلك فضلت فى دراسة هذه الحقبات الفنية الزمنية أن أعطى اهتماماً خاصاً إلى فنانى المكان الواحد فى العصور المختلفة .

وأود أن أشير فى ختام هذه الكلمة إلى أننى قد بذلت كل الجهد فى أن يكون هذا الكتاب شاملاً بقدر المستطاع على المعلومات والصور الواضحة التى تشبع رغبة الباحث العربى فى الفنون الغربية .

وأرجو أن أكون فى عملى هذا قد أضفت إلى المكتبة العربية مزيداً من المعلومات الفنية التى نحن بحاجة إلى مثلها فى أقطارنا العربية . .

وأرجو من الله حسن التوفيق

مايو سنة ١٩٧٦ — **نعمت إسماعيل علام**

خريطة أوربا فى العصور الوسطى ، النهضة ، الباروك



نحت بارز على تاج عمود . كنيسة أتون . « الهروب إلى مصر »

الباب الأول



العصور الوسطى فى أوروبا



تمهيد :

تعرضت الإمبراطورية الرومانية الغربية المسيحية التى كان مركز حكمها إيطاليا ، إلى غزوات متكررة منذ القرن الخامس الميلادى مما أدى إلى سقوطها وتقسيمها إلى خمس دويلات . . وكان المهاجمون قبائل همجية وثنية أقل حضارة وثقافة . وبدأ العدوان بالقوط الغربيين ، ثم تلاهم قبائل الجرمان والهون والفندال والقوط الشرقيون ، ومن بعدهم اللومبارد الذين تمكنوا من الاستيلاء على رافينا فى عام ٧٥١ م .

إلا أن هذه القبائل غير المتحضرة الوثنية سرعان ما استجابت إلى الدين المسيحى ، وانتشرت العقيدة المسيحية فى الشمال منذ أواخر القرن السادس . . وكان أول المؤمنين القبائل التى استقرت فيما يعرف بأرض الإنجليز (ENGLAND) ، ثم جيرانهم الإرلنديون الذين ظهر من بينهم مبشرون يدعون للدين المسيحى ، وانتشر الدين تدريجيًا فى دول غرب أوربا ولقد اعتبر كثير من المؤرخين فيما مضى أن الفترة الزمنية الواقعة بين القرنين الخامس والخامس عشر فى أوربـا والتى عرفت باسم القرون الوسطى ، هى عصور مظلمة بالنسبة إلى إيطاليا ، وذلك لاعتقادهم بأن الألف سنة التى تفصل بين العصر الكلاسيكى القديم المزدهر وعصر النهضة الذى ازدهرت فيه الحضارة والفنون مرة ثانية هى حقبة تاريخية سادها فراغ حضارى وفنى ، ولقد وافقت هذه الفترة الوقت الذى بزغ فيه فى الشرق نور الإسلام وتكونت إمبراطورية إسلامية واسعة الأطراف تمتعت بحضارة وفنون مزدهرة استمرت خلال العصور الوسطى .

إلا أن انتشار الحركة المسيحية فى أوربـا فى تلك الفترة يجعلنا نتردد فى وصف القرون الوسطى بأنها قرون مظلمة ، وإذا كان هناك فعلاً حقبة توقفت فيها المدنية عن الازدهار فى أوربـا ، فمن الممكن حصرها فى الفترة التى اشتد فيها الصراع على السلطة بين الكنيسة الرومانية وبين اللومبارد الطامعين فى امتلاكها . . وكان ذلك من منتصف القرن السابع حتى منتصف القرن الثامن ، ولقد انتهت هذه الفترة الحرجة بفضل شرلمان ملك ألمانيا (٧٦٨ – ٨١٤) الذى تمكن من الانتصار على اللومبارد وإنقاذ روما فنصبه البابا ملكاً على اللومبارديين فى عام ٧٧٤ . وبذلك انتقل مركز الحضارة والفنون من منطقة البحر الأبيض المتوسط إلى شمال أوربا .

أسس « شرلمان » إمبراطورية كبيرة مركزها ألمانيا ، وتوجه البابا إمبراطوراً على حكام البلاد الغربية المسيحية مع احتفاظه بالسلطة الروحية على هذه البلاد . وعرفت الأسرة التى تولت الحكم بعد وفاة « شرلمان » عام ٨١٤ بالأسرة « الكارولنجية » (نسبة إلى شرلمان) إلا أن هذه الأسرة الحاكمة دب فيها الضعف بعد تقسيمها فى عصر حفيديه « شارل » حاكم فرنسا و « لويس » حاكم ألمانيا . . ولقد عرف الفن المسيحى الذى ازدهر فى تلك الفترة بالفن الكارولنجى .

أنهكت الغزوات التى قام بها أعداء جدد إمبراطورية « شرلمان » المسيحية ، وكان من نتيجة هجوم المسلمين العرب من الجهة الجنوبية والسلاف « والماجيار (سكان المجر) من الشرق وقبائل « الفيكنج » من الشمال أن انهارت الإمبراطورية فى عام ٨٨٨ وتكونت من حطامها دويلات فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا .

إلا أن أتون الأول (٩١٢ — ٩٧٣) أحد ملوك الساكسون الذى كان يحكم فى فرنسا نجح فى تكوين إمبراطورية جديدة منذ أن تمكن من السيطرة على دوقيات الغرب وعلى الأراضى اللومباردية الإيطالية ، فتوجه بابا روما إمبراطوراً على الدولة المسيحية فى عام ٩٦٢ . . وكان مركز حكم هذه الأسرة الأوتونية ألمانيا ، وأصبح الفن المسيحى منذ تلك الفترة يعرف باسم الفن « الأتونى » .

وبطبيعة الحال كان الفن الذى ساد فى الغرب من القرن الرابع حتى القرن العاشر هو الفن المسيحى الذى نشأ نتيجة لمتطلبات عقائد الدين المسيحى الجديد . . . ولقد تطور هذا الفن عبر القرون ، وطرأت عليه تغيرات محلية ارتبطت دائماً بالعقيدة المسيحية .

إلا أننا نلاحظ فى أعقاب عام ١٠٠٠ ظهور طراز فنى مسيحى جديد فى إقليم لومبارديا بشمال إيطاليا ، يختلف فى مظاهره عن الفنون المسيحية السابقة ، المبكرة ، البيزنطية ، الكارولنجية والأتونية . ولقد عرف هذا الطراز بالفن الرومانسكى . وقبل نهاية القرن الثانى عشر يظهر فى البلاد الشمالية : فرنسا وألمانيا وانجلترا ، طراز فنى مسيحى مختلف عن الطراز السابق عرف باسم الفن القوطى .

الفصل الأول

الفن الرومانسكى

١٠٠٠ – ١١٥٠

انتشر طراز الفن الرومانسكى من إقليم لومبارديا إلى معظم بلاد غرب أوربا فى وقت واحد تقريباً ، حيث صاحب سيادة المسيحية فى هذه البلاد بعد استقلال الكنيسة عن السلطة الدنيوية فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، نشاط كبير فى إقامة الكنائس .

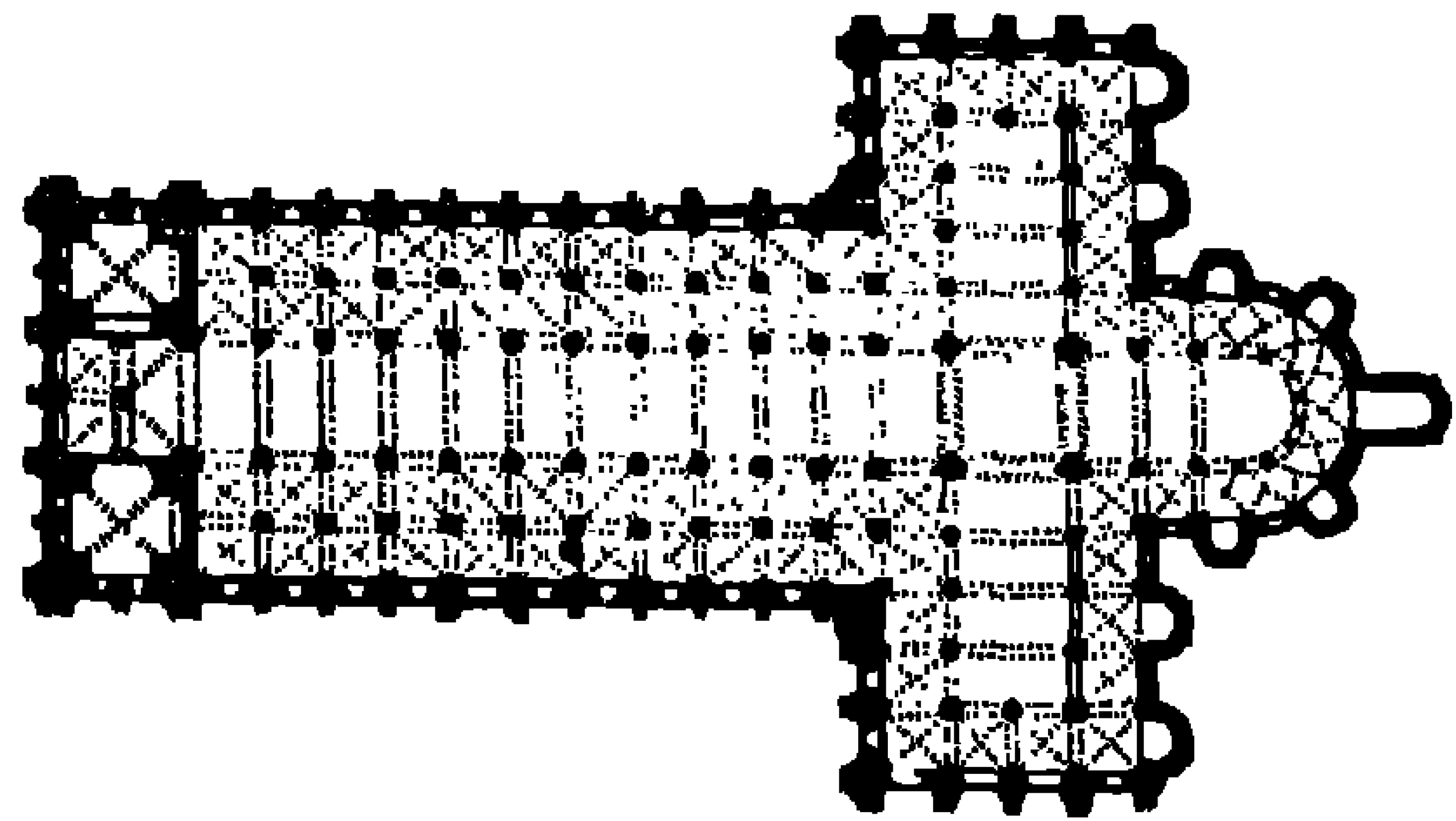
وكلمة رومانسك التى أطلقها مؤرخو الفنون على هذا الطراز الفنى ، كان الغرض منها تمييز طراز عمارة كنائس تلك الفترة التى استخدمت العقود المستديرة المعروفة فى الكنائس البازيليكية الرومانية ، عن طراز العمارة القوطية الذى ظهر فى أوربا بعد ذلك وتميز بعقود قوطية مدببة .

وبينما كان الميدان الرئيسى للفن الرومانسكى هو فن عمارة الكنائس ، نجد أن فن النحت كان مكملا لفن المعمار كما كانت الفنون الأخرى كالصناعات العاجية وأشغال المعادن وفن التصوير ، التى تخدم أيضا الأغراض المسيحية ، لها طراز يختلف عن الطرز المسيحية السابقة .

العمارة :

نشطت حركة تشييد الكنائس فى غرب أوربا نشاطاً واضحاً فى القرن الحادى عشر ولقد بدأ ظهور بشائر الطراز الجديد فى إقليم لومبارديا ، وانتقلت منه إلى مختلف المدن فى وسط وجنوب إيطاليا ، ثم زحف طراز العمارة الرومانسكى إلى بلاد العالم الكاثوليكى : ألمانيا ، بريطانيا ، أسبانيا ، وفرنسا ، وبالرغم من اشتراك كنائس هذه البلاد فى استخدام العقود المستديرة إلا أننا نلاحظ أن طراز كل قطر منها تميز بعناصر محلية مختلفة .

تميزت الكنيسة الرومانسكية بوجه عام بعمارة قوية متينة تعكس تأثير رجال الدين على الفنانين ليعبروا فى مبناهم عن متانة العقيدة المسيحية التى انتصرت وسادت فى البلدان الأوربية . .ويعتمد تخطيط الكنيسة الرومانسكية على تصميم على هيئة صليب لاتينى (رسم أ) ، ينتهى الضلع الأطول فيه بمصلى نصف دائرى ، ويرتفع عادة فى مركز تعامد .

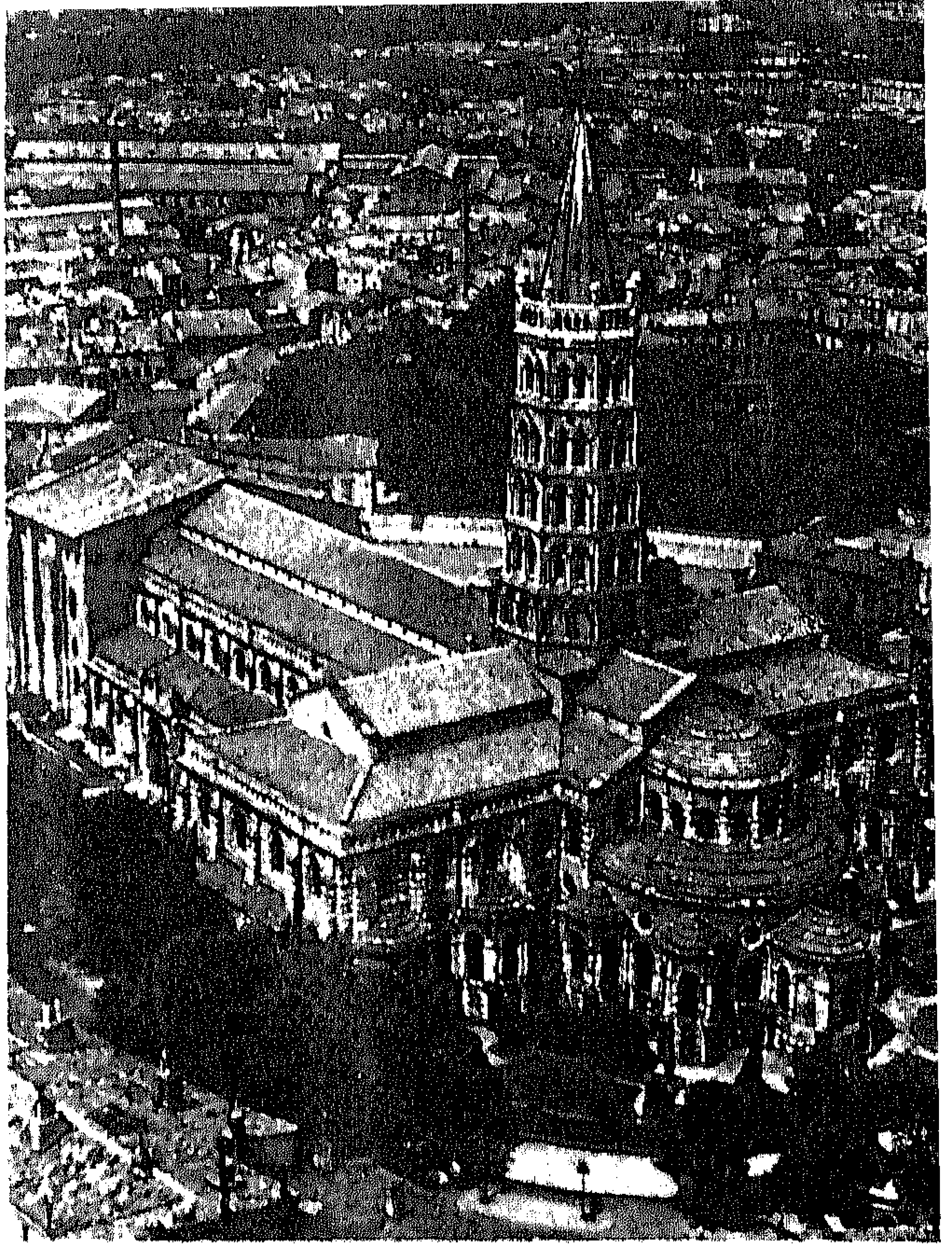


(رسم ا) تخطيط كنيسة سانت سرنان الرومانسكية ، تولوز ، ١٠٨٠ - ١١٢٠ ، فرنسا .

الضلعين برج عال . ويتضح ذلك فى كنيسة سانت سرنان (St . Sernin) بمدينة تولوز التى ترجع إلى الفترة (١٠٨٠ - ١١٢٠) (شكل ١) .

ويزخرف واجهة الكنيسة الرومانسكية عدد من العقود المستديرة التى يتوسطها عادة عقد المدخل الأكبر حجماً . . ويؤدى المدخل إلى رواق رئيسى يحده من الجانبين عقود ودعائم سميكة . وتساعد هذه الدعائم فى تخفيف الحمل على العقود الجانبية ويحف بهذه العقود من الجانبين رواقان منخفضان عن الرواق الرئيسى وتمتد فوق الرواق الرئيسى عقود على امتداد السقف من مدخل الكنيسة حتى المصلى (شكل ٢) . ويحدث هذا التكرار المنتظم تأثيراً منغماً على الداخل إلى الكنيسة . وينتقل الثقل من البواكى التى تمتد على طول الرواق الرئيسى إلى العقود الجانبية ، ولسمك الجدران الخارجية للمبنى لا توجد بها فتحات كثيرة مما يقلل من الضوء فى الكنائس الرومانسكية .

ولقد تنوع الطراز الرومانسكى فى فرنسا وظهرت منه عدة طرز محلية . ومن أجمل هذه الكنائس سانت سرنان بمدينة تولوز وكنيستى القديسة مادلين بمدينة فيزيلى (Vezealy) والقديس



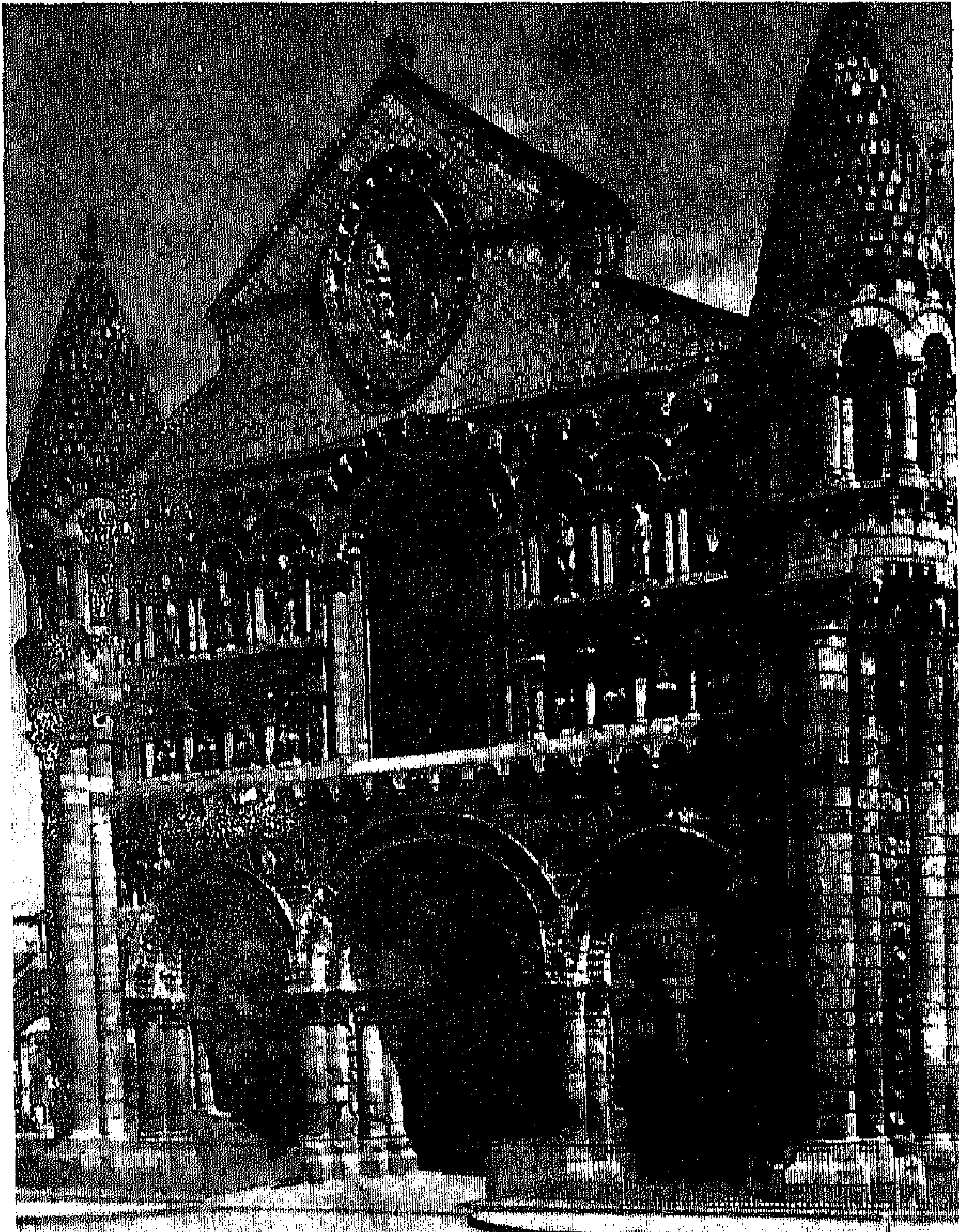
(شكل ١) كنيسة « سانت سرنان »
من الخارج ، مدينة تولوز أواخر
القرن ١١ وأوائل القرن ١٢ فرنسا .



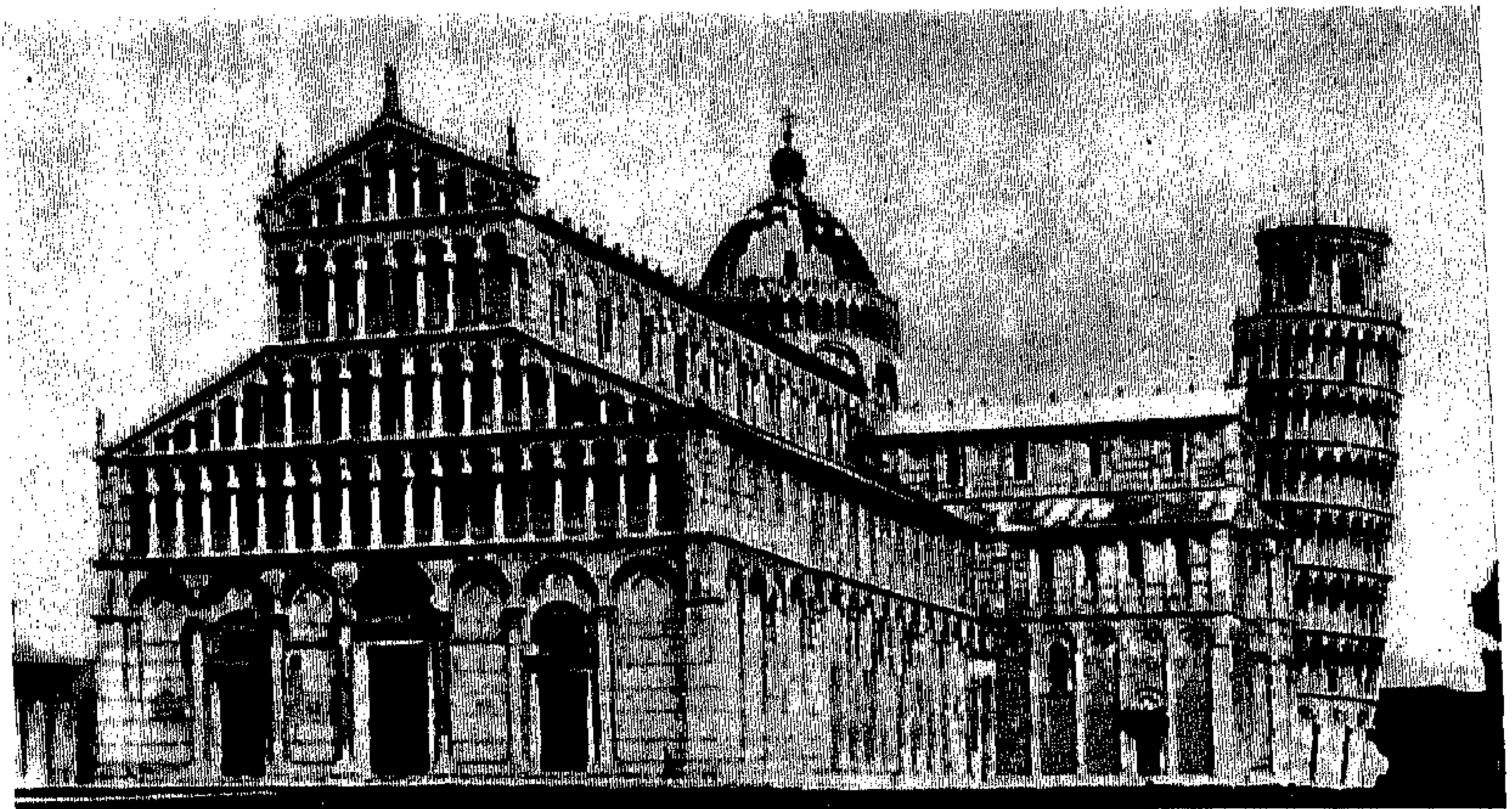
(شكل ٢) كنيسة « سانت سرنان »
من الداخل وتنتهى بالواجهة الشرقية
فرنسا .

لازاريوس (Lazarius) بمدينة أتون (Autun) بمقاطعةبرجاندى . وكنيسة سيدتنا العظيمة بمدينة بواتييه (Poitiers) (شكل ٣) .

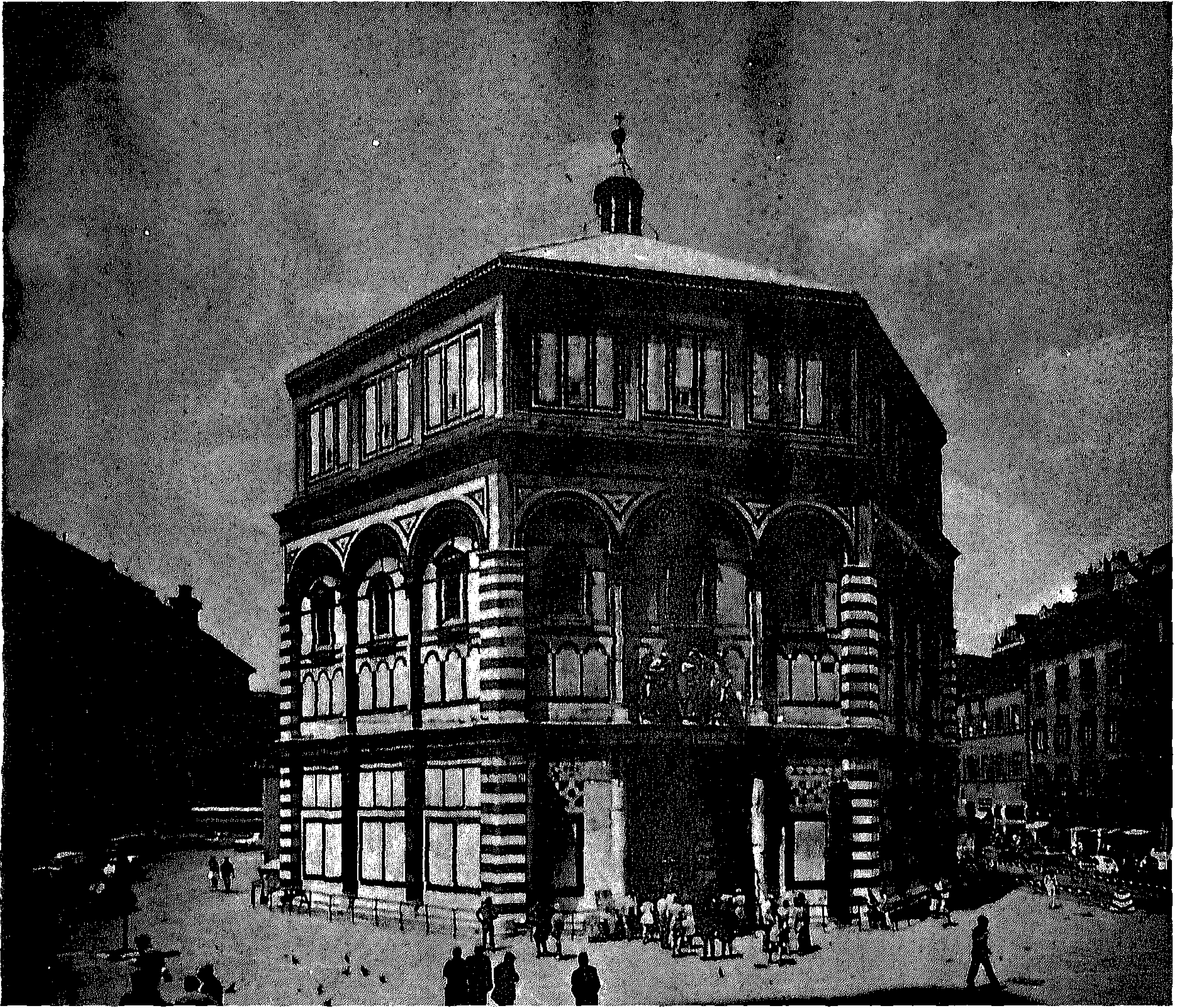
تعددت طرز الكنائس الرومانسيكية فى إيطاليا أيضاً ، وتميز منها ثلاثة طرز : الطراز اللومباردى فى الشمال « سانت امبرجيو » (St . Ambrogio) بميلانو ، الطراز التوسكانى فى الوسط كنيسة مدينة بيزا (شكل ٤) ومعمودية فلورنس (شكل ٥) ، والطراز الصقلى فى الجنوب كتدرائية سيفالو (Cefalu) .



(شكل ٣) كنيسة مدينة بواتييه ، الواجهة الغربية أوائل القرن ١٢ ، فرنسا .



(شكل ٤) كنيسة مدينة بيزا والبرج الفترة ١٠٥٣ - ١٢٧٢ ، إيطاليا .



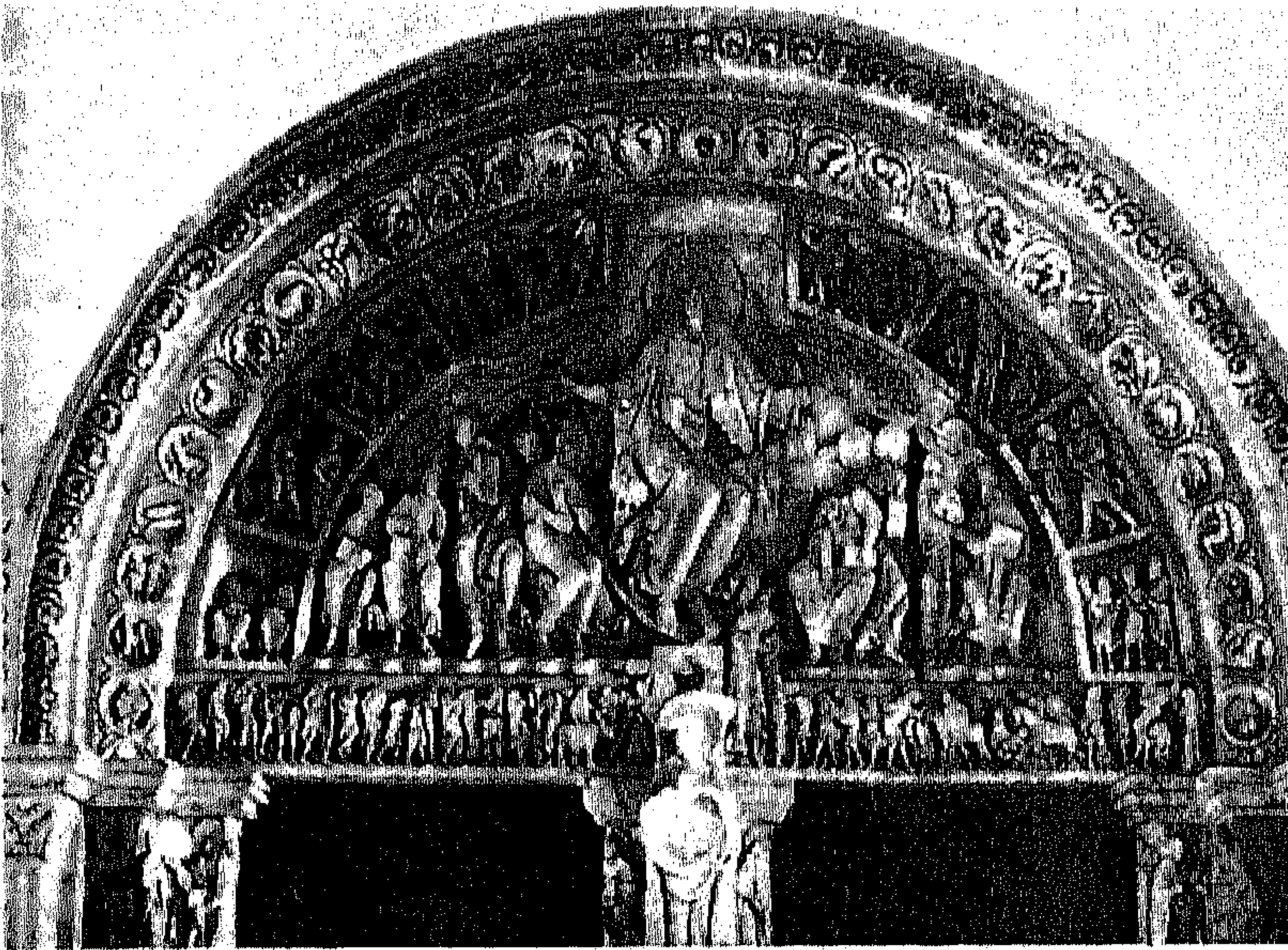
(شكل ٥) معمودية فلورنس حوالى
١٠٦٠ – ١١٥٠ ، إيطاليا .

النحت :

زخرفت واجهات الكنائس الرومانسكية بنحت بارز ، وكانت أكثر الموضوعات شيوعاً فى هذه الزخارف هى موضوعات البعث ويوم الحساب ، بالإضافة إلى بعض الشخصيات المقدسة . . ومن المرجح أن الغرض من اختيار هذه الموضوعات كان التأثير على نفوس العامة البسطاء فى تلك الفترة التى سيطرت فيها الكنيسة على الشعب . ومن أحسن الأمثلة

التى تعرض هذه الموضوعـــات واجهتا كنيستى فيزيلى (شكل ٦) وأتون ، فنرى المسيح فى الوسط منحوتاً بحجم كبير ومن حوله الحواريون .

ويتميز النحت الرومانسكى بخطوط معقدة فى التصميم وأشكال تجريدية مبسطة وكائنات ذات أشكال غريبة (شكل ٧) ، كما تظهر المبالغة فى النسب لتوضيح الانفعالات ، ومن أحسن الأمثلة التى توضح الانفعالات فى الخطوط نحت يصور النبى « أشعيا » منحوتاً على جدار كنيسة سويلاك (Swilac) التى ترجع إلى القرن الثانى عشر (شكل ٨) فنلاحظ المبالغة فى نسبة الحجم الآدمى كما تظهر العصبية والتوتر والحركة العنيفة فى جسد النبى الملتوى .



(شكل ٦) نحت بارز على واجهة كنيسة فيزيلى ١١٢٠ – ١١٣٢ ، فرنسا .



(شكل ٧) نحت بارز بكنيسة « أوتون » يوضح يوم الحساب ١١٣٠ – ١١٣٥ ، فرنسا .



(شكل ٨) نحت على جدار بكنيسة سويلاك يصور النبي أشعيا ، القرن ١٢ ، فرنسا .



(شكل ٩) تصوير جدارى فى كنيسة سانت سافان تصور موضوع قصة نوح أوائل القرن ١٢ فرنسا .

التصوير :

لم يظهر تطور كبير على تصوير المخطوطات الدينية المسيحية فى الفن الرومانسكى . كما أن فن الأفرسكو[1] Fresco الذى ظهرت منه أمثلة قليلة فى الكنائس الرومانسكية اقتصرت موضوعاته على قصص من الكتب المقدسة (شكل ٩) ولقد تميزت هذه الصور بخطوط خارجية قوية . أما فن تصوير اللوحة فلم يعرف فى تلك الفترة ، وإنما عرف فى أواخر الطراز القوطى الذى ظهر بعد ذلك .

(١) نوع من التصوير على الجدران التى تغطى بملاط من الجير المبلل ثم يرسم فوقها بألوان ممزوجة بالماء .

الفصل الثانى

الفن القوطى

١١٥٠ – ١٤٠٠

كانت الكنيسة والكتدرائية هما المركز الرئيسى للمجتمع المسيحى فى تلك الفترة ، يجتمع فيها جميع طبقات الشعب ، وكان وجودهم بها يملأ حياتهم بالبهجة .

ولقد ظهر تطور كبير فى فلسفة الدين المسيحى منذ منتصف القرن الثانى عشر ، وكان على رأس هذه النهضة الجديدة الرهبان المثقفون[1] الذين تابعوا النهضه العلمية التى ظهرت فى أوربا والتى كان هدفها نشر العلم والمعرفة . وصارت جامعات فرنسا وأكسفورد مراكز لهذا الإشعاع العلمى .

ونتيجة لهذه النهضة العلمية ازداد الاهتمام بدعم العقيدة عن طريق الاقتناع بدلاً من فرض الدين عن طريق الإكراه أو الخوف . ولقد انعكست هذه النزعة الدينية الجديدة على فن المعمار الدينى الذى صار أهم ميدان من ميادين الفن القوطى ، فظهر تغيير فى التصميم العام وفى شكل العقود والأعمدة .

العمارة :

وقع ذلك التغيير فى أول الأمر فى فرنسا حيث عارض بعض الرهبان الفرنسيين المتحمسين للنزعة الجديدة ، العقود المستديرة المستمدة من الطراز الرومانى الوثنى . وتوصل الفنانون فى تطويرهم الجديد إلى طراز مسيحى جديد أكثر رقة وأغزر ضوءاً ، وانتشر هذا الطراز بسرعة فى فرنسا .

ويعتبر الطراز القوطى أول طراز معمارى ظهر فى أوربا ، تحرر المهندسون فيه من سيطرة الطرازين الرومانى والبيزنطى سواء فى المضمون أو فى الأسلوب الفنى .

ولما كانت فرنسا فى تلك الفترة تتمتع بحكم ملكى قوى ومدن مستقلة غنية ، نجد أن

---

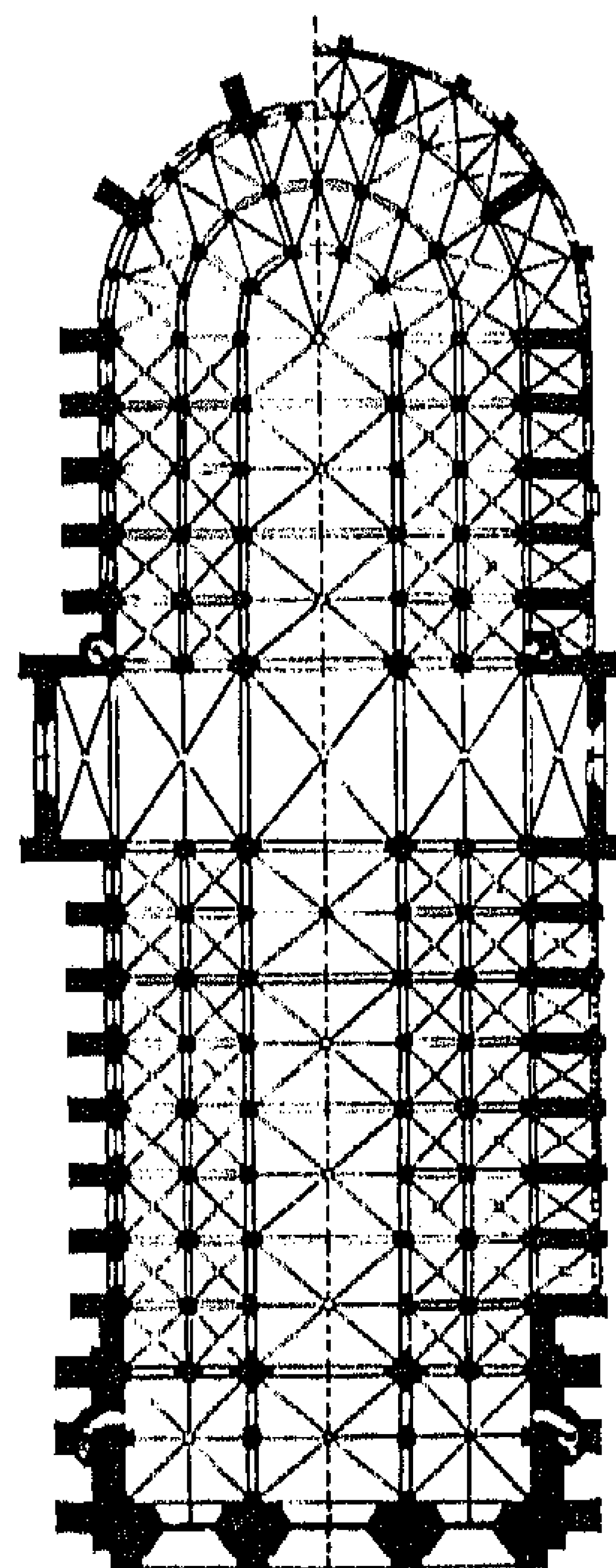
(١) كان على رأسهم الأب برنار (P . Bernard) الذى دعا إلى أن يهتم الفنانون بتوضيح العواطف والمشاعر الدينية فى الموضوعات الدينية بالإضافة إلى الصور الرمزية .

هذه المدن تنافست على تشييد الكنائس والكتدرئيات ، وبلغ فن العمارة القوطى أزهى عصره فى شمال فرنسا كما انتقلت عظمته إلى إنجلترا أيضاً ، إلا أن هذا الطراز الدولى الذى انتشر فى البلدان الأوربية كان مختلفاً عن طراز العمارة القوطية فى إيطاليا ، وذلك لأن تأثير التقاليد الرومانية كان قوياً فيها .

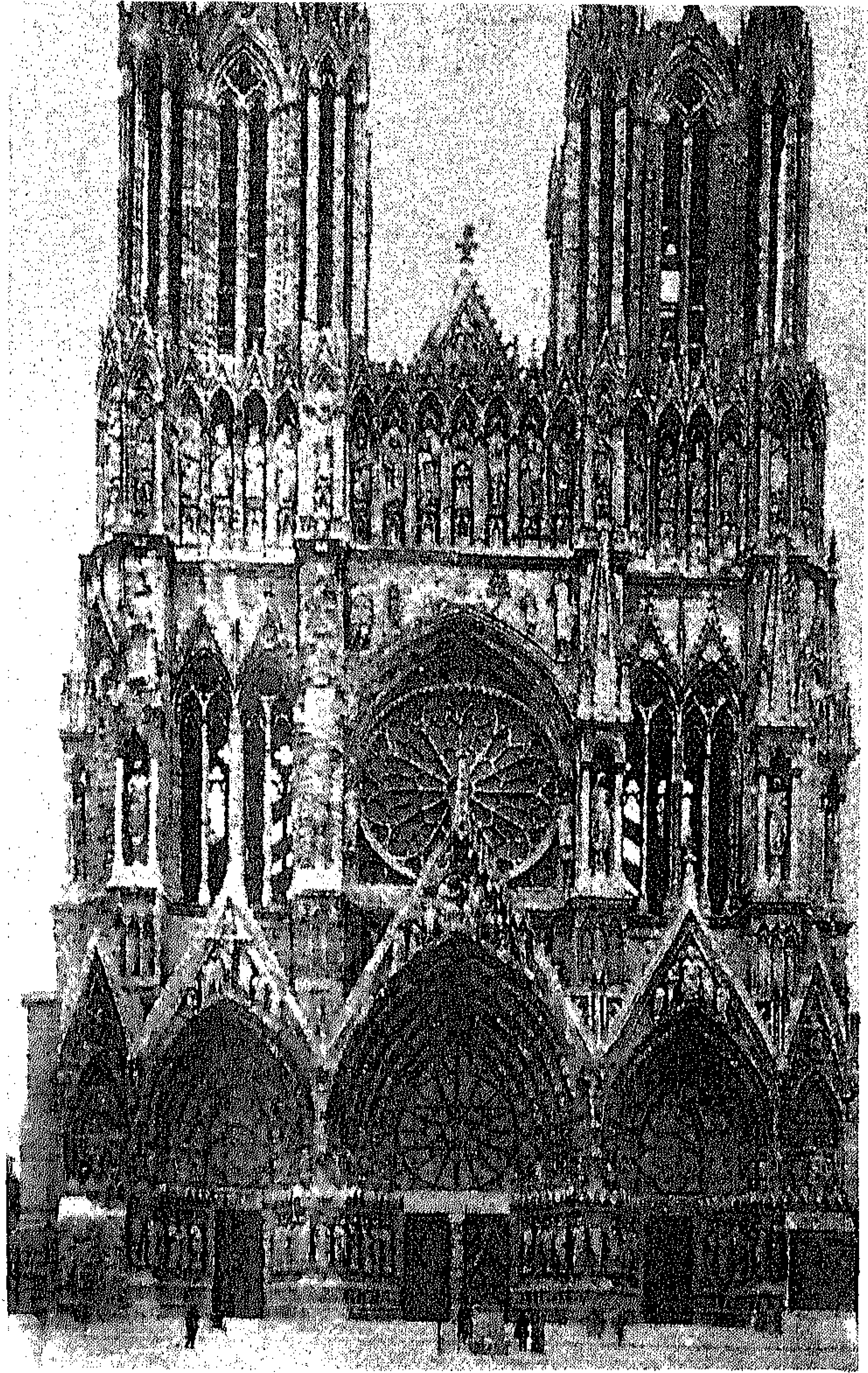
ويعتمد تخطيط الكنيسة القوطية على شكل الصليب (رسم ب) ، ويؤدى المدخل الذى يتوسط الضلع القصير إلى رواق رئيسى ينتهى بالمذبح الذى يتفرع منه عدد من المصلات . ويغطى هذا الرواق عقود مدببة متقاطعة ، وترتكز هذه العقود على أعمدة فى طابقين ، ويحف بالرواق الرئيسى رواقان منخفضان مغطيان بقبوات متقاطعة ، ويتضح ذلك فى كنيسة نوتردام بمدينة باريس (١١٦٣ - ١٢٠٠) (شكل ١٠) .

(شكل ١٠) الرواق الرئيسى ، كنيسة نوتردام ، باريس حوالى ١١٦٣ - ١٢٠٠ فرنسا .





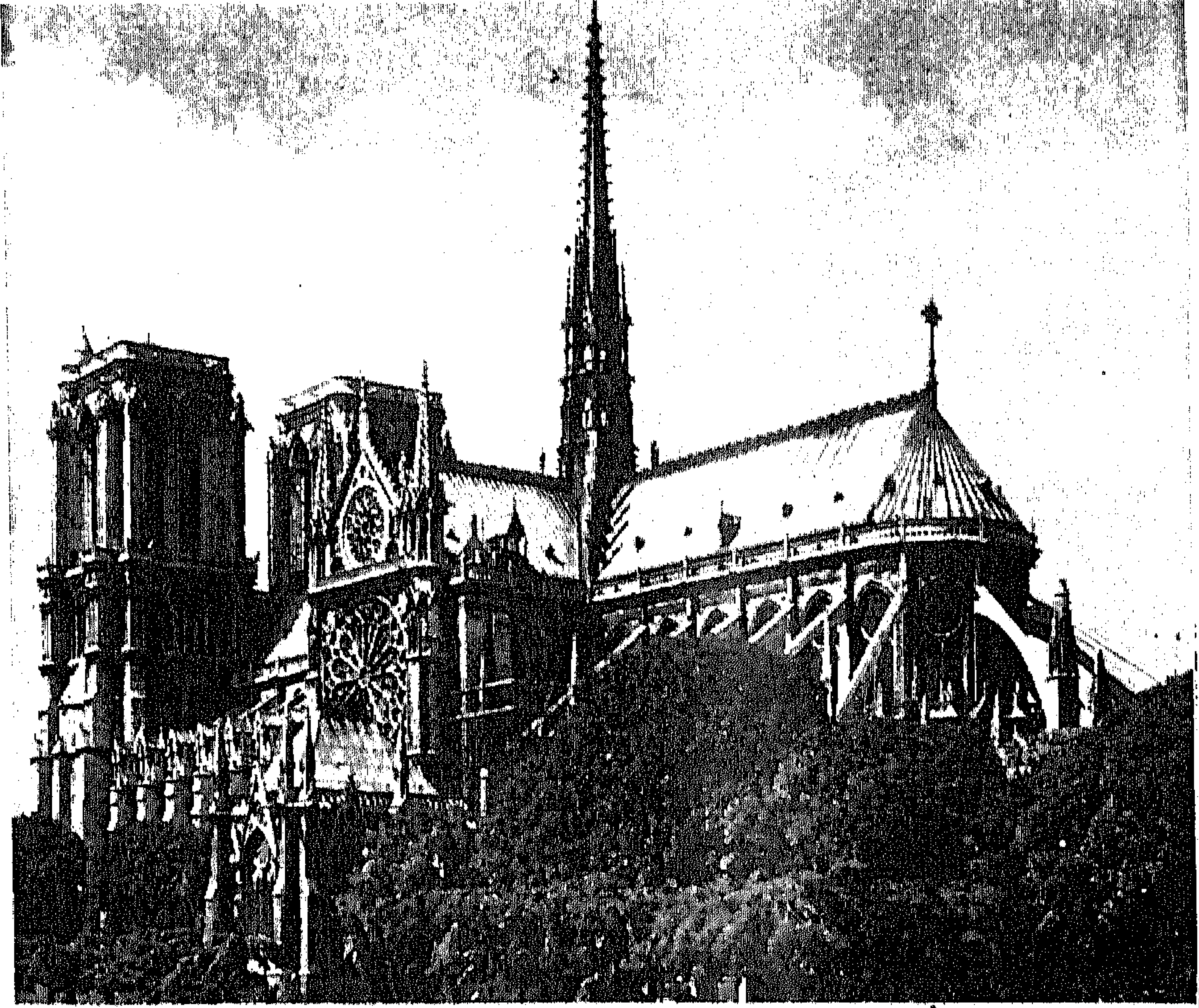
(رسم ب) تخطيط كنيسة نوتردام القوطية باريس ، ١١٦٣ - ١٢٥٠ فرنسا .



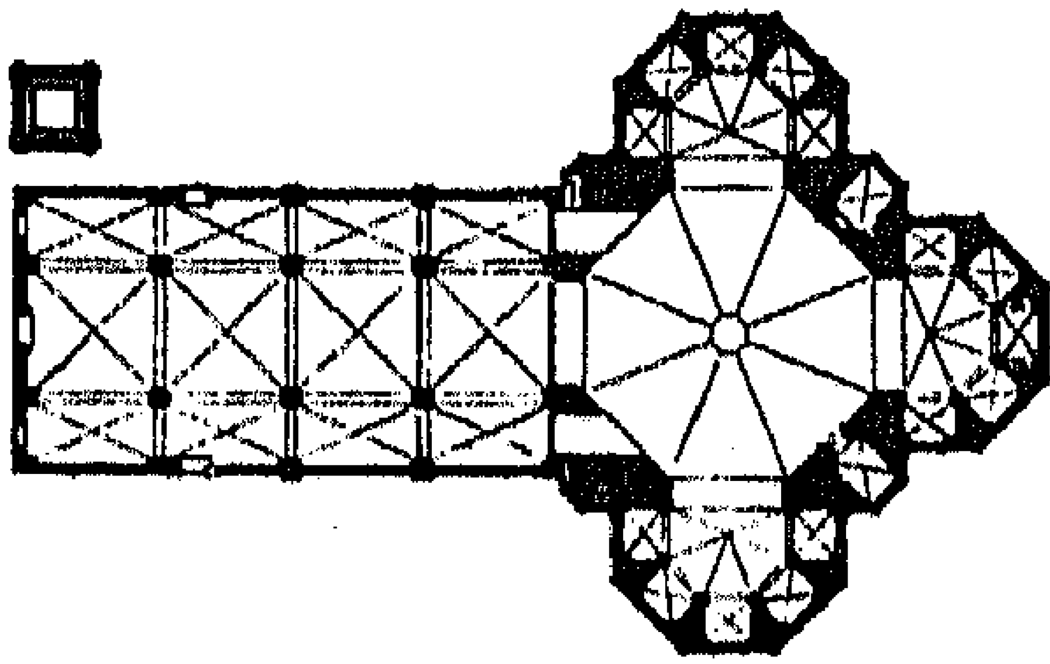
(شكل ١١) الواجهة الغربية ، كنيسة مدينة ريمز القرن ١٣ ، فرنسا .

ويظهر بالواجهة الرئيسية لهذه الكنائس عدة أبواب وبرجان كبيران على الجانبين (شكل ١١) ، ويعلو الباب الأوسط الرئيسى دائرة كبيرة مغطاة بالزجاج الملون ، كما يغطى مركز تقاطع أضلاع الصليب قبة يعلوها برج مدبب (شكل١٢) . ويهدف المهندس القوطى بخطوطه الرأسية المرتفعة إلى أعلى وأبراجه الشامخة ، الاتجاه إلى السماء .

ولقد ساعد استخدام العقد المدبب فى الكنائس القوطية على حل كثير من العقبات التى كانت تقابل مهندس العصر الرومانسكى ، فلأن العقد صار مدبباً بدلاً من العقد الرومانسكى المستدير ، نجد أن المهندس تمكن من عمل مستويات مختلفة الارتفاع فى مذبح الكنيسة ، وفى الممرات الجانبية ، كما تمكن من عمل فتحات عالية متسعة كثيرة فى جدران مبنى الكنيسة القوطية مما ساعد على تدفق الضوء بداخلها . ولكثرة عدد الفتحات الكبيرة بأعلى الجدران نجد أن الجدران الخارجية تدعم عند أطراف العقود بدعائم مائلة من الخارج عرفت باسم الدعائم الطائرة .



(شكل ١٢) كنيسة نوتردام من الجهة الجنوبية الغربية .



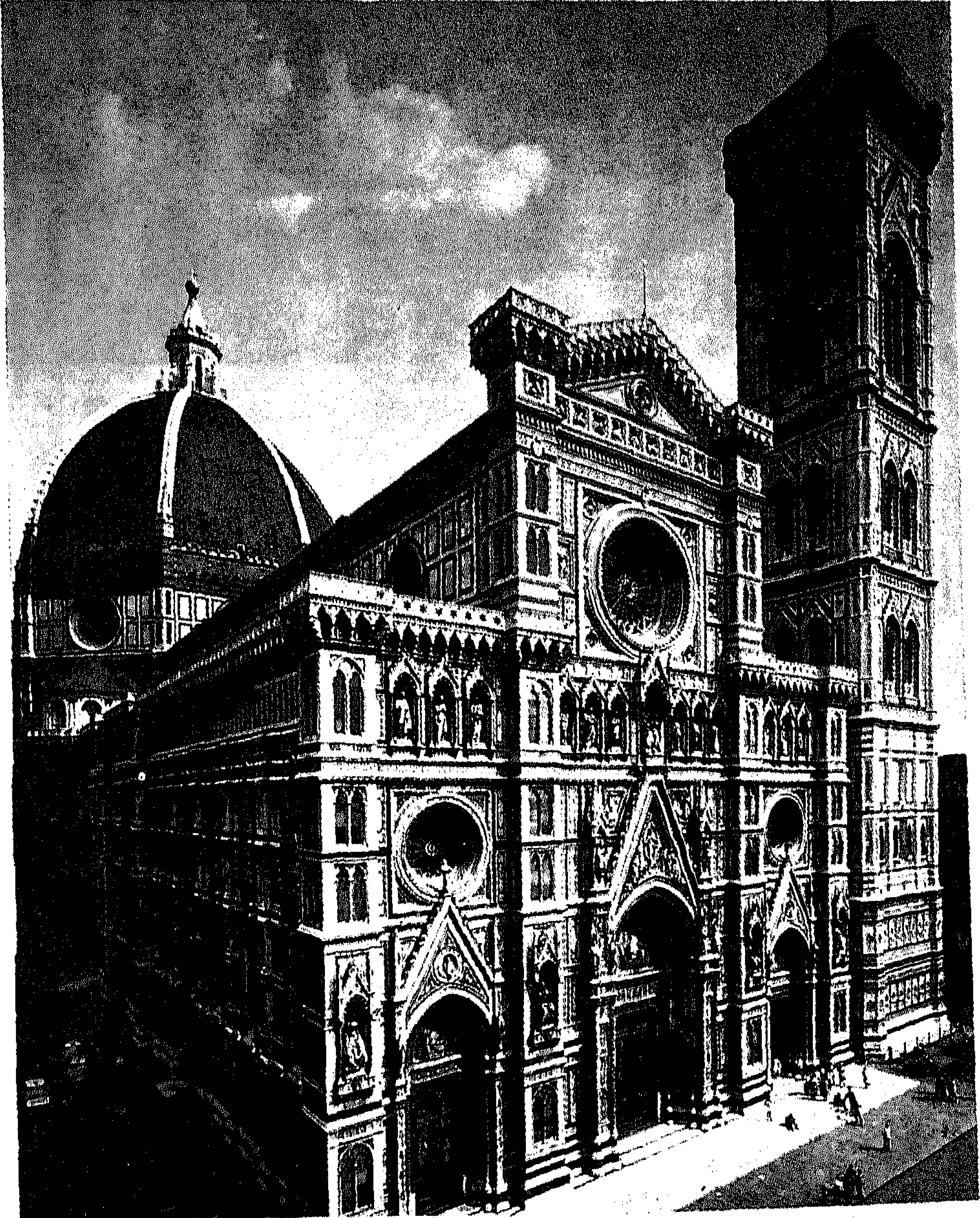
(رسم حـ) تخطيط كتدرائية فلورنس ١٢٩٦٠ . إيطاليا .

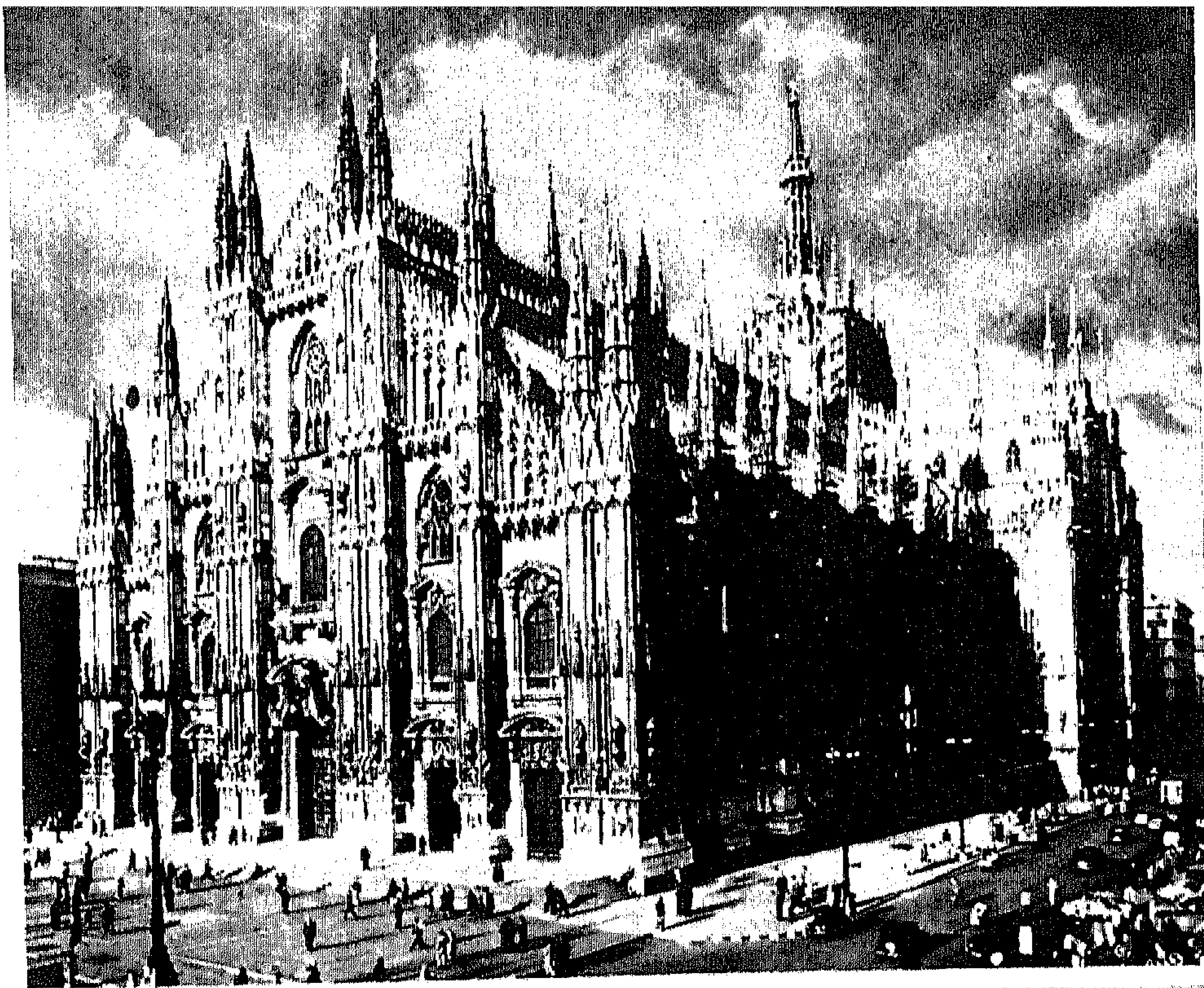
ومن أجمل أمثلة الطراز القوطي كنيسة شارتر « Shartres » (١١٩٤ - ١٢٢٠) وريمز (Reims) (١٢٢٥ - ١٢٩٩) بفرنسا ، وكتدرائيات سالزبرى (Salisbury) (١٢٢٠ - ١٢٧٠) وجلوستر (Glocester) (١٣٣٢ - ١٣٥٧) بإنجلترا .

ولأن تأثير الطراز القوطي كان ضعيفاً في الكنائس الإيطالية . نجد أن طراز كنائسها يختلف عن الأمثلة السابقة ، فلا تظهر أبراج بالواجهة كما يقل حجم النوافذ . ومن هذه الأمثلة كتدرائية فلورنس ذات القبة المثمنة (رسم حـ) التي بدأ المهندس « دى كامبيو »

فى تشييدها عام ١٢٩٦ (شكل ١٣) إلا أن الطراز القوطى المتطور يتضح أكثر فى شمال إيطاليا ، ويؤيد ذلك كتدرائية مدينة ميلانو التى بدئ فى تشيدها فى عام ١٣٨٦ (شكل ١٤).

ويبدأ اهتمام واضح بالمبانى الدنيوية بعد تحرر الأمراء من سيطرة الكنيسة ، فتنشط حركة تشييد القصور ذات العقود المدببة القوطية ، ومن أروع أمثلة الطراز القوطى الدنيوى فى إيطاليا قصر السيادة (Palazzo Vechio) (شكل ١٥) الذى بدئ فى تشييده فى عام ١٢٩٨ ، وقصر البندقية (CadOro) الذى شيد فى الفترة (١٤٢٢ - ١٤٤٠) (شكل ١٦) ويبدو تأثير الشرق واضحاً فى الواجهة ذات الفتحات المتعددة .

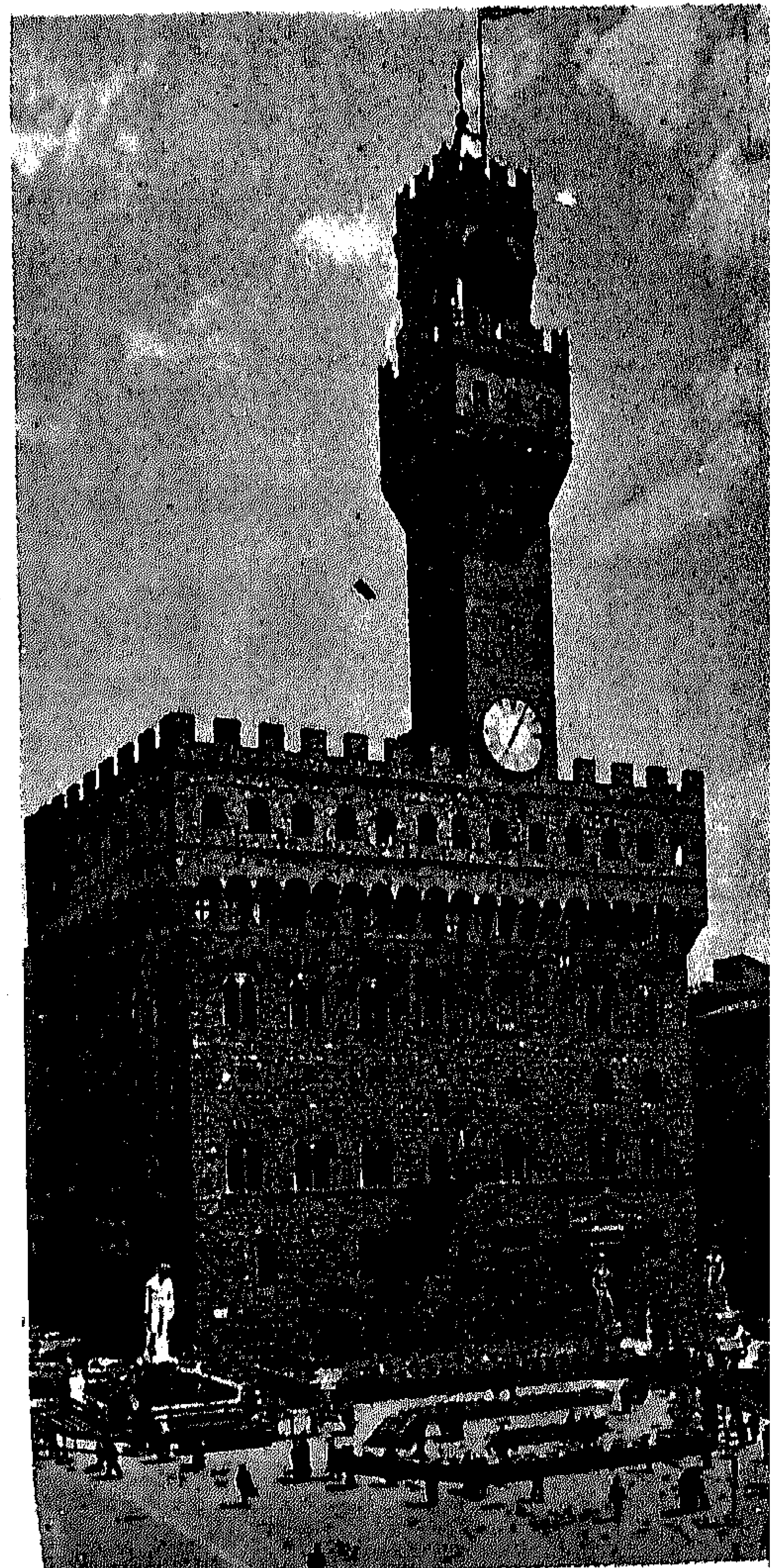




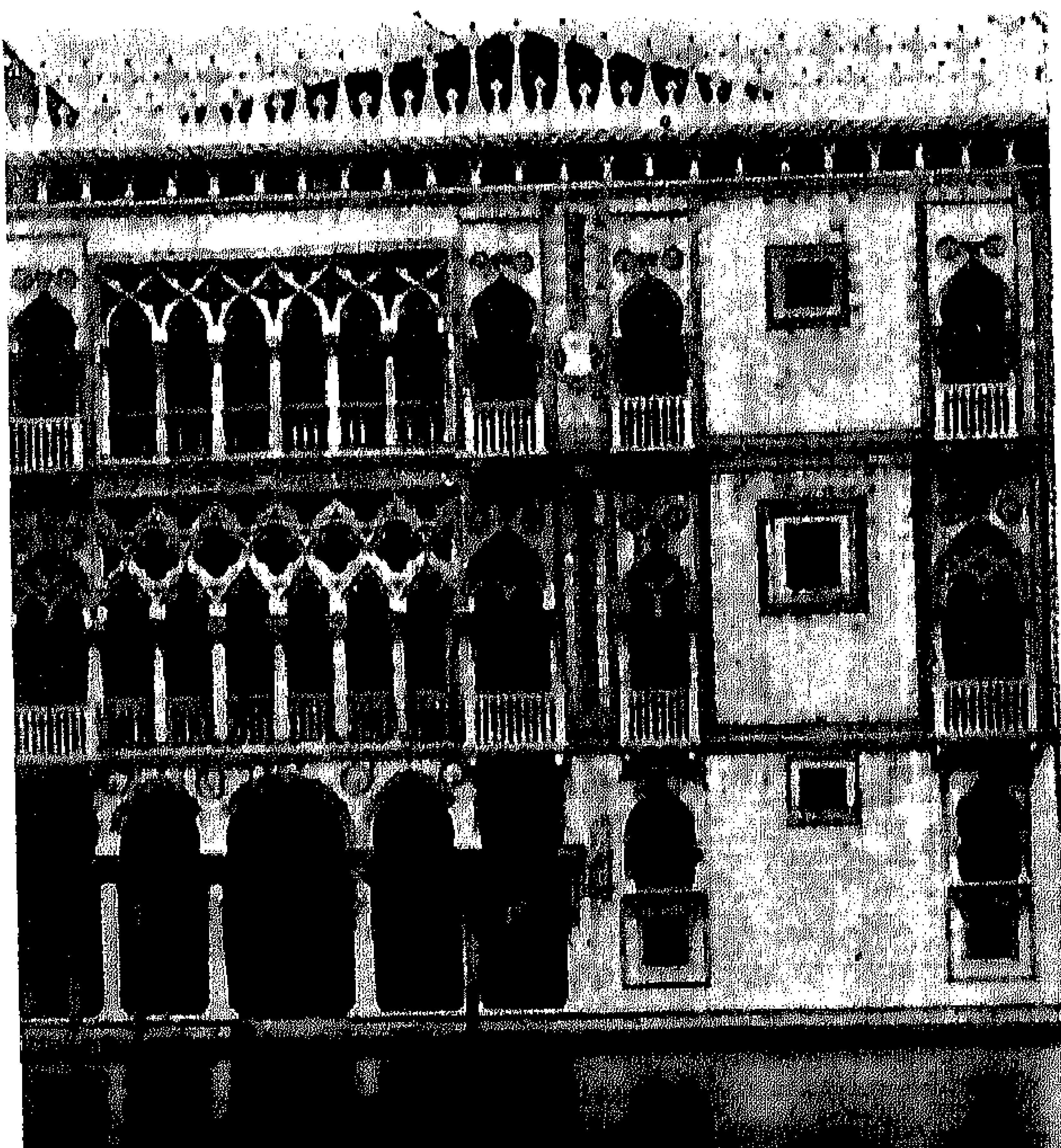
شكل ١٣) كاتدرائية
رنس بدأ تشييدها دى
رنس بـدأ تشييدها
، كامبيو عام ١٢٩٦
م القبة برونيلسكى فى
ترة ١٤٢٠ - ١٤٣٦ ،
م برج الأجراس جيوتو .

ل ١٤) كاتدرائية
، بدأ تشييدها
١٣٨٦ .

(شكل ١٥) قصر السيادة بمدينة
فلورنس ١٢٩٨ .



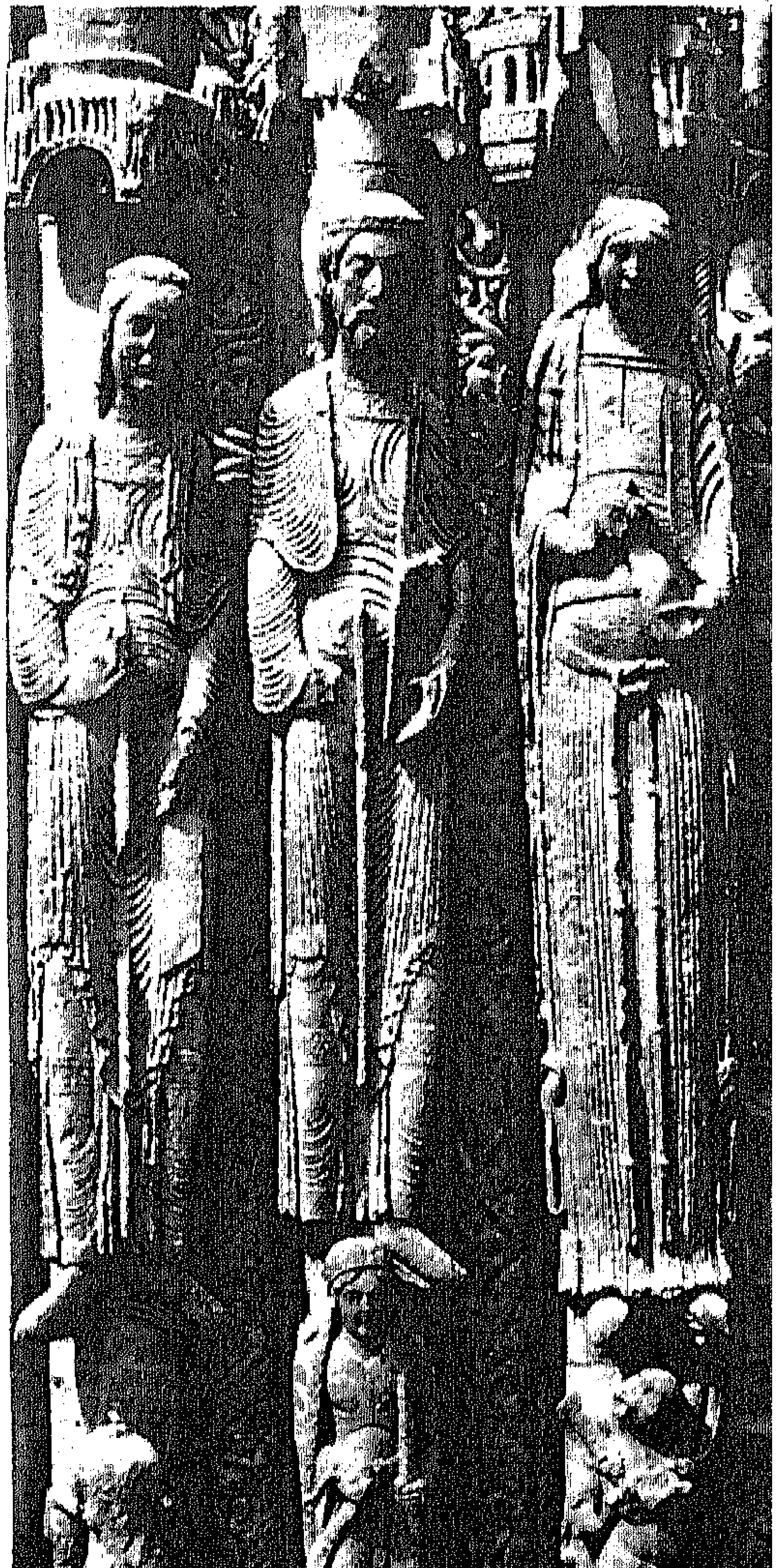
(شكل ١٦) قصر مدينة البندقية
١٤٢٤ - ١٤٣٧ .



النحت :

زخرفت واجهات الكنائس القوطية بنقوش مصورة ، استمد المثال موضوعاتها من الكتب المقدسة : التوراة والإنجيل . ويظهر الأشخاص المنحوتة فى الواجهة الحجرية فى خطوط رأسية ، كما تقل حركتها .

ومن أجمل أمثلة النحت القوطى نقوش واجهة مدخل كنيسة شارتر . ونلاحظ فى تماثيل الشخصيات المقدسة المنحوتة (شكل ١٧) أنها واقفة فى محاور رأسية . إلا أن المثال يتجه إلى أسلوب واقعى فى منحوتات واجهة كنيسة ريمز . حيث نلاحظ فى التماثيل التى توضح موضوعات البشارة والزيارة (شكل ١٨) حركة التفاتة فى الأشخاص ، كما يظهر تعبير باسم فى وجه الملاك الذى بشر العذراء . وتظهر هذه الشخصيات المنحوتة فى الجدار وكأنها أعمال فنية مستقلة . عن سطح الجدار .



(شكل ١٧) نحت على واجهة كنيسة شارتر يوضح ملك وملكة يهوذا ، ١١٤٥ - ١١٥٥ ، فرنسا .



(شكل ١٨) نحت على واجهة كنيسة ريمز ، يوضح موضوع الزيارة والبشارة ١٢٢٥ - ١٢٤٥ ، فرنسا .

اتجه فن النحت البارز إلى طراز أكثر واقعية فى إيطاليا على يد المثالين نيقولا بيزانو (Nicola Pisano) (١٢٢٠ - ١٢٨٤) وابنه جيوفانى ، وظهر هذا الفن بصفة خاصة فى المنابر الرخامية التى توضع فى الكنائس .

نزح نيقولا من جنوب إيطاليا إلى مدينة بيزا فى عام ١٢٥٠ ومهد الطريق للتجديد فى ميدان فن النحت البارز القوطى ، ويتضح ذلك فى كرسى معمودية مدينة بيزا (شكل ١٩) الذى زخرفه بموضوعات من القصص الدينى فى الفترة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ . ويتضح فى أسلوبه الجديد التأثر بالأمثلة الكلاسيكية ، كما قام ابنه جيوفانى بزخرفة كرسى مشابه لكتدرائية مدينة بيزا (شكل ٢٠) فى الفترة ١٣٠٢ - ١٣١٠ ولقد أظهر مهارة وتفوق على والده فى أسلوب النحت .

ومن أشهر نحاتى الطراز القوطى الجديد أندريا بيزانو الذى زخرف الباب الأول البرنزى فى معمودية فلورنس فى الفترة ١٣٣٠ - ١٣٣٦ . وتتكون الزخارف من ثمان وعشرين لوحة . تصور عشرون منها قصة يوحنا المعمدان . كما زخرف أيضاً بعض لوحات فى برج جيوتو بكتدرائية فلورنس بنقوش بارزة فى الفترة ١٣٣٤ - ١٣٣٧ .



(شكل ١٩) تفاصيل من كرسى معمودية بيزا من عمل المثال نيقولا بيزانو ، ١٢٥٩ - ١٢٦٠ .



(شكل ٢٠) كرسى كاتدرائية مدينة بيزا من عمل المثال جيوفونى بيزانو ١٢٩٨ - ١٣٠١ .

التصوير :

لم توفر الكنائس القوطية التى امتلأت جدرانها بالنوافذ العالية المتسعة . فرصة لممارسة فن التصوير الجدارى ، ونشأ عن هذا التطوير المعمارى ، فن زخرفة النوافذ بلوحات تصوير من زجاج ملون ، وعرف هذا النوع من الفن بالزجاج المعشق .

وبلغ هذا الفن القمة فى الكنائس القوطية التى شيدت فى فرنسا فى الفترة ١٢٠٠ – ١٢٥٠ . وتعتبر هذه الحقبة العصر الذهبى لفن الزجاج المعشق ، حيث اضمحل هذا الفن بعد ذلك لقلة النشاط فى حركة عمارة الكنائس . ولقد شغلت اللوحات الزجاجية الملونة أكبر مساحة فى جدران الكنائس القوطية ، حيث بلغ عدد لوحات النوافذ فى بعض الكنائس ١٤٦ لوحة (١) ، تتكون اللوحة من بضع مئات من قطع الزجاج الصغيرة المتعددة الألوان ، وترتبط هذه القطع مع بعضها بواسطة معدن الرصاص . وكانت الموضوعات المصورة مقتبسة من الكتب الدينية

ولعل أروع أمثلة لهذا الفن نجدها فى اللوحات الموجودة فى أعلى جدران كنيسة شارتر [لوحة ملونة رقم ١] ولقد انتشرت اللوحات الزجاجية الملونة فى الفتحات المستديرة التى تقع فى أعلى الجدار الشمالى وجدار المدخل ، وعرفت باسم الزهريات . وأجمل مثال لذلك نجده فى زهرية الجدار الشمالى لكنيسة نوتردام التى تحوى ثمانين موضوعاً من كتاب العهد القديم (شكل ٢١) .

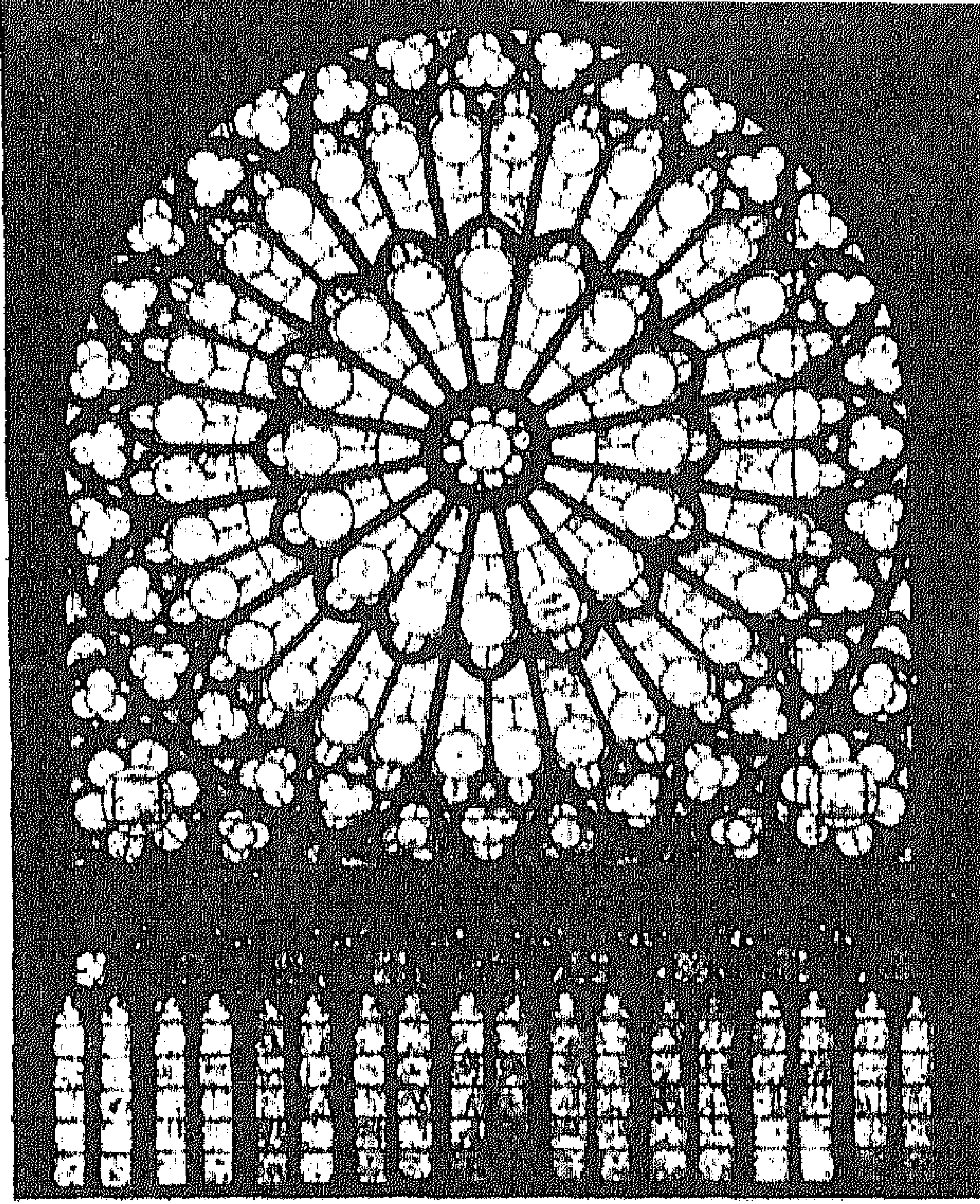
انتعش فن تصوير المخطوطات مرة ثانية فى منتصف القرن الثالث عشر بعد أن كان الإقبال قد قل عليه بسبب ازدهار فن التصوير فى الزجاج وفن النحت البارز اللذين كانا أهم ميادين الفنون فى تلك الفترة .

وكان مركز إنتاج المخطوطات المصورة الدينية حتى القرن الثالث عشر هو الأديرة ، إلا أن هذا الفن الذى اقتصرت ممارسته على الرهبان فى أول الأمر ، نجد أنه انتشر فى المجتمعات الدنيوية التى قامت بتصوير مخطوطات للحكام والأمراء .

ومثلما كانت فرنسا مركزاً للنهضة المعمارية فى العصر القوطى ، نجد أن إيطاليا قد لعبت دوراً قيادياً فى فن التصوير منذ أواخر القرن الثالث عشر ، وذلك بفضل المصورين الذين قاموا باكتشافات جديدة ثورية حررت فن التصوير من سيطرة التقاليد القديمة .

---

(١) توجد بكنيسة سانت شابيل Sainte Chapelle التى شيدها المهندس دى مونترو فى الفترة ١٢٤٧ – ١٢٤٨ جداران بها نوافذ زجاجية عالية مقسمة إلى عدة أجزاء .



(شكل ٢١) زهرية في جدار كنيسة نوتردام بباريس .

وإذا بحثنا في منابع الفن الإيطالي في القرن الثالث عشر ، نجد أنه كان متأثراً بتقاليد الفن البيزنطي الذي جاء من الشرق بعد فتح الصليبيين للقسطنطينية في عام ١٢٠٤ . وبتقاليد الفن القوطي المستورد من شمال إيطاليا . ولقد ساد الفن البيزنطي الجديد أو (الأساليب الإغريقي كما سماه الإيطاليين) في إيطاليا لكونه نابعاً من تقاليد رومانية قديمة . بينما لم يلاق الطراز القوطي إقبالاً من الإيطاليين .

ظهر تطور كبير في فن التصوير في إيطاليا في نهاية القرن الثالث عشر ، ثم انتهى الأمر بغزو الطراز القوطي لفن التصوير في حوالي عام ١٣٠٠ ولقد ساهم في هذا التطوير جديد عدد من المصورين الموهوبين الذين سنتعرف على أسلوبهم من خلال بعض أعمالهم

جيوفاني تشيمابوي G. Cimabue (١٢٤٠ - ١٣٠٢)

كان تشيمابوي أول الفنانين الذين مهدوا الطريق في فلورانس إلى ظهور التطوير الجديد في فن التصوير . ولقد اشتهر هذا الفنان في أول الأمر بلوحات الفسيفساء التي كان يصممها للكنائس ، مما جعله متأثراً بالفن البيزنطي ، إلا أنه يهجر هذه التقاليد عندما يتجه إلى تصوير لوحات ضخمة للكنائس بالألوان الممزوجة بصفار البيض عرفت باسم التمبرا[1] . ولم يستخدم هذا النوع من اللوحات الكبيرة من قبل في الشرق المسيحي ويتضح أسلوبه

(١) التمبرا Tempra هو تعبير يطلق على الأعمال التي نفذت بالوان ممزوجة بنسب معينة من صفار البيض

فى أجمل لوحاته « العذراء وطفلها » على العرش ١٢٨٠ – ١٢٩٠ (شكل ٢٢) فنلاحظ أن تشيمــابوى هتم بالشكل المعمارى للعرش كما أكسب العذراءهيئة الأمومة الطبيعية . ويبدو المسيح كأنى طفل من الأطفال الموجودين حول الفنان . وتذكرنا زخارف العرش بطريقة زخرفة جدران معمودية فلورنس .

ومما لا شك فيه أن ابتكارات تشمابويه كان لها أثر كبير فى الفنانين الذين ظهروا فى فلورنس بعد ذلك وعلى رأسهم المصور النابغة جيوتو

جيوتو دى بوندونى Giotto Di Bondone (١٢٦٦ – ١٣٣٧) .

يعتبر مؤرخو الفنون أن جيوتو فنان فلورنس العظيم ، وأشهر مصورى عصره هو المؤسس الحقيقى لفن النهضة فى التصوير الذى سيظهر بعد ذلك ، كما أنه مؤسس الواقعية فى الغرب .

والواقع أن جيوتو قد قام بثورة كبيرة فى تاريخ فن التصوير . حيث يعتبر أسلوبه الحد الفاصل بين التقاليد البيزنطية القديمة وتقاليد فن النهضة الحديثة ، وذلك لأنه انهى فترة فى فن التصوير كانت تسيطر عليها فكرة تصوير المقدسات فقط ويبدأ فترة جديدة تهتم بالإنسانيات .

ولد جيوتو فى قرية فسبينانو بالقرب من فلورنس وتعرف على فنان فلورنس الأول تشيمابوى عندما كان صغيراً يرعى الأغنام ، وعندما تتلمذ على يديه . لاحظ الأستاذ أن جيوتو يتميز بمواهب كثيرة واصطحبه معه لزخرفة جدران كنيسة القديس فرانسيس بمدينة أسيزى ، وكانت اللوحات تصور أسطورة القديس ، وعندما توفى الأستاذ أكمل التلميذ التصاوير المطلوبة فى الفترة (١٢٨٨ – ١٢٩٦) . وتدل هذه الصور وعددها ٢٤ على أن عبقرية « جيوتو » تفوق مهارة أستاذه الذى رسم أربع لوحات فقط . ويتضح مهارته فى التصميم وفى الخلفيات التى رسمها بطريقة مبتكرة تخالف أسلوب أستاذه . حيث استبدل الخلفية الذهبية البيزنطية بمناظر طبيعية ويتضح ذلك فى لوحة القديس يتخلى عن ممتلكاته (شكل ٢٣) .

ذاع صيت « جيوتو » فى إيطاليا كلها ، وكلف بزخرفة كنيسة مدينة بادوا بتصاوير جدارية فى الفترة ١٣٠٥ – ١٣٠٩ . ومن أجمل هذه اللوحات لوحة تصور موضوع « النحيب « Lamentation » [**لوحة ملونة ٢**] ولقد اهتم الفنان فى هذه اللوحة بتحقيق الصفة البنائة فى الصورة ، كما عبر « جيوتو » عن الحزن الذى يشمل الحادث بالحركات التى يقوم بها



(شكل ٢٢) العذراء وطفلها .
لوحة من عمل المصور تشمابويه
بمتحف أوفيزى ، فلورنس ،
١٢٨٠ — ٩٠ .

(شـكل ٢٣) جيـوتو ،
القديس يتخلى عن ممتلكاته ،
افريسكو فى كنيسة مدينة أسيزى
١٢٨٨ — ١٢٩٦

الأشخاص . ولقد وجه الفنان انتباهنا إلى الشخصية الرئيسية فى الموضوع . وهو المسيح عن طريق خطوط الأشخاص المنحنية التى تتجه نحو المسيح .

ومن المميزات التى تتضح فى هذه الصورة أن « جيوتو » كان من أوائل المصورين الذين رسموا الأشخاص فى وقفات طبيعية بعيدة عن قيود الفن البيزنطى الجامد . كما حاول فى رسمه لملابسهم توضيح الصفة البنائية للخامة . وعبر عن العمق فى الصورة بالملائكة الباكين الموجودين بأعلى اللوحة . وإذا قارنا بين أسلوب رسم الأشخاص فى لوحات « تشيمابويه » وفى لوحاته لاحظنا تطوراً كبيراً أدخله « جيوتو » على طريقة رسم الأشخاص .

فبالرغم من أن أشخاص الأستاذ كانت أقرب إلى الطبيعة من شخصيات التصوير البيزنطى . إلا أننا نلاحظ أنه لا تزال بهم مسحة من الجفاف والجمود . بعكس أشخاص « جيوتو » الذين يبدون أكثر حيوية وأقرب إلى الطبيعة . كما حاول « جيوتو » نقل التعبيرات الواقعية المرتسمة على وجوههم .

كان « جيوتو » محباً للفنون والآداب . صادق المشاعر دانتى وأشاد بذكره الأدباء[1] كما نال إعجاب الملك روبرت حاكم نابولى وفلورنس الذى عينه فى عام ١٣٣٤ مشرفاً على الأعمال الهندسية فى فلورنس . فقام بتشييد برج الأجراس فى كتدرائية فلورانس (شكل ١٣) الذى زخرفه المثال « أندريا بيزانو » .

ساهمت مدينة سيينا « Siena » القريبة من فلورنس أيضاً فى تطوير فن التصوير الإيطالى ولقد تكونت مدرسة فى هذه المدينة تحت زعامة المصور « دوتشو » إلا أن هذه المدرسة كانت تختلف فى نوعيتها عن مدرسة فلورانس التى أسسها جيوتو . فبالرغم من أنه كان يبدو فى صورها شيء من الأسلوب القوطى إلا أننا نجد أنها حافظت على التقاليد

دوتشو Duccio (١٢٥٥ - ١٣١٩)

قام دتشو فى الفترة ١٣٠٨ - ١٣١٢ برسم لوحة لمذبح كتدرائية المدينة ولقد أطلق أهل سيينا على هذه اللوحة اسم « الجلالة Maesta »[2] (شكل ٢٤) لإعطاء العذراء فيها صفة ملكة السماء المحاطة بحاشيتها المقدسة المكونة من القديسين والملائكة ونلاحظ فى هذه

(١) كتب عنه الأديب « بوكاشيو » فى عام ٤٥٠ « أنه أعاد إلى النور هذا الفن الذى كان مدفوناً لعدة أجيال . كما كتب عنه « بتراركا » معجبياً بإنجازاته فى فن التصوير .

(٢) يوجد أجزاء من هذه اللوحة موزعة حالياً فى أدبراسينا والمتحف الأهلى بلندن ومتحف مزيك بنيويورك والمتحف الأهلى بواشنطن .

اللوحة أن خطوط النسيج الجافة فى الأسلوب الإغريقى قد تحولت فى يد « دتشو » إلى خطوط لينة ، كما أن الأجساد والوجوه والأيادى قد دبت فيها الحياة بعد أن كانت مسطحة بدون أبعاد فى الفن البيزنطى . ولقد توصل « دتشو » إلى ذلك عن طريق توضيح الضوء والظل ، وبذلك أعاد الفن الهيلينى الواقعى الذى كان أحد منابع الفن البيزنطى .

وتتجلى النزعة القوطية فى بساطة رسم ثنيات النسيج وفى براءة الطفل المسيح ، كذلك فى النظريات المتعاطفة التى ترتسم على وجوه الأشخاص المرسومين الذين يشبهون أفراد الشعب العادى . ومن المحتمل أن يكون « دوتشو » قد استمد هذه التأثيرات القوطية من النحات « جيوفانى بيزاتو » الذى أقام عشر سنوات فى سينا .

وحيث إن شخصية دوتشو الفنية لم تكن لها قوة أسلوب المجدد الأكبر جيوتو ، فإننا نجد أن سيينا وليست فلورنس هى التى أخذت بزمام الخطوة التالية فى تطوير فن التصوير الإيطالى . حيث ظهر بها عدد من المصورين على درجة كبيرة من قوة الشخصية الفنية بزغ منهم المصور مارتينيه .

سيمون مارتينيه Simone Martini (١٢٨٤ - ١٣٤٤)

كان مارتينيه أبرز تلاميذ دوتشو ، حافظ على التجديدات التى قام بها أستاذه بالرغم

(شكل ٢٤) دوتشو ، جزء من لوحة الجلالة ، مذبح مدينة سينا ١٣٠٨ - ١٣١١ .



من ظهور النزعة القوطية والروح البيزنطية فى لوحاته . ومن أشهر أعماله لوحة « البشارة » التى رسمها عام ١٣٣٣ [**لوحة ملونة ٣**] .

وبدراسة هذه اللوحة نلاحظ أن الفنان قسم سطح اللوحة إلى عدة مساحات على هيئة عقود قوطية ، ووضع العذراء فى العقد الأيمن بينما رسم الملاك جبريل فى لحظة هبوطه على الأرض وهو يركع أمام القديسة .

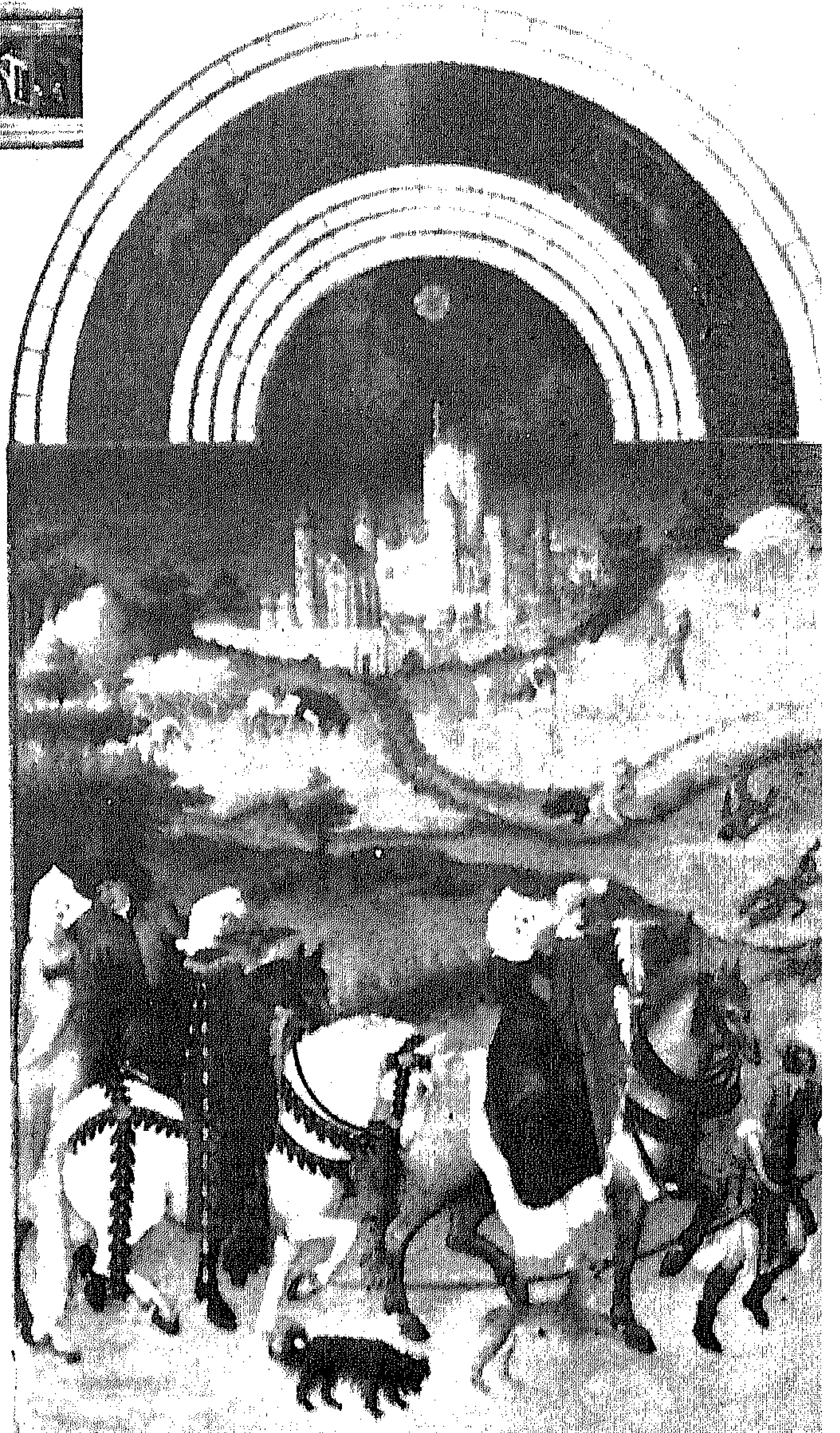
وبالرغم من أن الملاك يشغل بجناحيه وحرملته التى ما زالت ترفرف بفعل الهواء مساحة العقد الأيسر ، إلا أن الفنان حاول إيجاد صلة بين الشخصين بواسطة فرع شجرة يحمله الملاك ، ويزداد الشعور بالربط عن طريق إناء الزهور الذى يشعرنا بالعمق أيضاً . ولما كان سيمون مولعاً بالبحث عن الجمال الرقيق فى رسوم شخصياته ، لذلك نلاحظ أن شخصياته المقدسة تبدو عليها مسحة من الأرستقراطية أفقدتها صفة القدسية . وإذا قارنا بين هذه اللوحة ولوحة « النحيب » التى رسمها « جيوتو » ، نلاحظ فى الحال الاختلاف الكبير بين طراز كل منهما ، حيث رفض « جيوتو » الاهتمام بفكرة الجمال المثالى مفضلاً عليه الإنسانيات الطبيعية التى تتجلى فى أبناء الطبقة العادية .

إلا أن إنسانيات « جيوتو » وأفكاره الجديدة لم تتبع فى أنحاء إيطاليا بعد وفاته عام ١٣٣٦ ؛ فنجد أن « سيمون مارتينيه » استمر يعمل بأسلوبه البيزنطى القوطى ، وبذلك استمرت التقاليد القديمة إلى آخر القرن إلى جانب الأفكار الجديدة . ولقد تسرب هذا الأسلوب القوطى إلى شمال أوربا .

وفى حوالى عام ١٤٠٠ نتج عن امتزاج التقاليد الشمالية والإيطالية ظهور طراز قوطى موحد فى غرب أوربا أصبح طرازاً دولياً . وظهرت آثار هذا الطراز القوطى الدولى فى أعمال المصور الإيطالى جنتيل دافا بريانو Gentile Da Fabriano (١٣٧٠ – ١٤٢٧) الذى صور لوحة عبادة المجوس (شكل ٢٥) . كما قام المصوران الفرنسيان الأخوه لمبورج « Limbourg » برسم لوحات تصور أشهر السنة (شكل ٢٦) فى المخطوطه « الساعات السعيدة لدوق بارى » إلا أننا نلاحظ أن هذا الطراز القوطى الدولى الذى ساد فى أوربا منذ عام ١٤٠٠ ، تفكك فجأة ، فيظهر فى شمال الألب اتجاه لتطوير الفن القوطى فى بلاد الشمال (هولندا وبلجيكا) بينما تظهر فى إيطاليا – وعلى رأسها فلورنس – ابتكارات فنية جديدة . ولقد عرفت هذه التغييرات باسم عصر النهضة . وبعد مرور قرن تصير النهضة الإيطالية المركز الرئيسى لطراز دولى جديد .



(شكل ٢٥) جنتيل دى فابريانو ، لوحة عبادة المجوس ١٤٢٣ ، متحف أوفيتزى ، فلورنس .



(شكل ٢٦) « الساعات السعيدة لدوق بارى » يصور شهر أغسطس ، متحف مدينة شانتينى بفرنسا .



ديل فيريكيو ، تمثال من البرنز للقائد كوليوني . مدينة البندقية

الباب الثاني



عصر النهضة



تمهيد

ظهرت فى مجتمعات البلاد الأوربية فى أواخر القرون الوسطى حركات متطورة فى العلوم والفنون والآداب ، كان هدفها الكشف عن روائع فنون وآداب العالم الكلاسيكى القديم . وبدأت المجتمعات البسيطة التى كانت تسيطر عليها الكنيسة والحكام فى العصر القوطى الاهتمام بدراسة الإنسان بصفة خاصة بدلاً من الاهتمام بالمسائل الروحانية فقط ، فاهتم العلماء والأدباء بدراسة حواس الإنسان وتفكيره .

وكانت نقطة البداية فى الاهتمام بهذه الحركات الجديدة فى إيطاليا حيث أقبل الإيطاليون فى القرن الخامس عشر على «دراسة مجد وحضارة أجدادهم الرومان التى ورثوها عن الإغريق وأخذوا يستعيدون ما فيها من ثراء فكرى فى نواحى الآداب والعلوم والفنون .

ومما ساعد على إحياء تلك الحركة ظهور الأدباء والشعراء فى تلك الفترة أمثال بتراركا وبوكاشيو اللذين تبنيا نظرية جديدة تبحث فى الفكر الوثنى ومدى اهتمامه بالإنسانيات ، وكان من نتيجة هذه الحركة الإنسانية الجديدة أن تشجع الإنسان فى الاحتفاظ بفرديته بدلاً من أن يكون جزءاً ذائباً فى مجتمع كبير . ونتج عن ذلك أن ظهرت شخصية الفنان فى هذا المجتمع الجديد .

عرفت هذه الحركة التى تستهدف الاستفادة من التراث القديم باسم « البعث Renaissance» أو « النهضة » . ولا تعنى هذه الكلمة العودة إلى حضارة الماضى الكلاسيكية بشكل جديد ، وإنما القصد منها هو اكتشاف الإنسان لمدنية العالم القديم والاستفادة منها بما يتفق مع مقتضيات الحياة الجديدة ، ولقد أعجب العلماء فى عصر النهضة بالمخطوطات اليونانية القديمة المترجمة ووجدوا محتوياتها أكثر ثراء من مخطوطات القرون الوسطى .

وبطبيعة الحال سار الفن فى تطوره فى عصر النهضة فى إيطاليا فى محاذاة المثالية التى يبحث عنها المفكرون ، فوضعت قواعد لمفهوم علم الجمال وصلته بالفنون التشكيلية من العمارة والنحت والتصوير ، ويعتقد كثير من العلماء أن بدء ظهور هذه الثورة الفنية فى ميدانى العمارة والنحت كان بعد عام ١٤٠٠ ، فى حين أن الثورة فى ميدان فن التصوير قد ظهرت قبيل ذلك على يد المصور « جيوتو » الذى ثار على الفن البيزنطى والقوطى واقترب من فلسفة الفن الإغريقى الذى يهتم بدراسة جسم الإنسان .

وحتى نهاية القرن الثالث عشر كان الطراز السائد فى الفنون فى أوربا هو طراز قوطى دولى ، إلا أننا نلاحظ فى أوائل القرن ١٥ أن هذا الطراز المشترك قد انقسم ، فنجد فى إيطاليا وعلى رأسها فلورانس فنًّا مبتكراً جديداً فى ميادين العمارة والنحت والتصوير وابتعد عن الطراز القوطى الدولى ، عرف باسم طراز النهضة المبكر ، بينما يظهر فى بلاد « الأرض المنخفضة » فى الشمال طراز فنى جديد به ملامح من الطراز القوطى الدولى وتتضح آثاره فى فن التصوير فقط . ولقد كان للاكتشافات العلمية والواقعية التى تميز بها مصورو الشمال أثر كبير فى تقدم فن عصر النهضة .

الفصل الأول

عصر النهضة المبكر فى الأراضى المنخفضة[1]

القرن الخامس عشر

مقدمة تاريخية :

كانت الأراضى المنخفضة فى أوائل القرن الخامس عشر عبارة عن ولايات يخضع أغلبها لحكم فيليب الطيب دوق برجاندى الفرنسى ١٤١٩ - ١٤٦٧ ثم انتقلت هذه التبعية إلى النمسا عندما تزوجت مارى أميرة برجاندى فى عام ١٤٧٧ من مكسيميليان زعيم عائلة هابسبرج . وفى نهاية القرن تزوج فيليب حاكم النمسا من جوانا وريثة عرش أسبانيا فى عام ١٤٩٦ .

ولقد تسببت سيطرة هذه الملكيات الدخيلة فى تعطيل الحركات الفكرية . إلا أن هذا الركود الثقافى والفكرى تغير كثيراً فى منتصف القرن بعد ثراء وشهرة بعض المدن التجارية مثل بروج Bruge وانتورب Antwerp.[2] .

وبالرغم من أن مركز عصر النهضة المبكر نشأ فى إيطاليا إلا أننا نجد أن مدن الولايات المنخفضة التى يظهر بها ثراء واضح فى القرن الخامس عشر بعد استقلالها عن فرنسا وحروبها مع أسبانيا ، تظهر بها نهضة علمية ثقافية خلال المرحلة المبكرة من عصر النهضة فأنشأت جامعة « لوفين Luvin » كما انتشر فن الطباعة فى هارلم عام ١٤٢٣ وفى « انتورب » عام ١٤٧٢ وفى « اترخت Utrecht » عام ١٤٧٣ وفى بروج » عام ١٤٧٥ . وبطبيعة الحال صاحب هذا التطور الثقافى تطور واضح فى الفن .

---

(١) يطلق هذا الاسم على الإقليم الذى يعرف حالياً باسم هولاندا وبلجيكا .

(٢) اشتهرت بروج بصناعة الأقمشة الصوفية وتأسست أول بورصة للمعاملات المالية فى أوربا فى مدينة أنتورب فى عام ١٤٦٠ .

فن النهضة المبكر فى الأراضى المنخفضة

كان الطراز القوطى الدولى مسيطراً على الفنون فى أوربا فى القرن الرابع عشر . وانتشرت أساليبه من فرنسا إلى أغلب الأقاليم الأوربية : بلاد الأراضى المنخفضة ، ألمانيا بريطانيا ، وأسبانيا . وإيطاليا .

ولم يظهر تطور واضح فى فن المعمار فى بلاد الأراضى المنخفضة ، حيث استمرت روح النزعة القوطية فى المبانى حتى القرن السادس عشر . ويتضح ذلك بصفةخاصة فى المبانى الدنيوية . كما أن نماذج فن النحت التى اقتصرت على مذابح الكنائس ونقوش المقابر لم يظهر بها التطور الواضح الذى ظهر فى أعمال النحت الإيطالى فى عصر النهضة المبكر . إلا أننا نلاحظ تطوراً فنياً واضحاً فى ميدان فن التصوير الذى انبثق من فن المخطوطات واعتمد على تسجيل الملاحظات الدقيقة من واقع الحياة العادية .

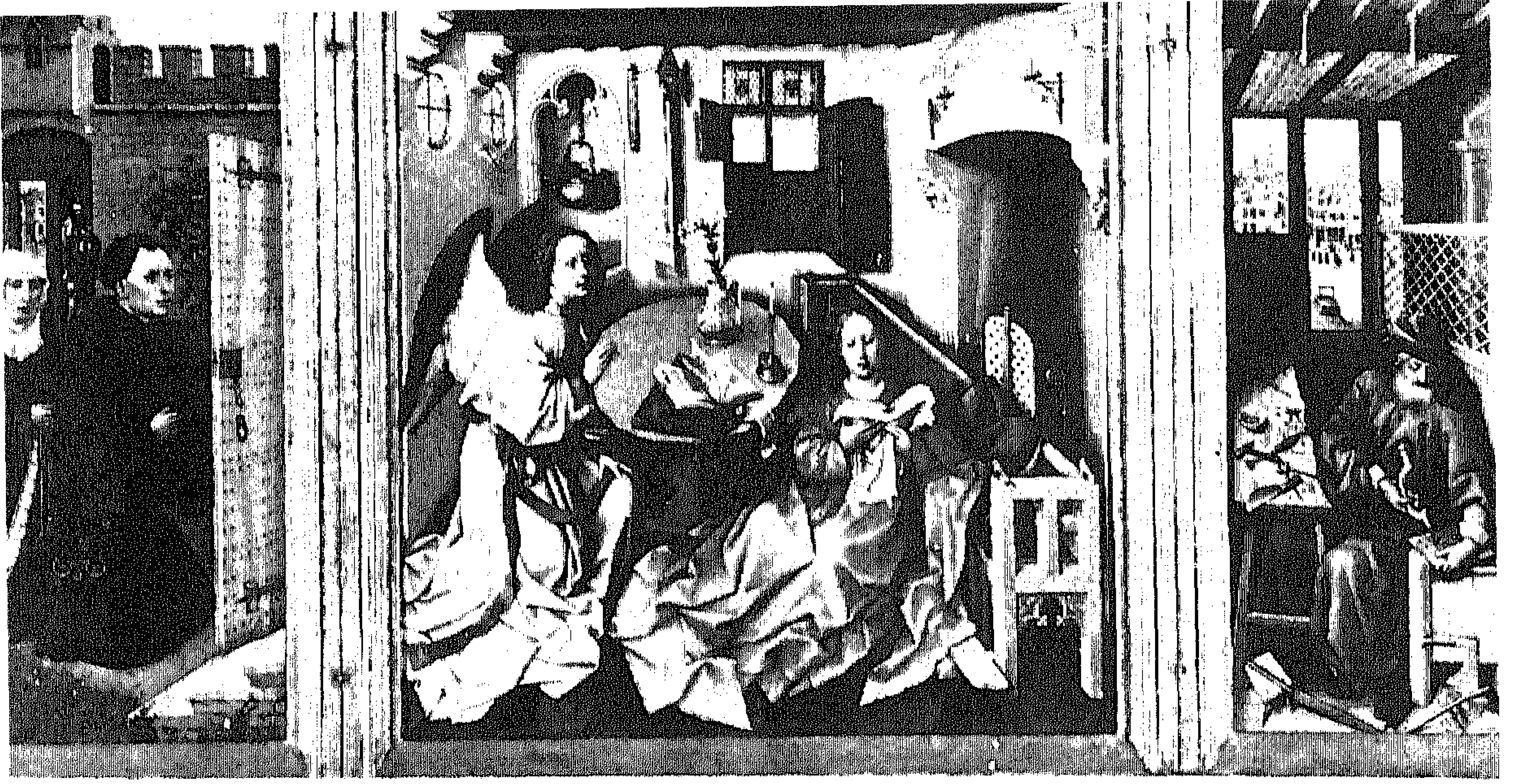
وبلغ فن التصوير الفلمنكى[1] منزلة رفيعة فى الصنعة أوصلته إلى مركز مرموق فى عصر النهضة فى أوربا كلها .

التصوير :

استمد فن التصوير الفلمنكى مقوماته من فن تصوير المخطوطات الذى كان أكثر انتشاراً هناك من التصوير الجدارى . واتجه المصورون نحو الواقعية فى رسم الموضوعات الدينية والعادية . كما اتجهت أنظارهم إلى طبيعة البلاد فسجلوا تفاصيلها بدقة ووصلوا بفنهم إلى درجة كبيرة من التطوير . وكان أسلوبهم فى تطوير النزعات الفنية يختلف عن أسلوب مصورى عصر النهضة المبكر فى إيطاليا . حيث اتجه فن التصوير إلى الاهتمام بما يرتبط بالحياة اليومية بدلاً من الاقتصار على الموضوعات الدينية ، كما اتجه المصورون فى الأراضى المنخفضة إلى الرسم على لوحات صغيرة بالألوان الزيتية . وكان المؤسسون لعصر النهضة المبكر فى هذا الميدان هم روبرت كامبان والأخوان هوبرت وجان فان إيك .

---

(١) تعبر كلمة « فلمنك Flemish » عن الإقليم الذى يضم حالياً جزء من هولاندا وجزءاً من بلجيكا .



(شكل ٢٧) روبرت كامبان ، لوحة « هيكل ميرود » ١٤٢٥ - ١٤٢٨ ، متحف المتروبوليتان بنيويورك .

روبرت كامبان « R . Campin » (١٣٧٨ - ١٤٤٤)

نشأ هذا الفنان فى بلدة تورناى « Tournai » وظهرت له أعمالاً مؤرخة منذ عام ١٤٠٦ تناول فيها الموضوعات الدينية ، فقام بتصوير لوحات لهياكل الكنائس اهتم فيها بتوضيح العمق من خلال خلفيات طبيعية من الحياة العادية .

ومن أشهر أعماله « هيكل ميرود » الذى صوره فى الفترة ١٤٢٥ - ١٤٢٨ (شكل ٢٧) ويوضح هذا العمل الفنى التطور الذى طرأ على طريقة تصوير موضوع البشارة التقليدى ، حيث أحاط الفنان الموضوع الرئيسى بلوحتين استمد فكرتهما من الحياة الشعبية البعيدة عن الطراز الأرستقراطى . فرسم على يسار الموضوع الرئيسى القديس يوسف وهو نجار يعمل فى حانوته ، بينما رسم فى الجهة الأخرى شخصين راكعين أمام باب حجرة العذراء المفتوح . ولقد تمكن هذا الفنان من الحصول على درجات مختلفة الألوان باستخدام ألوان التمبرا الممزوجة بالزيت بدلاً من الاقتصار على ألوان التمبرا فقط التى كانت تستخدم من قبل .

وبالرغم من أن فكرة اكتشاف الزيت فى طريقة التصوير تنسب إلى رواد الأسلوب

الواقعى الأخوان « هوبرت وجان فان إيك » إلا أن أعمال المصور كامبان تؤكد أنه ساهم بقدر كبير فى هذا الاكتشاف الذى انتشر بعد ذلك فى إيطاليا ، والذى يعتبر أساس فن التصوير الحديث الذى اعتمد على ألوان الزيت .

هوبرت وجان فان آيك : H.J. Van Eyck

ولد الأخوان فان آيك بالقرب من مدينة ماسترخت « Masstricht » واشتركا فى تنفيذ بعض الأعمال التى كلفا بها ، على أن الأخ الصغير جان (١٣٩٠ - ١٤٤١) ذاعت شهرته أكثر من أخيه هوبرت (١٣٦٥ - ١٤٢٦) لما تميز به من الدقة فى تسجيل التفاصيل الدقيقة وسعة الخيال .

تنقل جان بين بلاد الأراضى المنخفضة لتنفيذ الأعمال الفنية ، وعمل فى لاهاى فى الفترة ١٤٢٢ - ١٤٢٤ بتكليف من دوق باڤاريا ، ثم استقر فى مدينة « ليل » Lille » بفرنسا فى عام ١٤٢٥ كمصور لبلاط الملك فيليب الطيب ، ثم تنقل بين أراجون بأسبانيا عام ١٤٢٦ ولشبونه بالبرتغال عام ١٤٢٨ للقيام بتنفيذ أعمال فنية كلف بها ، ثم جذبته شهرة وثراء مدينة بروج فاستقر بها فى عام ١٤٣٠ . وإذا لم يكن جان مكتشف طريقة التصوير بالزيت ، فمما لا شك فيه أنه طوره إلى الأفضل ليحصل على درجات ألوان مضيئة ولامعة أكثر شفافية .

وتعتبر لوحة مذبح كنيسة القديس « بافون Bavon » بمدينة « جنت Ghent » « التى تصور موضوع » عبادة الحمل (شكل ٢٨) أهم الأعمال التى اشترك فى تنفيذها الأخوان .

ومن المرجح أن هوبرت هو الذى وضع تصميمها وبدأ رسم اللوحات الرئيسية بها فى عام ١٤٢٥ ، وشاركه فى التنفيذ أخوه جان ، إلا أنه انفرد بالعمل بها بعد موت أخيه فى عام ١٤٢٦ ووقع بإمضائه عليها فى عام ١٤٣٢ بعد أن أتمها .

يتكون مذبح كنيسة « جنت » من ثلاثة أقسام رُسم عليها مجموعة من الصور من الجهتين يبلغ عددها ست عشرة صورة . ويظهر بأسفل الجزء الأوسط موضوع « عبادة الحمل » ويعلوه ثلاث لوحات تصور المسيح ، العذراء ويوحنا المعمدان . ويعتقد كثير من مؤرخى الفنون أن الأخ الأكبر هو الذى رسم هذه اللوحات ، بينما رسم جان اللوحات الجانبية التى يظهر بين موضوعاتها رسم لآدم فى جهة وحواء فى الجهة الأخرى . كما رسم ظهر اللوحات الخشبية .

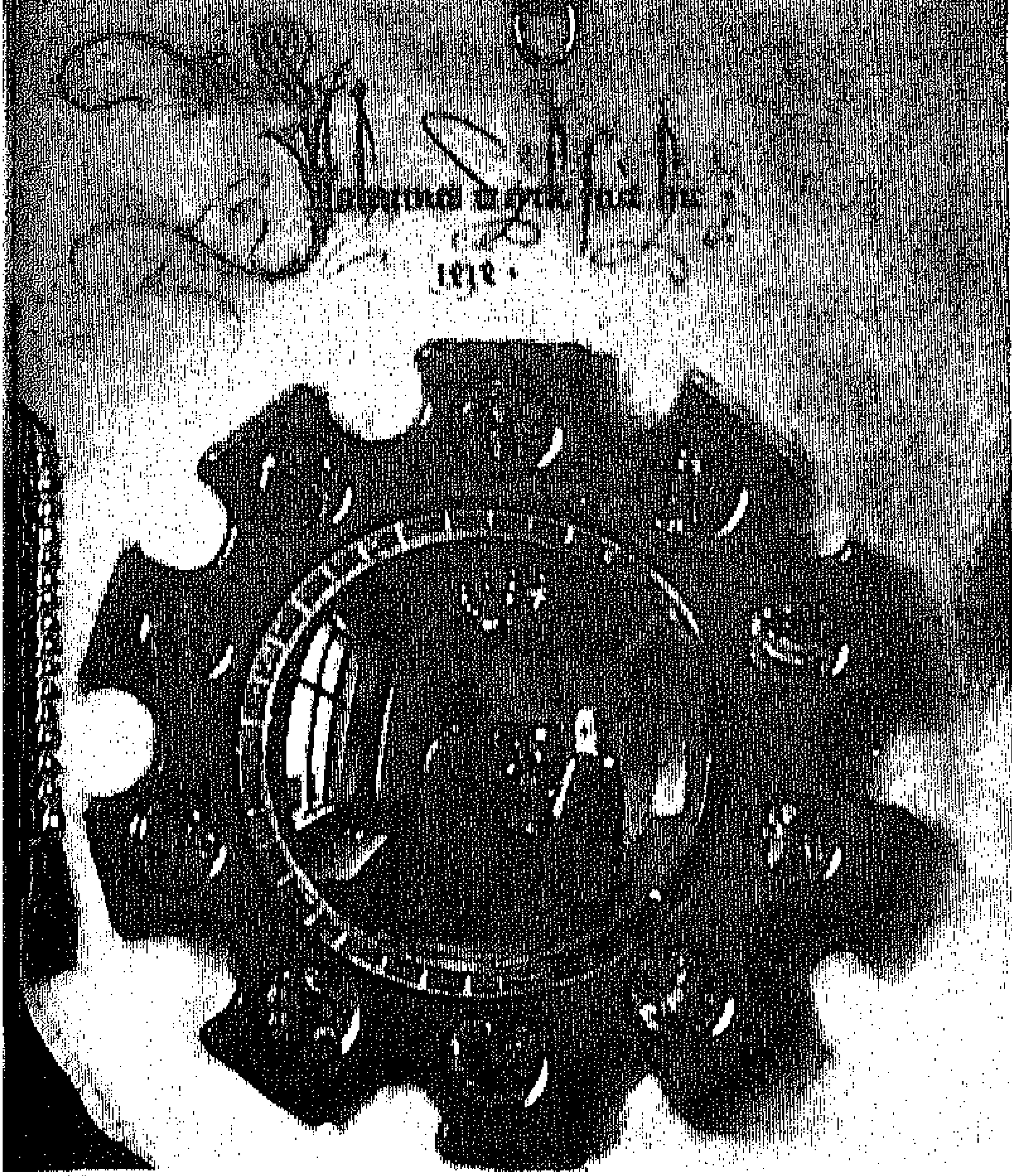


(شكل ٢٨) لوحة « عبادة الجمل » ، هيكل كنيسة مدينة جنت ١٤٣٢ ، بلجيكا .

وتتضح واقعية الأخ الأصغر فى الطريقة التى رسم بها آدم وحواء ، وهذه أول مرة يرسم فيها الجسد الآدمى عاريًا . وتظهر براعة الأخوين فى تسجيل التفاصيل الدقيقة للطبيعة فى الجزء السفلى من اللوحات الخشبية . ولقد استطاع الأخوان باستخدام الزيت فى التصوير أن يسجلا التفاصيل الطبيعية بدقة متناهية لا يمكن الوصول إليها بطريقة التصوير بالتمبرا . كما فتح هذا النوع من التصوير المجال لمصورى عصر النهضة المبكر فى الأراضى المنخفضة لتصوير الأشخاص . ويتضح ذلك فى صور الأشخاص الموجودة فى الجهة الخلفية للوحة ، وهما اللذان كلفا الفنانين بإتمام هذا العمل للكنيسة .

يعتبر جان فان آيك المؤسس الأول لمدرسة تصوير الأشخاص بالزيت فى بلاد الأراضى المنخفضة ، وبذلك سبقت بلاده إيطاليا فى هذا المجال . وانتقل هذا الفن إلى إيطاليا عن طريق بعض الفنانين الإيطاليين الذين نزحوا إلى بلاد الشمال للاستفادة من خبرات فنانيها ولقد نشروا ما تعلموه فى بلادهم بعد عودتهم إليها .

(شكل ٣٠) جان فان آيك ،
جزء تفصيلي من لوحة أرنوليفيني
وزوجته ، يوضح الأشكال المنعكسة
فى المرآة (أنظر لوحة ملونة رقم ٤) .





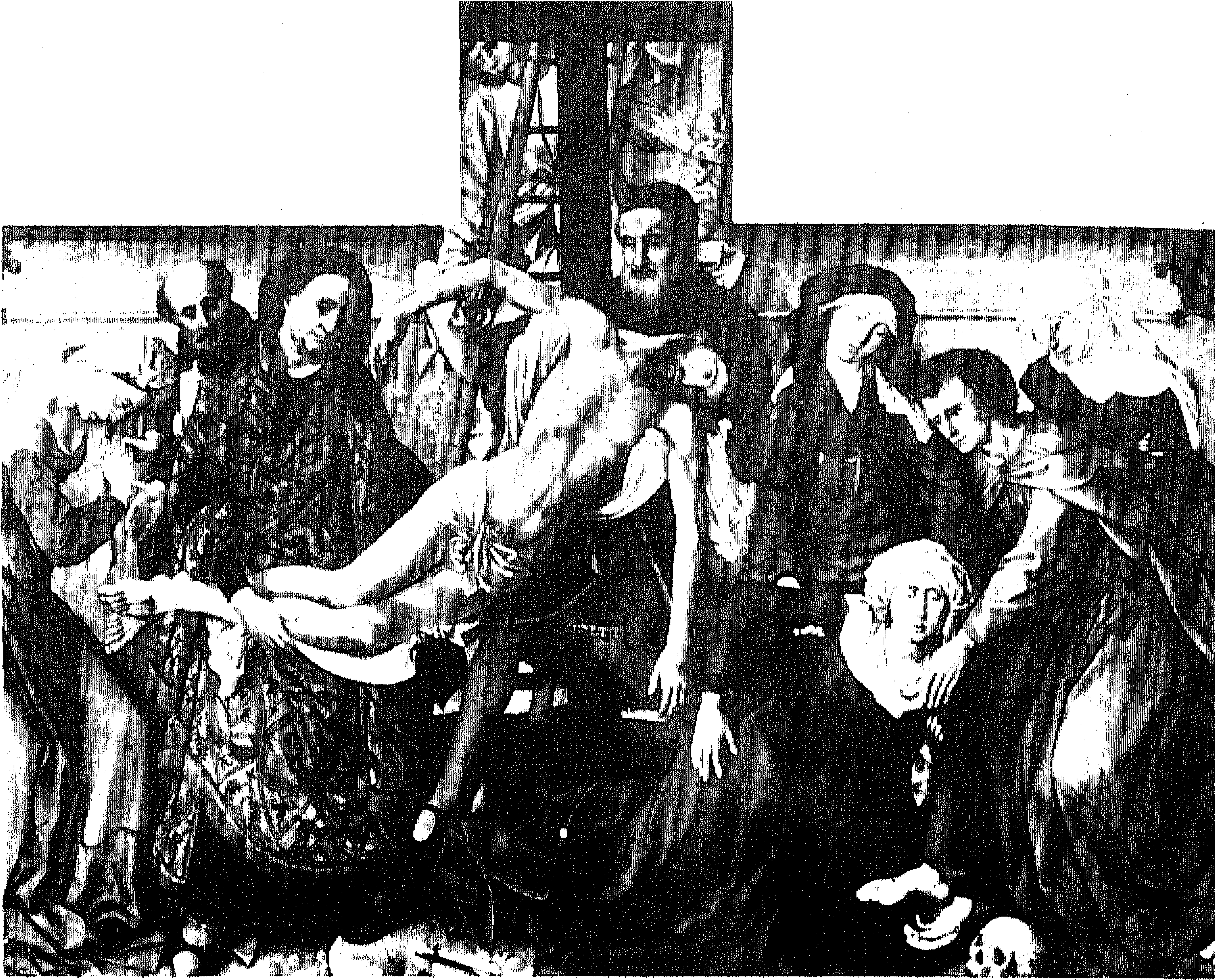
(شكل ٢٩) جان فان آيك ،
« الرجل ذو العمامة الحمراء » ،
١٤٣٣ ، المتحف الأهلى بلندن .

ويؤيد براعة فان آيك ودقته فى رسم الصور الشخصية لوحة الرجل « ذى العمامة الحمراء » التى رسمها عام ١٤٣٣ (شكل ٢٩) ولوحة زوجته التى رسمها عام ١٤٣٩ .

على أن مهارة « جان فان آيك » فى تسجيل التفاصيل الدقيقة تتضح أكثر فى لوحة جيوفانى « أرنو ليفيني وزوجته » « C . Arnolfini » التى رسمها عام ١٤٣٤ [**لوحة ملونة رقم ٤**] وتصور هذه اللوحة أحد رجال المال الإيطاليين مع زوجته ، فنرى العروسين واقفين فى حجرة النوم . وتظهر براعة المصور ودقته فى نقل صورة واقعية لأثاث الحجرة وللزوجين .

كما نلاحظ الدقة المتناهية فى رسم الكلب الواقف أمامهما ، وفى توضيح الأشكال المنعكسة فى المرآة المعلقة فى نهاية الحجرة . حيث نشاهد بها رسماً لشخصين كانا واقفين أمام العروسين ، ومن المحتمل أن يكون فان آيك أحدهما (شكل ٣٠) .

ازدهر الأسلوب الواقعى الذى أسسه الأخوان فان آيك بين مصورى المدن الفلمنكية . وأتاحت الاكتشافات التى توصل إليها المصورون الأوائل لظهور صف ثان من الفنانين فى المدن المختلفة حققوا شهرة فى عصر النهضة المبكر .

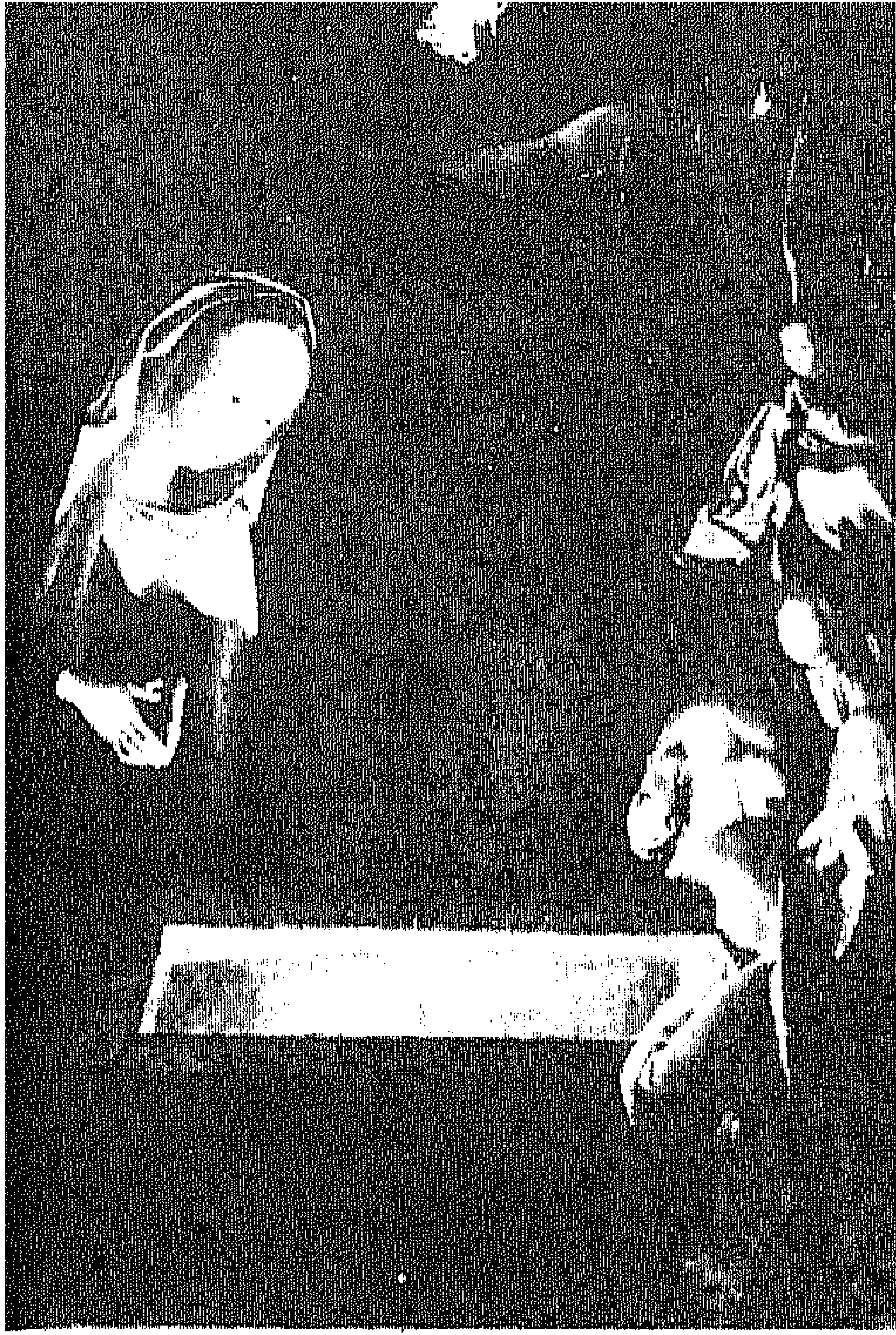


(شكل-٣١) روجرفان ديرفايدن ،
« إنزال المسيح » لوحة حوالى ١٤٣٥
متحف برادو ، مدريد .

روجرفان ديرودين « R . Van Der Wayden » ١٤٠٠ – ١٤٦٤) .

يعتبر هذا الفنان البلجيكى ثالث أعظم أساتذه فن التصوير الفلمنكى المبكر . تتلمذ على يد كامبان كما تتلمذ على يديه بعض المصورين الإيطاليين . ومن أشهر أعماله الدينيه لوحة « إنزال المسيح » شكل ٣١ ، أما أعماله فى مجال الصور الشخصية فمن أحسنها لوحة فرانشسكودستى .

ظهرت براعة عدد كبير من مصورى الشمال فى المراكز المختلفة ، فمن مدرسة بروج بزغ نجم « بتروس كرستوس « P.Cristos » الذى تأثر بالمصور فان آيك ، « وهانز مملنج « H.Memling » الذى اكتسب شهرة على رسمة لوحة العذراء والطفل المتوج الذى زين بها جدران مستشفى القديس جون .



(شكل ٣٣) جرتن نوت سنت ، « ميلاد المسيح » ، ١٤٩٠ ، المتحف الأهلي بلندن .



(شكل ٣٢) هوجوفان ديرجويس « هيكل بورتينارى » الجزء الأوسط يوضح ميلاد المسيح ، ١٤٧٦ ، متحف أوفيتزى ، فلورنس .

هوجوفان ديرجويس « H. Van Der Goes »

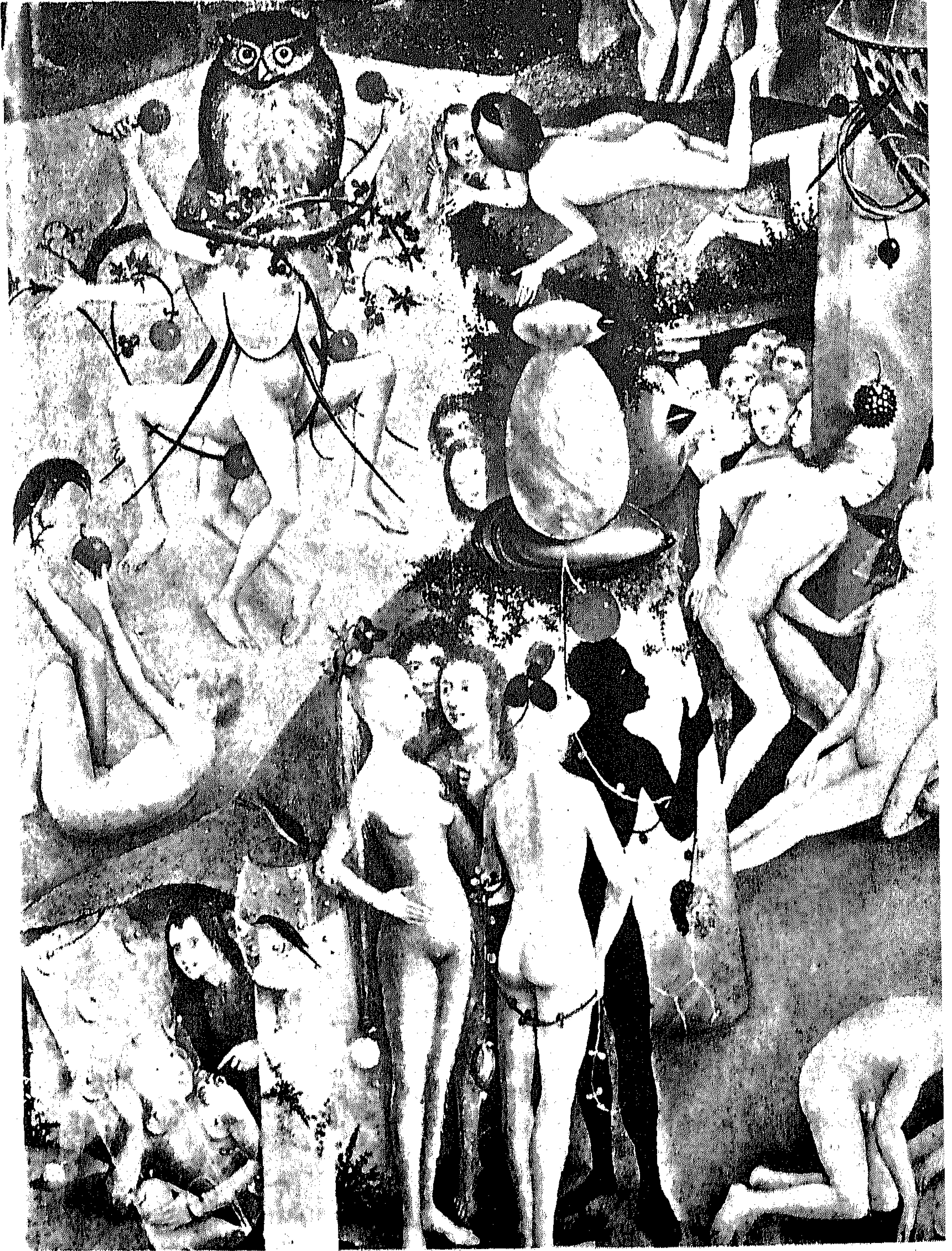
لمع هذا المصور فى جنت وظهرت براعته فى لوحة تصور « ميلاد المسيح » (شكل ٣٢) رسمها على هيكل كلفته به عائلة بورتينارى . ولقد اثار ذلك العمل الفنى اعجاب المصورين فى إيطاليا الذين شاهدوه عندما وصل إلى فلورنس حوالى ١٤٨٠ ليوضع فى مستشفى المدينة . وفى خلال الربع الأخير من القرن الخامس عشر لم يوجد فى بلاد الفلمنك مصورون على درجة فان جويس وإقتصر ظهور الفنانون الجدد الذين ظهروا فى الشمال على هولاندا فقط .

ولقد اشتهر فنان هارلم « جيرت جين توت سنت Geevtgen Tot Sint Jans » بدقته وواقعيته فى تسجيل الموضوعات الدينية ، وتتضح الاكتشافات التى توصل إليها فى فن التصوير فى لوحة « ولادة المسيح » (شكل ٣٣) حيث استخدم فيها الضوء المنبعث من الطفل ليوضح أشكال الأشخاص الموجودة فى الظلام .

جيروم بوش G. Boch ١٣٥٠ - ١٥١٦ .

ومن فنانى هولندا المبتكرين فى تلك الفترة المصور جيروم بوش الذى اشتهر برسم لوحات توضح الأحلام الغريبة والموضوعات الخيالية إلى جانب الموضوعات الدينية . ويعتبر فنه

رائداً لمذهب السيريالزم الذى ظهر فى القرن العشرين . ويوضح هذا الاسلوب الذى يجسد الخيال وما يدور فى العقل الباطن لوحة « جنة الملذات » (شكل ٣٤) التى رسمها عام ١٥٠٠ ،



(ش ٣٤) جيروم بوش . جزء من لوحة اللذات متحف برادو

ومن مصوري هولاندا المرموقين فنان هارلم جيرار دافيد (١٤٦٠ – ١٥٢٣) الذى اشتهر باهتمامه برسم المناظر الطبيعية .

ومن الفنون الجميلة التى بدأ ازدهارها فى تلك الفترة فى الفن الفلمنكى ، فن المنسوجات « Tapisserie » ونافست مدينة تورناى مدينة آراس الفرنسية منذ عام ١٣٩٠ . وكان النساجون هناك ينقلون موضوعاتهم من لوحات المصورين أمثال ديروايدان (شكل ٣٥) ومنذ عام ١٤٧٥ أخذت بروكسيل مكاناً مرموقاً فى هذه الصناعة التى استخدم نسّاجوها فيها خيوطاً من الحرير والذهب والفضة .

ومن الفنون الجديدة التى بدأ ازدهارها فى بلاد الأراضى المنخفضة فن الحفر على القوالب الخشبية لتستخدم فى طبع لوحات مصورة بالإضافة إلى طباعة الكتب . ولقد انتشر هذا الأسلوب الجديد فى توضيح الكتب فى جميع البلاد الأوربية . وفكرة الأختام المنقوشة ترجع إلى بلاد العالم القديم حيث كان أول من ابتكرها السومريون سكان العراق القديم ومنهم نقلتها بلاد الصين ، ثم انتقل هذا الفن بعد ذلك من الشرق إلى الغرب فى أواخر القرون الوسطى عن طريق العرب أو المغول أو الرحالة المستكشفين أمثال ماركو بولو .



(شكل ٣٥) نسيج حائطى (تايسرى) يوضح موضوع الصيد ، ١٤٢٥ – ١٤٥٠ ، فلامنك ، متحف فيكتوريا وألبرت .

الفصل الثانى

عصر النهضة المبكر فى إيطاليا
١٤٠٠ — ١٦٠٠

مقدمة تاريخية :

كانت إيطاليا فى فجر القرن الخامس عشر أغنى دولة فى أوربا ، وتتألف من عدة دويلات يحكم كلاً منها إحدى العائلات الثرية . وفى حوالى عام ١٤٠٠ خضع معظمها لسيطرة دوق ميلانو القوى فيما عدا فلورنس التى تمكنت بفضل قوة زعمائها من مقاومة هذه السيطرة .

كما نجحت فى أن تصير بعد ذلك أهم مركز إشعاع حضارى وثقافى وفنى فى إيطاليا . ويرجع الفضل فى ذلك إلى العائلات الثرية التى كرست أموالها لإعلاء شأن جميع الفنون .

وأشهر هذه العائلات أسر ميدتشى « Medici » و « بيتى Pitti » و « باتسى Pazzi » و « ستروتزى Strotsi » وغيرها من الأسر التى كانت تشتغل بالمال والتجارة . والواقع أن عائلة ميدتشى التى حكمت فلورنس لمدة طويلة (١٤٢٤ - ١٤٩٤) كان لها الفضل الأكبر فى تشجيع الفنون فى فلورنس .

وكان أعظم زعماء هذا البيت كوزيمو الفخم (١٣٨٩ — ١٤٩٤) الذى تولى السلطة عام ١٤٣٤ ولورنزو العظيم (١٤٤٨ — ١٤٩٢) . فأقام كوزيمو أكاديمية لدراسة فلسفة وكتب أفلاطون . وداوم هذان الحاكمان على اقتناء المخطوطات اليونانية والرومانية القديمة الموجودة بالمراكز اليونانية ودمشق وأنطاكية ، كما شجعا على دراسة العلوم التى تتصل بالإنسان . ولقد كان لتشجيعهم للفنانين المختلفين على الإنتاج أن صارت فلورنس المركز الرئيسى للفنون والحضارة كما كانت أثينا سابقاً .

ولقد انتقل هذا النشاط الفنى إلى بيزا وجنوا والبندقية بعد ذلك ، خاصة بعد أن سقطت القسطنطينية فى أيدى العثمانيين فى عام ١٤٥٣ حيث إزداد ثراء هذه المدن بعد نشاط الحركة التجارية فى الطرق المؤدية للشرق .

نشطت الحركة الفنية بعد ذلك فى روما بفضل البابوات الذين حكموا فى الفاتيكان وكان على رأسهم نيقولا الخامس وجوليوس الثانى وسكتوس السادس وليو العاشر الذى كان ينتمى إلى أسرة ميدتشى . ولقد اهتم هؤلاء الحكام بإرسال البعثات إلى كل مكان للبحث عن

المخطوطات اليونانية القديمة وجمعها فى مكتبة الفاتيكان وترجمت هذه المخطوطات إلى الإيطالية ليتمكن الأدباء من دراستها .

وانتشرت هذه الحركة الأدبية التى تبحث فى الإنسانيات فى أنحاء أوربا . وكان لازدهار هذه الحركات الأدبية فى أنحاء إيطاليا ، أثر واضح فى تشجيع الفنانين على البحث عن أساليب جديدة لتطوير الفنون . وصارت فلورنس منذ مطلع القرن الخامس عشر هى مركز الإشعاع الحضارى والفنى فى إيطاليا وحاملة لواء تيار النهضة بعد أن تحررت نهائياً من سيطرة الفنين البيزنطى والقوطى منذ أواخر القرن الرابع عشر . ويلاحظ فى تلك الفترة أن الفنان صارت له شخصية مستقلة منفردة يعتد بأسلوبه الفنى كما يقبل على منافسة زملائه.

عصر النهضة المبكر فى فلورنس

١٤٠٠ — ١٤٥٠

أنجبت فلورنس أعظم فنانى هذا القرن الذين تمكنوا من اكتشاف طراز فنى جديد مستمد من أمجاد حضارتهم القديمة الاغريقية الرومانية . وكان الحكام فى روما وميلان والبندقية يسعون فى طلب خدماتهم ولقد شاءت الصدف أن يكون الميدان الفنى الأول الذى انطلقت منه الإشعاعات الفنية فى عصر النهضة هو فن النحت .

وذلك لأن الفنانين الذين سنحت لهم الفرصة فى البحث عن روائع الفنون الكلاسيكية القديمة التى نادت بها الحركة الإنسانية الجديدة كانوا المثالين وليسوا المعماريين أو المصورين .

النحت

وكان مجال هذه الدراسة ، المسابقة التى أقامها حكام مدينة فلورنس فى الفترة (١٤٠١ - ١٤٠٢) لعمل تصميم لوحات برنزية تزخرف بها أبواب معمودية فلورنس . واختبر كنموذج لموضوع المسابقة لوحة تصور قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عندما أرسل له الإله الملاك جبرائيل بالكبش ليفتدى الابن .

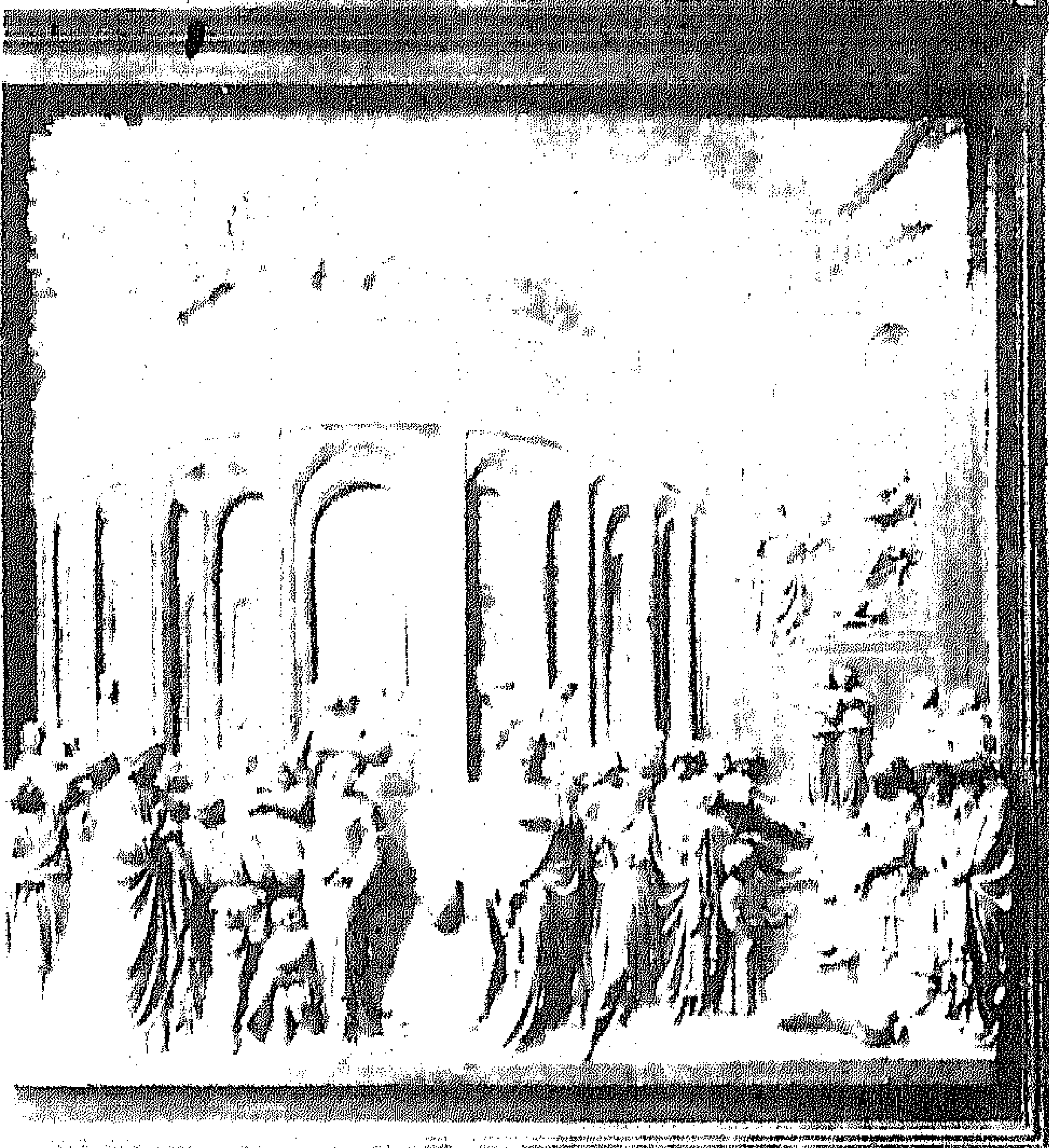
تنافس فنانو فلورنس الشبان فى تصميم لوحة لهذا الموضوع وكان من أبرزهم « لورنزوجيبرتى » « وفيليبوبرونيلسكى » و « دوناتللو » . وكانت لوحاتهم بالرغم من تصميماتها القوطية متأثرة بفنون العالم الكلاسيكى التى تبدى اهتماماً بدراسة الجسد البشرى .

لورنزو جيبرتى L.Ghiberti (١٣٧٨ - ١٤٥٠)

فاز مشروع « جيبرتى » لقوة تصميمه وجمال خطوطه (شكل ٣٦) بينما رحل « برونيلسكى » و « ودوناتللو » إلى روما ، وعكف الأول على دراسة العمارة الرومانية القديمة بينما اهتم الثانى بدراسة روائع فن النحت الكلاسيكى . وفى تلك الفترة أتم جيبرتى مجموعته الرائعة لباب المعمودية الثانى الذى يتكون من ثمان وعشرين قطعة واستغرق فى نقشها عشرين عاماً ، ووضع هذا الباب مكان باب أندريا بيزانو الذى نقشه منذ قرن للمعمودية ، ونقل إلى الجهة الجنوبية . ويلاحظ أن بها تقدماً فنياً فى التصميمات وأسلوب المعالجة عن الأبواب المشابهة لها التى قام بنقشها أندريا بيزانو وفى فترة عمل جيبرتى فى الباب الثانى للمعمودية ، عاد دونا تيللو إلى فلورنس بأسلوبه المتطور الكلاسيكى مما أكسبه شهرة ، كما برغ النحجات نانودى بانكو . ويتضح تأثر جيبرتى بالأساليب الجديدة فى لوحات الباب البرنزى الثالث (شكل ٣٧) الذى نقشه فى الفترة ١٤٢٥ لمعمودية فلورنس ولقد قال عليه ميكل أنجلو عام ١٤٥٢ « أنه يصلح لأن يكون إحدى بوابات الجنة (شكل ٣٨)



(شكل ٣٦) لورنزو جيبرتى ، نقش على البرونز ، « تضحية إبراهيم لابنه إسماعيل » متحف بارجيللو ، فلورنس



(شكل ٣٧) لورنزو جيبرتى ، جزء تفصيلى من « بوابات الجنة » ، الباب الثالث ، معمودية فلورنس .



(شكل ٣٨) لورنزو جيبرتي ،
الباب الثالث ، « بوابة الجنة » .
معمودية فلورنس .

دوناتللو Donatello (١٣٨٦ - ١٤٦٦)

كان « دوناتللو » أول الفنانين الذين نبذوا الطراز القوطى بعد عودته من روما . واتجه إلى تأييد الحركة الجديدة التى تهدف إلى الاهتمام بدراسة الإنسان . وتظهر فى أعماله ابتكارات جديدة أهمها الإحساس بالواقعية والدقة فى المحاكاة ، مما جعله أشهر فنانى عصره ومقرباً إلى كوزيموميدتشى .

مارس « دونا تللو » صناعة المعادن مع الفنان « جيبرتى » إلا أنه نافس أستاذه فى النقش على المعدن وظهر ذلك فى الأعمال التى قام بها منذ عام ١٤٢٠ ، حيث اهتم فيها بتسجيل العمق . وربما تأثر جيبرتى بأسلوب تلميذه الذى إهتم بدراسة الإنسانيات فى لوحات ضلفتى البوابة الثالثة .

برع « دونا تللو » فى نحت التماثيل وكان يهدف فى عملـه إلى بعث الحياة فيها وإبراز العضلات التى تعبر عن قوة الأشخاص . وكلف بعمل تماثيل لبعض القديسين لوضعها فى حنايا كنيسة القديس ميخائيل بفلورنس ، كما كلفته مدينة بادوا فى عام ١٤٤٣ بعمل تمثال لبطلها « جاتا ميلاتا Gatlamelata » ليوضع فى الميدان الرئيسى . ويلاحظ فى تنفيذه لهذا التمثال أن فكرته مستوحاة من ثمثال الإمبراطور الرومانى « ماركوس اوليبوس Aurelius Aarcus » المقام فى روما .

إلا أن أشهر أعمال « دونا تللو » هو تمثال من البرنز يصور قصة البطل « داود الذى انتصر على الشرير جوليات (شكل ٣٩) . ويوضح هذا التمثال التطور الذى طرأ على فن النحت فى أوائل عصر النهضة ، حيث نجد أنها أول محاولة لنحت تمثال عار للجسد البشرى منذ العصور القديمة . ويذكرنا هذا التمثال بالانحناءة الموجودة فى أجسام التماثيل الإغريقية . ولأن الهدف من نحت هذا التمثال كان بغرض وضعه فى ساحة قصر عائلة ميدتشى ، نجد أنه مصمم ليرى من جميع الجهات .

وبالرغم من أن « دونا تللو » كان عبقرياً وأجرأ فنان فى عصر النهضة المبكر بدون منازع وقام بنحت تماثيل واقعية بعيدة عن الجمال فى تمثال ماريا مجدالينا (شكل ٤٠) إلا أن طراز فن النحت المتطور الجديد كان فى أول الأمر مكملا لفن المعمار ، فى الوقت الذى نجد فيه أن عمارة عصر النهضة يرجع الفضل فى تطورها إلى شخص واحد هو المهندس برونيلسكى .

(شكل ٤٠) دوناتللو ، تمثال من الخشب يصور القديسة مـــارى ماجدالينا ، ١٤٥٤ — ١٤٥٥ ، معمودية فلورنس .





(شكل ٣٩) دوناتللو ، تمثال من البرونز يصور « داود » ، ١٤٣٠ — ١٤٣٢ ، المتحف الأهلى بارجيللو ، فلورنس .

العمارة :

ظهر تغيير كبير فى فن المعمار فى أوائل القرن الخامس عشر وذلك نتيجة للنزعة الدنيوية التى طرأت على المجتمع الإيطالى . حيث اهتم الأثرياء والطبقة الحاكمة فى فلورنس بتشييد القصور الفخمة ، كما شيدت أيضاً مبان للأغراض النفعية ولخدمة المجتمع الفلورنسى . ويتضح فى هذه المبانى أن معماريى عصر النهضة قد نبذوا كلية الطراز القوطى المستورد من فرنسا ، والذى كانوا دائماً يقللون من شأنه ، واستبدلوا به طرازاً جديداً متطوراً مستمداً من فنونهم القديمة .

فيليبوبر ونيلسكى Filippo Brunelleschi (١٣٧٧ - ١٤٤٦)

يرتبط طراز المرحلة المبكرة فى عصر النهضة فى العمارة بالفنان المهندس « برونيلسكى » ، وذلك للقبة الضخمة التى أقامها فى عام ١٤٢٠ على القاعدة المثمنة الموجودة فى كتدرائية فلورنس (سانتاما ريادبل فيورى) (شكل ٤١) وكانت القباب الضخمة قد اختفت من العمائر فى إيطاليا منذ العصور الوثنية .

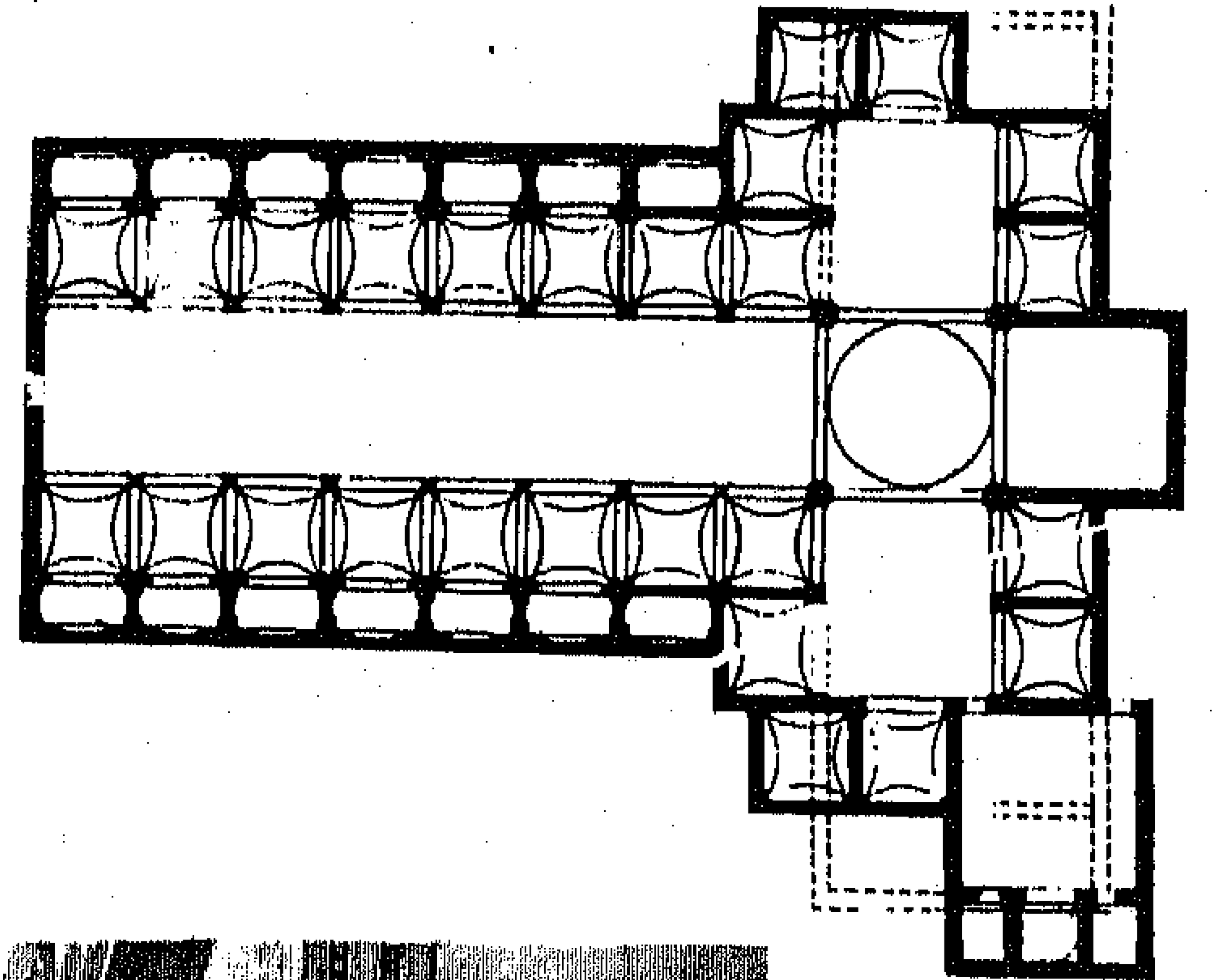
(شكل ٤١) برونيلسكى ، « قبة كاتدرائية فلورنس » ، ١٤٢٠ - ١٤٣٦ ، فلورنس .



والواقع أن « برونيلسكى » كان أعجوبة عصره ، بدأ حياته الفنية بأعمال الصياغة ، ثم إنتقل إلى ممارسة فن النحت ، إلا أنه ما لبث أن تخلى عن هذا الفن عندما فاز عليه جيبرتى كما ذكر من قبل فى مسابقة بوابة معمودية فلورنس . فذهب إلى روما لدراسة عمارة الرومان القديمة . وبعد أن قام بعمل دراسات تفصيلية دقيقة لتصميماتها . رسمها على الورق بعد دراسته لقوانين المنظور العلمية . وبعد أن عاد إلى فلورنس قام بتصميم مشروع قبة للكتدرائية التى شيدها المهندس دى كامبيو فى عام ١٢٩٦ . وفاز مشروعه .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الكتدرائية التى تمثل المرحلة الأولى لعصر النهضة تضم عمارتها طرزاً مختلفة : مبنى الكنسية الذى شيده « دى كامبيو » وتظهر به ملامح من الفن الرومانسكى ، برج الكنيسة الذى شيده « جيوتو » وتتجلى فيه النزعة القوطية . والقبة الضخمة التى شيدها « برونيلسكلى » التى تمثل عهد النهضة .

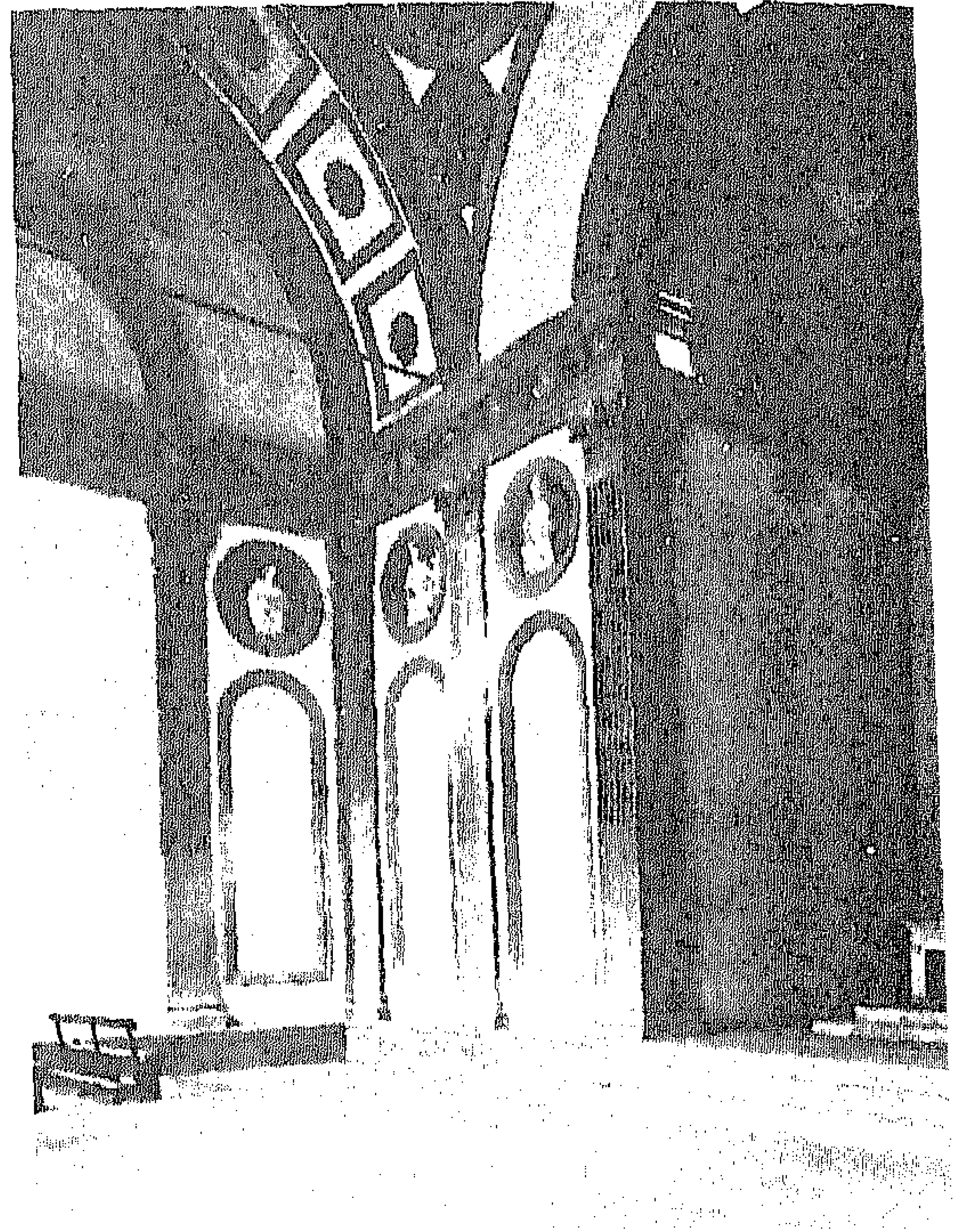
وعندما كان برونيلسكلى يقوم باللمسات النهائية لتصميم القبة . أتيحت له الفرصة



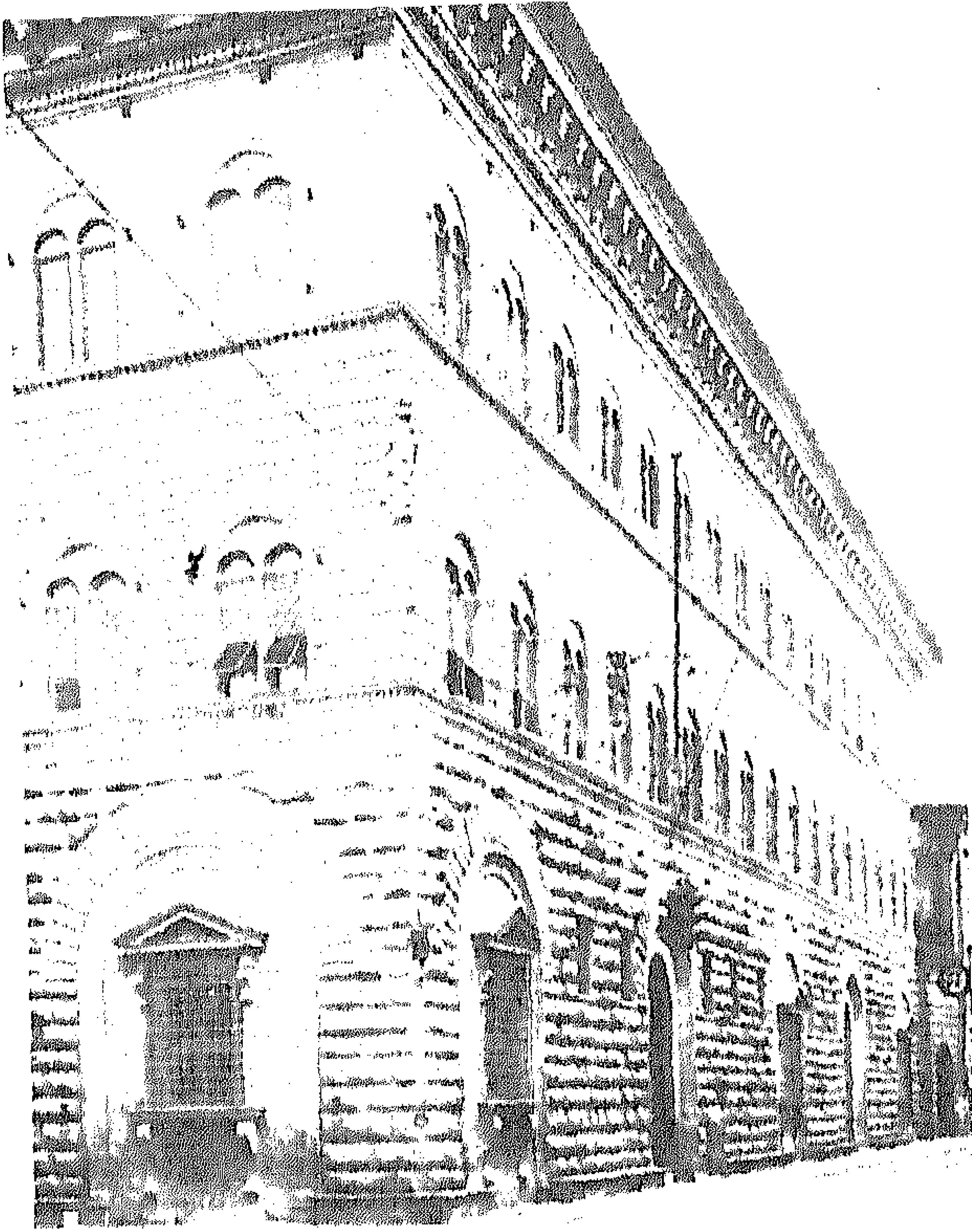
(رسم ٤١) تخطيط كنيسة القديس لورنزو ١٤٢١ ١٤٦٩ . فلورنس إيطاليا .

(شكل ٤٢) برونيلسكى ، كنيسة القديس لورنزو من الداخل ، ١٤٢١ ١٤٦٩ . فلورنس .





(شكل ٤٣) برونيلسكى ، مصلى عائلة باتسى بكنيسة سانتا جروتشى ١٤٣٠ – ١٤٣٣ ، فلورنس .



(شكل ٤٤) ميكولوزوا ، قصر عائلة ميديتشى (ريكاردى) ١٤٤٤ فلورنس .

للقيام بتصميم عمل كامل ، وكان ذلك عندما كلفته عائلة ميـدتشى بإعادة بناء كنيسة القديس لورنزو الرومانسكية . (شكل ٤٢) (ورسم د) فى عام ١٤٢١

وتظهر فى داخل هذه الكنيسة أعمدة كورونثية كلاسيكية كما يعلو تقاطع الصليب قبه وتتجلى مقدرة « برونيلسكى » فى الجمع بين القوة والجمال والرقة فى عمل واحد ، فى المعبد الذى أقامه لعائلة « باتس » فى كنيسة « سانتا جروتش Sta Groce » (شكل ٤٣) فى الفترة من ١٤٣٠ - ١٤٣٣ ويظهر فى هذا المعبد أهم مميزات العمارة فى عصر النهضة ، وهى زخرفة سطح الجدران بالآجر الوردى الذى تتخلله قواطيع من الرخام الأبيض .

ولم تقتصر عبقرية « برونيلسكى » عند حد تشييد العمائر الدينية ، بل تجد أن كفاءته قد اتضحت أيضاً فى المبانى الدنيوية التى كلف بتصميمها . ومن أشهرها قصر رجل المال « بيتى » ١٤٤٠ الذى نفذه المهندسان فانشيلي وأمانتى ولقد تأثر بتصميم هذا القصر المهندس ميكيلوزو عندما صمم قصر ميدتشى ريكاردى الذى شيد فى حوالى ١٤٤٤ (شكل ٤٤) .

التصوير :

مضت فترة طويلة فى فلورنس بعد موت المجدد العبقرى جيوتو فى عام ١٣٣٧ لم يظهر فيها مصورون يساهمون فى تطوير فن التصوير وبالرغم من أن التصوير فى المرحلة المبكرة لعصر النهضة بدأت بوادر ازدهاره عام ١٤٢٠ ، أى بعد ظهور أعمال للعباقرة دوناتللو المثال وبرونيلسكى المهندس ، إلا ان الإنجازات المتطورة التى ظهرت فى هذا الميدان كان تقدمها السريع شيئاً غير عادى بالمقارنة مع التطورات التى ظهرت فى فنون النحت والعمارة .

إلا أننا يجب ألاّ نتجاهل أن الفضل فى ازدهار تصوير عصر النهضة يرجع إلى الابتكارات التى سبق أن قدمها جيوتو عبقرى فلورنس فى القرن الرابع عشر . فالواقع أن جيوتو كان أول من فتح الطريق لمدرسة التصوير الجديدة التى اهتمت بدراسة السطح والعمق فى الصورة . كما يعتبر الممهد الأول لأسلوب الواقعية الذى ظهر فى التصوير الحديث .

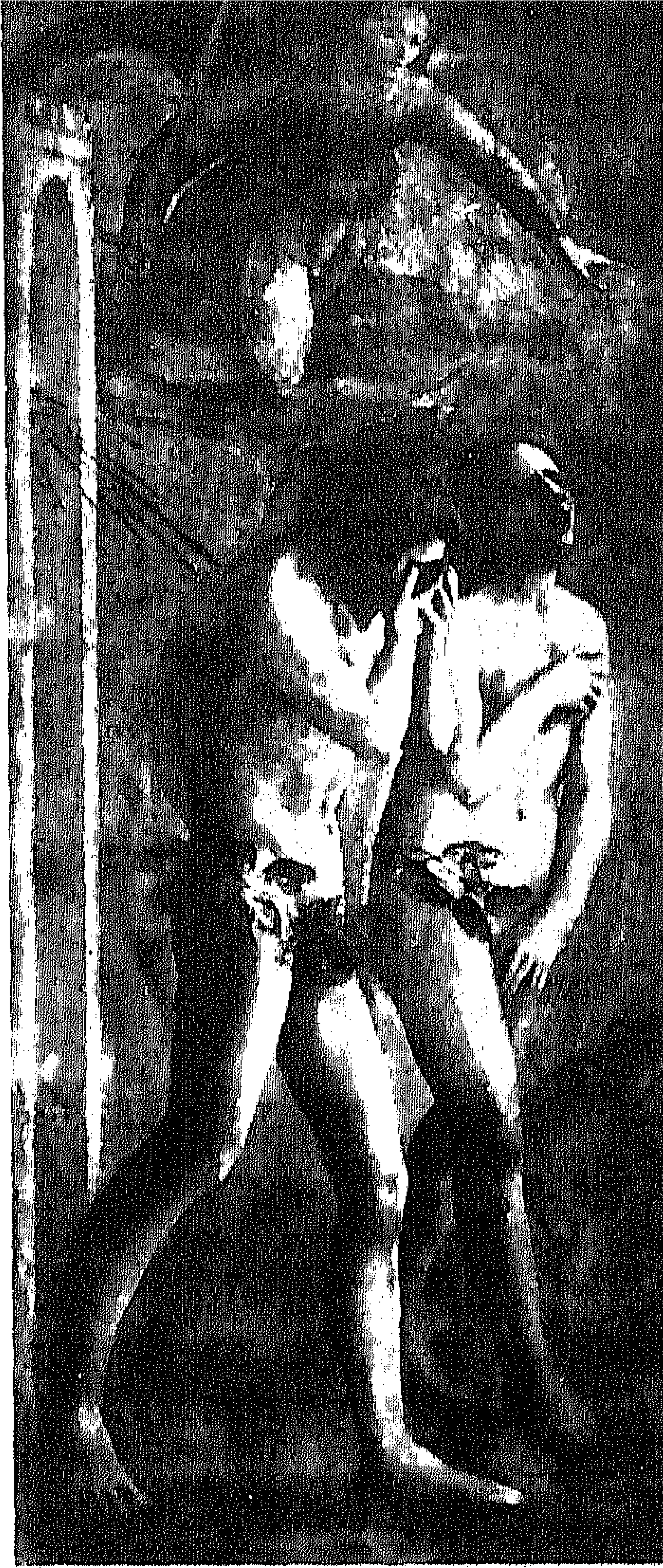
وإذا اعتبرنا أن جيوتو كان الممهد الرئيسى لفن عصر النهضة ، فإن الفضل الأكبر لتأسيس مدرسة تصوير عصر النهضة يرجع إلى مصور عبقرى من فلورنس يدعى ماساتشو .

ماساتشو Massacio (١٤٠١ - ١٤٢٨)

كان ماساتشو أعظم مصورى إيطاليا فى عصره وصديق برونيلسكى ودوناتللو ، تزعم الحركة التى أكسبت الجسد البشرى صفة المتانة والاستقرار فى اللوحة وأكسبتها نشاطاً حيوياً . كما فتح الطريق للأبحاث العلمية والتشكيلية فى فن التصوير . مثل مبادئ علم التشريح وقواعد فن المنظور وتأثير الضوء والظل .

كانت الحركة التى تزعمها ماساتشو فى فلورنس تهدف إلى الخروج بالتصوير من حيز التقاليد الدينية ، وذلك عن طريق الاهتمام بدراسة الإنسان ومظاهر الطبيعة . وكان أهل فلورنس متحمسين لدراسة العالم الموجود حولهم ، كما كانت لهم رغبة فى إعادة تقويم الجنس البشرى . سواء كان ذلك عن طريق رسم أو نحت أشكال للأفراد العاديين بدلاً من الطراز التقليدى القديم . ولم يكونوا متأثرين بالدين كلية كما كان أهل فلورنس فى الماضى .

والواقع أن « ماساتشو » استفاد كثيراً من التجارب التى أثمرت من قبل فى ميادين النحت والعمارة ، وشاهد الأعمال الناجحة التى قام بها « دوناتللو » لدراسة جسم الإنسان . ووجد « ماساتشو » أن فن التصوير هو المجال الأمثل لتحقيق هذا الهدف الذى قد يصعب توضيحه على الوجه الأكمل فى فن النحت . وتبدو أشخاصه المنعكس عليها الأضواء وكأنها تماثيل راسخة .



(شكل ٤٥) ماساتشو ، « طرد آدم وحواء من الجنة » ، أفريسكو فى مصلى برانكاتشى ، ١٤٢٧ ، كنيسة سانيا ماريا ديل كارمن — فلورنس .

ومن أحسن أعماله مجموعة من التصاوير الجدارية قام برسمها لمصلى برنكاتش فى كنيسة سانتا ماريا ديل كارمن بفلورنس فى عام ١٤٢٧ . وتوضح هذه الصور موضوعات متعددة من الإنجيل وأحداث مرتبطة بالمسيح مثل موضوع الجزية [**لوحة ملونة رقم ٥**] .

ومن أبرز هذه الصور . لوحة تمثل « طرد آدم وحواء من الجنة » (شكل ٤٥) . ويعرض الموضوع رجلاً وامرأة يخرجان من باب على اليسار بينما يظهر فى الجزء العلوى ملاك محلق فى السماء يشير إليهما بالخروج ، ويوضح العمق سلسلة من الجبال .

وبدراسة هذه الصورة نلاحظ اهتمام « ماساتشو » بالشخصين الرئيسيين فى الموضوع وهما آدم وحواء ، حيث رسمهما بحجم كبير يشغل المساحة الرئيسية فى الصورة كما نشعر برسمه لأجسامهما بأنهما كتلتان راسختان على جانب كبير من المتانة ، ونشعر بالحركة التى يقومان بها فى الأرجل المسحوبة .

وتثير هذه الصورة التى توضح الألم الذى يعانيه كل منهما انفعالنا ، فنشعر بالعطف والشفقة عليهما حيث يظهر اليأس على وجه حواء الباكى بعد أن فوجئت بخروجها من الجنة ، كما يتضح انفعال الندم والخجل الذى يشعر به آدم فى إخفائه لوجهه بيديه . ويساعد الضوء الذى ينعكس على الناحية الأمامية من أجسادهما المحاطة بالظلام ، على بروز آدم وحواء من سطح اللوحة فيبدوان كأنهما تمثالان .

ونستنتج من هذه اللوحة أن « ماساتشو » كان بارعاً فى تصوير الأجساد العارية ، كما كان أول فنان فى إيطاليا يصور حواء عارية ، كذلك كان فى معالجته للموضوعات المسيحية ، يرسم أشخاصه وكأنهم أفراد عاديون من المحيطين به ، ولم تظهر قدسية على وجه العذراء أو المسيح فى صوره .

إلا أن وفاة « ماستشو » المبكرة تركت فراغاً فى ميدان التصوير لفترة ، وتظهر بعد ذلك مدرسة تصوير اتجه مصوروها إلى معالجة الموضوعات الدينية بطريقة مقدسة وأحسن من مثل هذا الأسلوب .

الراهب أنجيليكو « Fra Angelico » ١٣٨٧ – ١٤٥٥

نشأ الراهب جيوفانى دافيتسولى « C . Da Flesole » الشهير بأنجيليكو فى دير القديس دومينيك بمدينة فيسولى ولما أكتشف رهبان الدير كرتونا أن له موهبة فى فن التصوير كلفوه فى عام ١٤٣٠ بتزيين جدران الدير بلوحات دينية كان أجملها لوحة تتوج العذراء .

وعندما وهب البابا دير القديس مرقص بفلورنس إلى اتباع القديس دومونيك كلف انجيليكو بزخرفة جدرانه بعد إعادة بنائه ، فرسم عدداً كبيراً من الموضوعات المسيحية أجملها الهروب من مصر « والبشارة » (شكل ٤٦) . وإذا قورنت هذه الصورة بالموضوع المشابه الذى رسمه سيمون مارتينيه من قبل [**لوحة ملونة رقم ٣**] نلاحظ أن أشخاص أنجليكو تنعكس عليهم القدسية والورع بدلاً من الجمال الأرستقراطى الذى اهتم به مارتينيه .

ولقد تأثر أنجيليكو كثيرًا بأسلوب ماساتشو ، وكان الراهب قد شاهد أعمال الفنان على جدران كنيسة كارمن بفلورنس . ولقد تميز أنجيليكو بمقدرة كبيرة فى مزج الألوان للحصول على درجات مختلفة من اللون الواحد

الأخ فيليب ليبى Fra Filippo Lippi (١٤٠٦ - ١٤٦٩)

عاصر هذا الراهب المصور أنجيليكو ، وكان من المصورين المتأثرين بأسلوب ماساتشو



(شكل ٤٦) فرا انجيليكو « البشارة » ١٤٤٠ - ١٤٥٠ ، افريسكو بكنيسة القديس مرقص ، فلورنس .



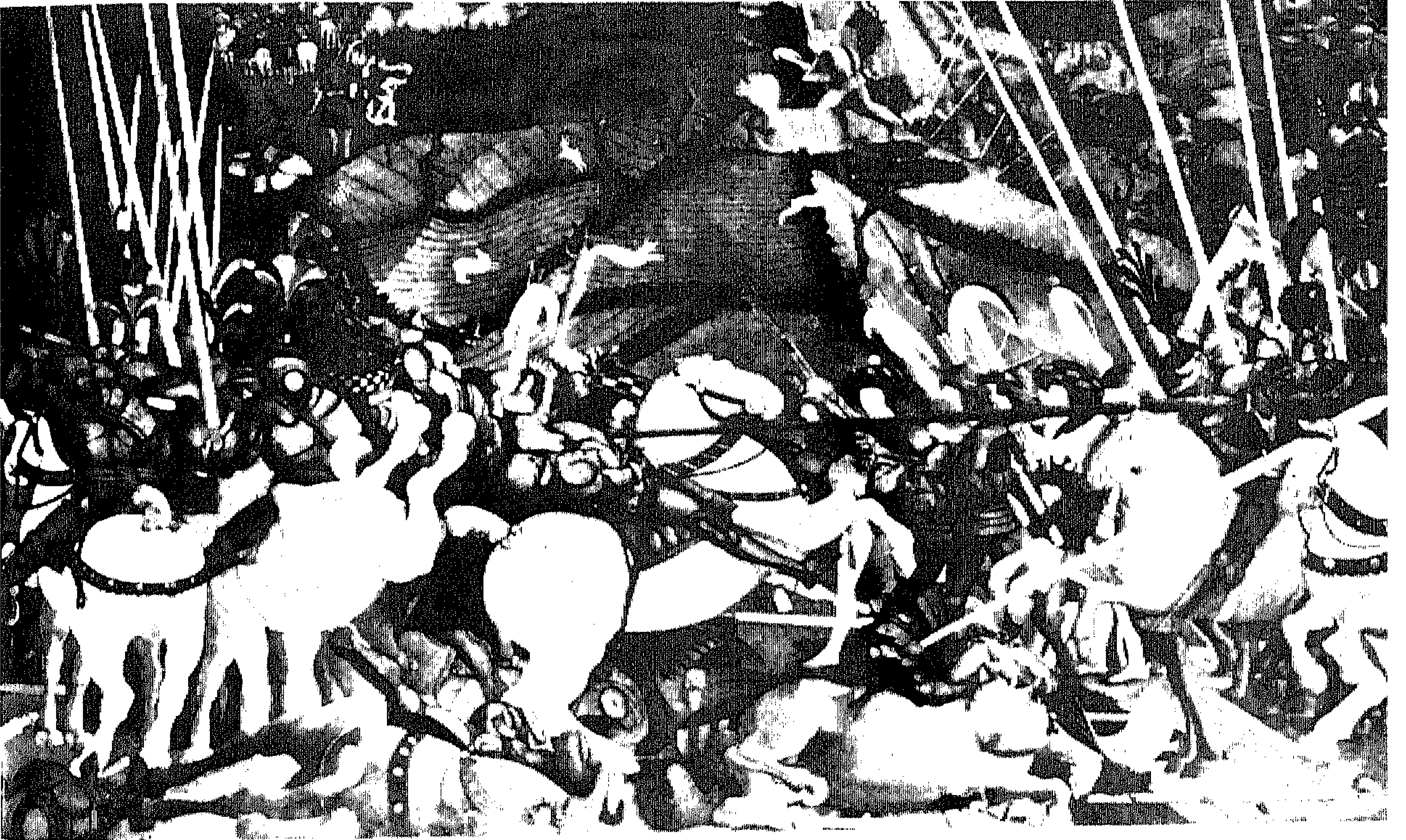
(شكل ٤٧) فيليبوليبي ، « العذراء وطفلها » لوحة ، ١٤٣٦ ، قصر بيتى ، فلورنس .

فى فن التصوير وأسلوب دوناتللو فى فن النحت ، لذلك استطاع أن يوضح الجمال البشرى فى أجسام نساءه أكثر من أى فنان من فنانى تلك الفترة . وعندما طُلب منه رسم صورة للعذراء لم يعتمد على الخيال بل استوحى شكلها من راهبة جميلة بالدير ، لذلك ، تبدو العذراء فى لوحاته (شكل ٤٧) وكأنها إحدى جميلات فلورنس بدلا من القدسية التى كانت تتميز بها من قبل .

تتميز أعمال « ليبى » بالاهتمام بتوضيح العمق فى الخلفيات التى يختارها من المناظر الطبيعية أو المبانى الجميلة . ومن المرجح أنه تأثر بفن الأراضى المنخفضة التى ظهرت بها نهضة فى فن التصوير عندما زار هذه البلاد فى عام ١٤٣٠ . ومن أحسن أعماله لوحات الافريسكو التى رسمها على جدران القديس ستيفن بفلورنس .

باولو اوتشلو Paolo Uccello (١٣٩٧ - ١٤٧٥)

من المصورين الذين عاصروا « ماساتشو » وكان من أكثر فنانى عصره اهتماماً بدراسة فن المنظور . ومن أشهر أعماله التى توضح اهتمامه بالعمق ، ثلاث لوحات مستمدة من التاريخ تمثل « معركة القديس رومانو» رسمها لقصر ميدتش فى الفترة ١٤٥٤ - ١٤٥٧) وهى موزعة حاليًّا بين متاحف اللوفر وأوفتزى بفلورنس والمتحف الأهلى بلندن (شكل ٤٨) .



(شكل ٤٨) باولو أوتشيللو ، « معركة القديس

عصر النهضة فى وسط وشمال إيطاليا

١٤٥٠ – ١٥٠٠

انتشر النشاط الفنى إلى مختلف المقاطعات الإيطالية فى الفترة التى تنحصر بين عامى ١٤٥٠ - ١٥٠٠ ، وكان عدد تلك المقاطعات ستا : جمهورية البندقية ، مملكة نابولى ، دوقية ميلانو ، جمهوريتى فيرارا وسافوى بالإضافة إلى جمهورية فلورنس التى استمر نشاطها الفنى قائماً حتى وفاة لورنزوميدتشى فى عام ١٤٩٢ م .

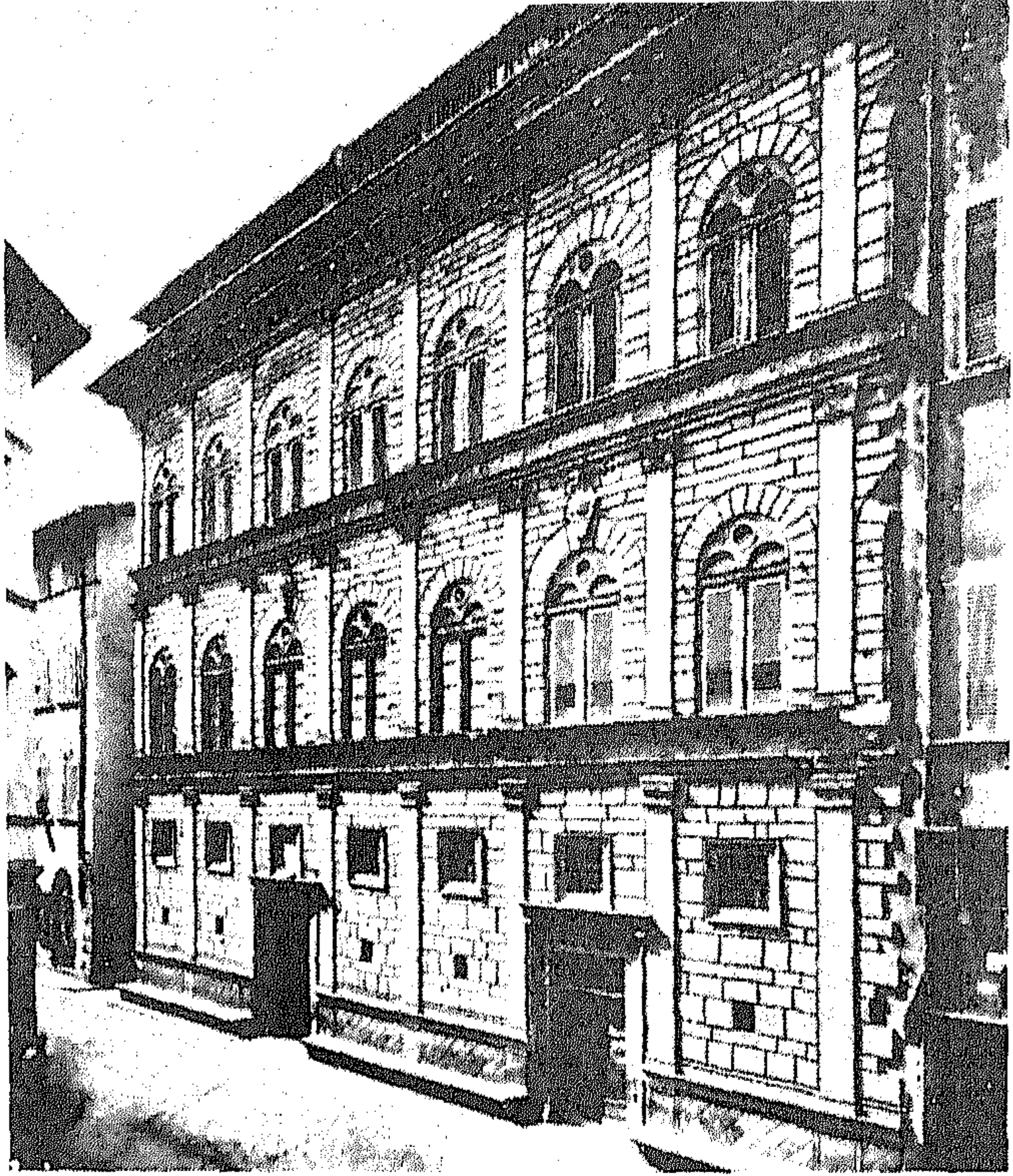
ومنذ منتصف القرن الخامس عشر لا تقتصر زعامة فن النهضة على فلورنس عاصمة إقليم توسكانيا ، بل نجد أن مبادئ هذا الطراز الجديد الذى اكتشفه فنانو الصف الأول فى فلورنس ، قد انتقل إلى عدة مناطق فى وسط وشمال إيطاليا . كما ينشأ جيل جديد من الفنانين فى فلورنس بعد اختفاء الجيل الأول من مؤسسى عصر النهضة المبكر .

العمارة :

تولى قيادة فن المعمار فى فلورنس بعد وفاة برونيلسكى فى عام ١٤٤٦ الفنان ، المهندس « البرتى » **ليون باتستا البرتى** L . B . Alberti (١٤٠٤ – ١٤٧٢)

انتشرت تقاليده الجديدة بين مجموعة من المهندسين البارعين أمثال سان جالو وروسيللينو . درس هذا المهندس آثار روما القديمة وكتب دراسات علمية عن فنانى عصر النهضة الأوائل « برونيلسكى » « ودوناتللو » . وبزغ نجمه كمهندس فى منتصف القرن الخامس عشر ، وقام بعمل تصميمات متعددة لعمائر فى المقاطعات المختلفة ، نفذ الكثير منها المهندس روسيللينو. ومن أشهر أعماله فى فلورنس قصر عائلة روتشيلاى (شكل ٤٩) الذى نفذه فيما بعد روسيلينو ، ويعد من أجمل نماذج عصر النهضة فى إيطاليا .

يتكون هذا القصر (شكل ٤٩) من ثلاثة طوابق ، ولقد قسم « البرتى » الواجهة تقسيماً منتظماً منسقاً عن طريق الأعمدة المتصلة بالجدران فى كل طابق ، وتحصر هذه الأعمدة فتحات النوافذ ، ويتوسط كل نافذة عمود صغير يقسمها إلى قسمين ، ويعلو النافذة عقد مستدير . وفى دراستنا لهذا التصميم يمكن ترجيح احتمال أن يكون « البرتى » قد استمد فكرته من واجهة معبد الكولوسيدم الذى رآه فى روما .



(شكل ٤٩) البرتى ، « قصر عائلة روتشيلاى » ١٤٤٦ - ١٤٥١ ، فلورنس .

ويتضح تأثره بعمارة روما القديمة فى الكنائس التى قام بتصميمها . فتظهر بواجهة كنيسة القديس أندريا التى شيدت فى مدينة مانتوا عام ١٤٧٣ واجهة مستمدة من المعابد الوثنية . ومن العمائر التى يتضح فيها طرازه المعمارى المبتكر ، واجهه كنيسة القديس فرانشسكو التى شيدت فى مدينة ريميني وواجهة كنيسة القديسة ماريا نوفيلا التى أعيد بناؤها تبعاً لتعديلاته فى الفترة (١٤٥٦ - ١٤٧٠) . حيث تظهر بالواجهة أعمدة إغريقية متصلة بالجدار (شكل ٥٠) وتزخرف الجدران الداخلية تصاوير الفنانين : ماساتشو جيرلندايوليبي

انتشر الطراز المعمارى الجديد فى مختلف المدن الإيطالية على يد طائفة من المهندسين الذين أثبتوا نظريات « البرتى » فظهر على يد « جوليانو سان جاللو G.Sangllo » فى مدينة « براتو » فى كنيسة القديسة ماريا (١٤٨٥) ، كما ظهر فى البندقية على يد المهندس لومباردو الذى شيد قصورا تميزت بواجهاتها الجذابة .

برناردو روسيللينو P. Rosselleno (١٤٠٩ - ١٤٦٤)

بدأ حياته فى « أريزو كمثال ومهندس . واستقر فى فلورنس فى عام ١٤٣٦ وصار من أشهر مهندسى إيطاليا فى منتصف القرن ونشر الطراز الجديد . وكلفه البابانيقولا الخامس بدعم كنيسة القديس بطرس بروما ، كما ينسب إليه أيضاً تصميم قصر فينيسيا بروما الذى يرجع إلى حوالى ١٤٥٥ .



(شكل ٥٠) البرتى ، «كنيسة
ماريا نوفيلا» ، ١٤٢٠ ، فلورنس .

النحت :

خلا ميدان فن النحت فى فلورنس من المثالين النابغين بعد رحيل «دوناتيللو» إلى بادوا فى عام ١٤٤٣ ، إلا أن بشائر البراعم الجديدة التى كانت تمارس دراسة فن النحت فى الفترة ١٤٤٣ - ١٤٥٣ يبدأ إنتاجها يزدهر بعد منتصف القرن الخامس عشر . ومن أبرز مثالى هذه المجموعة الجديدة الفنانون ديلاروبيا ، روسيللينو ، ديل بولا يولو ، ديل اركا ، وفير وكيو .

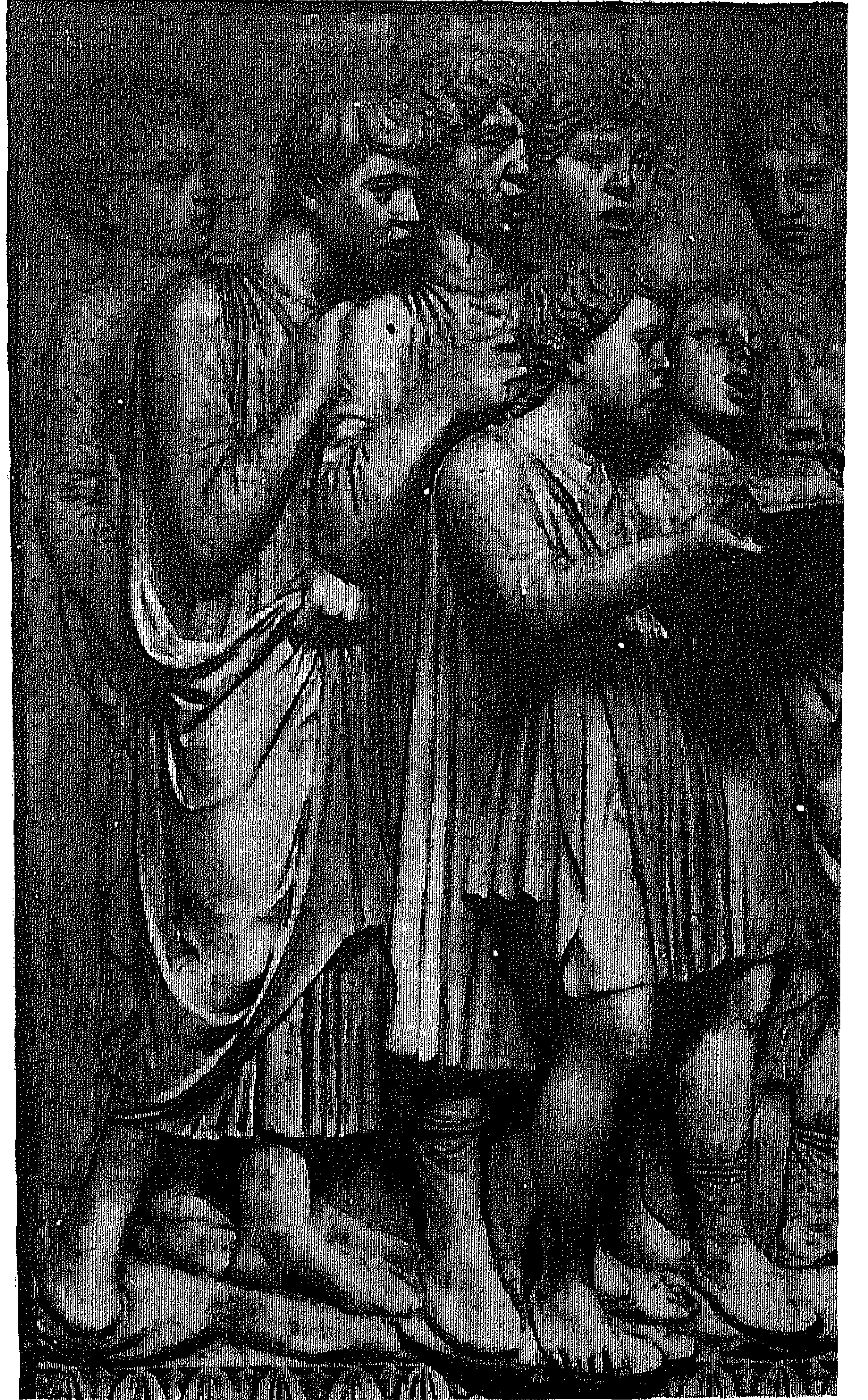
لوكا ديلاروبيا «Lvcee Dellee Robiee» (١٤٠٠ - ١٤٨٢)

ذاعت شهرة هذا المثال بعد ان قـام بنحت حشوة رخامية بارزة فى كرسى كتدرائية

فلورنس فى عام ١٤٣٠ صور فيها مجموعة من الأطفال يرتلون (شكل ٥١) وبالرغم من أن هذا الموضوع قد سبق أن نحته دوناتللو ، إلا أننا نلاحظ أن أسلوبه يختلف عن أسلوب دوناتللو ، وربما نجده متأثراً بأسلوب « جيبرتى » .

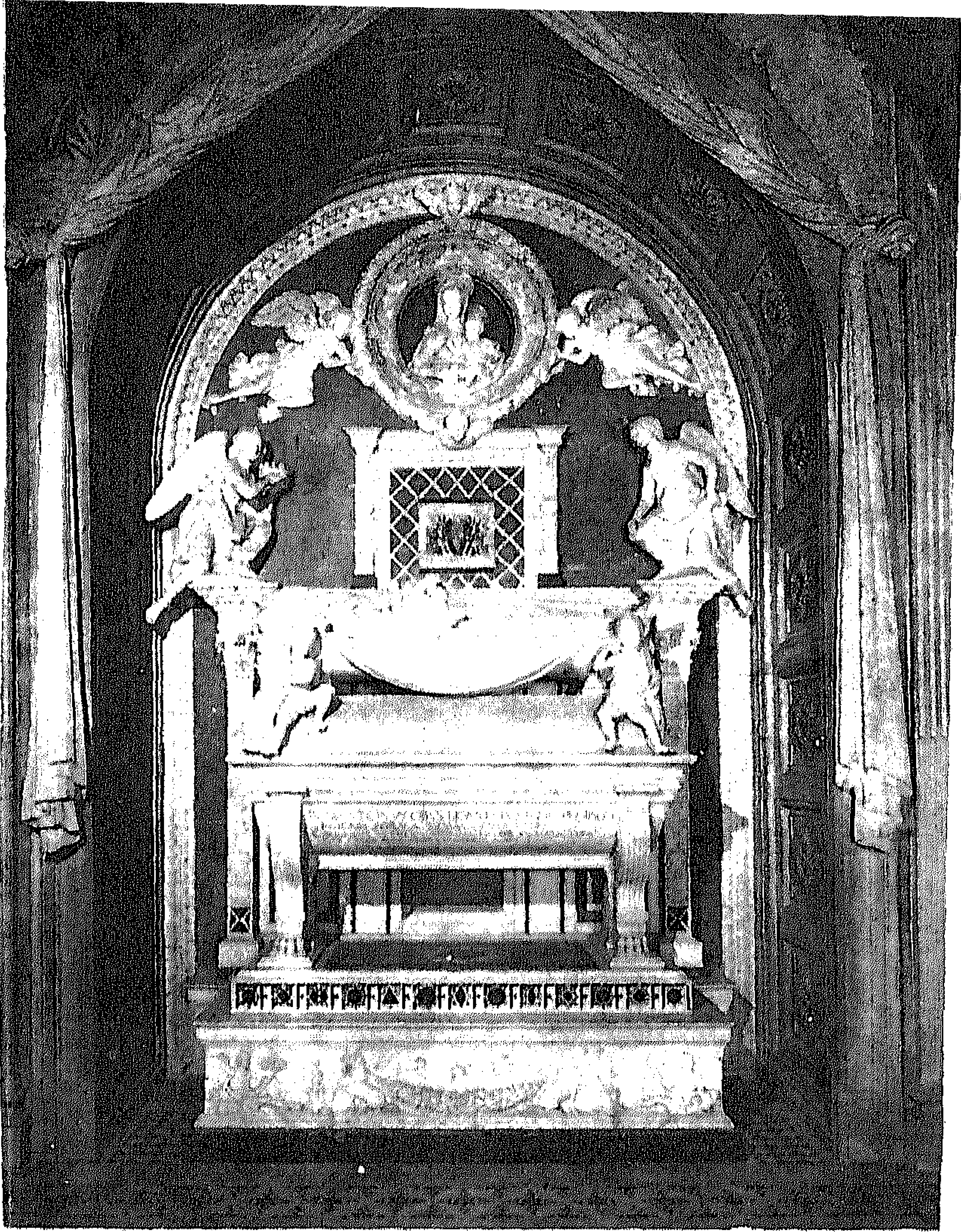
وبالرغم من مهارة لوكا كنحات إلا أنه لم يهتم بنحت بماثيل كاملة كثيرة ، وتظهر براعته بصفة خاصة فى حشوات بارزة من طين مزجج يكسو به أسطح الجدران ، ويتضح ذلك فى لوحة تصور العذراء وطفلها (شكل ٥٢)

شكل ٥١) لوكادى لاروبيا ، نحت بارزيصور « أطفال يرتلون » ، ١٤٣ – ١٤٣٨ ، كاتدرائية فلورنس (حالياً أ برا دوموبفلورنس)





(شكل ٥٢) لوكادى لاروبيا ، « العذراء وطفلها » ، طين مزجج ، القرن الخامس عشر .



(شكل ٥٣) روسيللينو ، « ضريح كاردينال البرتغال » ، سان منياتو .

روسيللينو

ومن المثالين الذين سنحت لهم الفرصة فى الظهور فى فترة غياب دوناتللو ، المثال المهندس روسيللينو ، واشتهر بصفة خاصة بنقش توابيت مشاهير الرجال فى فلورنس ، ومن أبرز أعماله نقوش ضريح « ليوناردو بروتى » و « الكاردينال أمير البرتغال (شكل ٥٣) .

اندرياديل فيركيو Andreen Del Verrochio » (١٤٣٥ - ١٤٨٨) .

كان ديل فيروكيو أحد المثالين البارعين الذين ذاع صيتهم فى تلك الفترة ولقد برع هذا الفنان فى النحت على الحجر ، وفى عمل تماثيل من البرنز ومن الطين المزجج أيضاً . ومن أجمل أعماله تمثال من البرنز مقام فى ساحة قصر السيادة يصور كيوبيد واقفاً

يحتضن سمكة بين يديه (شكل ٥٤) .

ولقد كان للفنان المثال « دوناتيللو » تأثيراً على « فيركيو » ، ويظهر ذلك فى تمثال داورد يقف بقدميه على رأس عدوه جالوت (شكل ٥٥) إلا أن أشهر أعماله البرونزية تمثال أقامه فى ساحة مدينة البندقية للبطل « بارتليمو كرليونى » عكس فيه الشجاعة والعظمة التى اشتهر بها هذا البطل .

ولقد كان فيروكيو متعدد المواهب ، فبالإضافة إلى فنون النحت والمعادن التى أبدع فيها ، نجد أنه قام بمزاولة فن التصوير أيضاً وتتلمذ على يديه المصور النابغة ليوناردو دافنشى .

ومن المثالين البارعين فى سباكة التماثيل البرونزية التى زاد الإقبال عليها فى تلك الفترة .

انطونيوديل بولا يولو Autonio Del Pollaiuolo ؟ (١٤٢ – ١٤٩٨) .

والمعروف عنه أنه كان مصورا ومثالا بالإضافة إلى براعته فى سباكة التماثيل البرونزية . **ويظهر فى أعماله تأثره بقصص من التاريخ والأساطير بالإضافة إلى الأعمال الدينية . ويتضح ذلك**



(شكل ٥٤) ديل فيروكيو ، « طفل يحمل سمكة » ، برونز ، حوالى ١٤٧٠ ، فلورنس .



(شكل ٥٥) ديل فيروكيو ، « داود » ، برونز ، حوالى ١٤٧٢ ، المتحف الأهلى ، فلورنس .



(شكل ٥٦) ديل بولايولو ، « هرقل وأنتايوس » ، حوالى ١٤٧٥ ، المتحف الأهلى ، فلورنس .

فى تمثال صنعه لعائلة ميدتشى يصور صراعاً بين هرقل البطل الإغريقى وعدوه أنتايوس (شكل ٥٦)
ومن أهم المثالين البارزين الذين ذاع صيتهم خارج فلورنس الفنان جاكوبر ديلاكيرشيا الذى نشأ فى سيينا ، ثم انتقل إلى فلورنس ليشترك فى مسابقة أبواب المعمودية التى أقيمت فى عام ١٤٠١ ومن أشهر أعماله الحشوات المنقوشة على واجهة كنيسة بترفيو بمدينة بولونيا ، وكانت الموضوعات المنقوشة مستمدة من قصص العهد القديم .

التصوير :

حافظ مصورو فلورنس فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر على التمسك بالنزعة الإنسانية والموضوعات الطبيعية مع عدم إهمال قدسية الدين . ومن أشهر أولئك المصورين بوتتشللى . .

السندرو فيلبى بوتتشلى «Alessando fillipi Botticelli» (١٤٤٤ – ١٥١٠)

بدأ هذا الفنان حياته صائغاً فى حانوت الصائغ بوتتشللى فى فلورنس ، ثم التحق بمرسم

المصور الراهب « ليبى » الذى كان له أثر كبير على أعماله الأولى ، كما تأثر أيضاً بالفنان بولا يولو . وكان يعمل مع أستاذه « ليبى » تحت رعايه لورنز ميدتش ، ولما رحل ليبى من فلورنس ، صار بوتتشللى أبرز شخصنة فنية فى تلك الفترة وفتح مرسماً خاصاً به .

صار بوتتشللى المصور الأول لعائلة ميدتش ولمجموعة الأدباء والمثقفين الذين يحيطون بلورتزر رئيس العائلة وحاكم المدينة . ومن اللوحات التى رسمها لأحد أفراد العائلة فى عام ١٤٨٠ ، أشهر لوحاته «ميلاد فينوس» (شكل ٥٧) التى استلهم فكرتها من الأساطير الإغريقية . وكان البحث والتنقيب فى الفنون الكلاسيكية أهم ما يميز فنانى عصر النهضة المبكر .

ونلاحظ فى دراستنا لهذه اللوحة أن الفنان قد استمد من الفن الإغريقى وقفة الآلهة العارية ، إلا أنه أضاف إليها من خياله الواسع شخصيات ولمسات أضفت عليها صبغة دينية غيرت من الموضوع الوثنى .

كان بوتتشللى يضع الخط فى خدمة التشكيل كما تميزت خطوطه برقة واضحة وتظهر الأشخاص فى لوحاته بقامة طويلة وسيقان طويلة ، ويتضح ذلك فى لوحة الربيع [**لوحة ملونة رقم ٦**] التى رسمها عام ١٤٧٧ لأحد أفراد عائلة ميدتش .

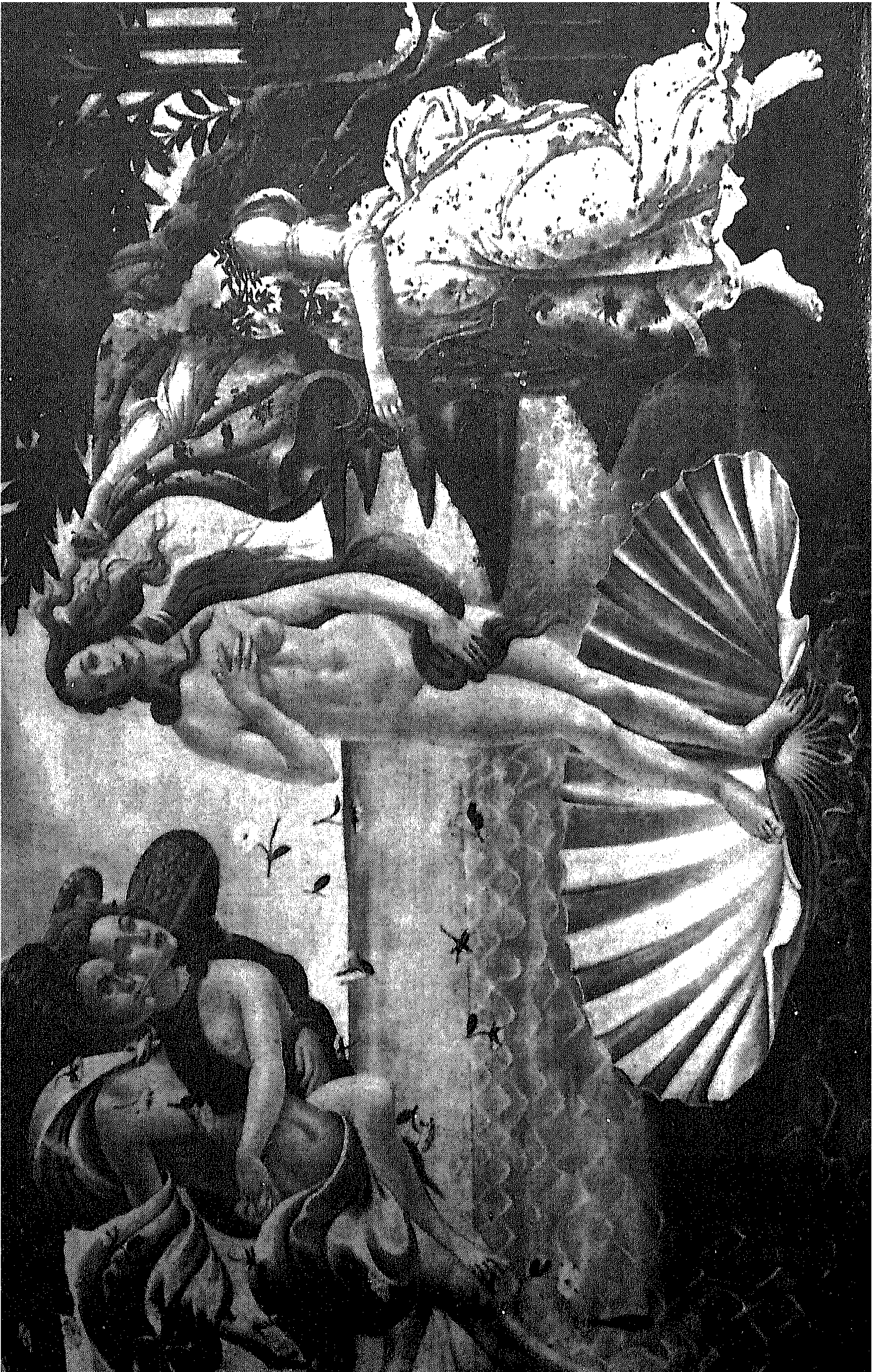
ونلاحظ من هذه اللوحة التى تعتمد على الخطوط والألوان ، أنه عالج موضوعاً زخرفيًّا حافلا بشخصيات أسطورية إغريقية مثل كيوبيد وربات الجمال الثلاث التى لا تخفى ثيابهن من شكل أجسامهن . ونلاحظ فى هذه اللوحة أن الأشخاص يتحركون بخفة فوق الزهور والأعشاب وتبدو أجسامهم المتحركة وكأنها سابحة فى أسلوب شاعرى راقص منغم .

ولما ذاع صيته استدعاه البابا إلى روما ليرسم لوحات دينية للفاتيكان ، إلا أنه عاد إلى فلورنس فى عام ١٤٨٥ ليجد بها ثورة على الموضوعات الكلاسيكية الوثنية والحركة الإنسانية تزعمها الراهب (سافونارولا Savonarola) ولما اقتنع بوتتشللى بآرائه ، صار من أتباعه ونبذ الموضوعات الوثنية كما أحرق الكثير من لوحاته الوثنية ليكفر عن ذنوبه .

دومينيكو جرلانديو (Domenicho Ghirlandaio) (١٤٤٩ - ١٤٩٤)

كان هذا الفنان من المصورين الموهوبين الذين عاصروا بوتتشللى فى فلورنس ابتدأ عمله بصناعة الحلى فى حانوت والده ، ثم درس بعد ذلك فن الرسم والتصوير ، ولما ذاع صيته

(شكل ٥٧) بوتيشللى ، « ميلاد فينوس » ، حوالى ١٤٨٠ ، لوحة زيتية ، متحف أوفيتزى ، فلورنس



استدعاه بابا روما فى عام ١٤٨٢ لزخرفة جدران مصلى كنيسة « ستينا Sistina » ، كما قام بزخرفة جدران كنيسة ماريا نوفيلا بمدينة فلورنس فى عام ١٤٩٠ .

أتقن هذا الفنان فن التصوير الشخصى أيضاً وقام بعمل لوحات لبعض مشاهير الشخصيات فى فلورنس ، ومن أجمل هذه الأعمال لوحة « الجد والحفيد » التى رسمها عام ١٤٨٠ (شكل ٥٨) ويتضح من هذه اللوحة دقة الفنان ومقدرته على التعبير عن العلاقة الإنسانية بين الرجل العجوز والطفل . وترجع شهرة جيرلاندايو أيضاً إلى أن ميكل أنجلو عبقرى عصر النهضة الذهبى تتلمذ على يديه فى أوائل حياته .

أنجبت فلورنس عدداً كبيراً من المصورين فى تلك الفترة ساهم كل منهم فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر فى تطوير فن التصوير فى إيطاليا .

وقد ساعدت الاكتشافات التى قام بها كل منهم فى إثراء فن النهضة المتطور ، وعالج بعضهم الموضوعات الدينية بالأسلوب الإنسانى أمثال « دومينيكو فينسيانو » وتلميذه « بيير وديلافرنشيكا » الذى رسم أشخاصه وكأنها تماثيل على الأرض . ومن أشهر أعماله التصاوير الجدارية التى رسمها لكنيسة القديس فرانشكو بمدينة أريزو (شكل ٥٩) . كما برع زميله المصور « أندريا كستانيو » فى توضيح العمق فى لوحاته وقد تأثر هذا الفنان بأعمال الفنان دوناتللو فى أعمال النحت التى قام بها :

وصارت روما مركزاً للنشاط الفنى فى إيطاليا فى أواخر القرن الخامس عشر ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى باباوات روما الذين اهتموا بتجميل الفاتيكان بموضوعات دينية لتباهى المبانى الوثنية القائمة فى عاصمتهم روما .

وكان أكبر مشروع فنى فى تلك الفترة ، هو زخرفة جدران مصلى كنيسة سيستينا فى حوالى عام ١٤٨٢ . فاستدعى البابا « سستو الرابع » أشهر فنانى وسط أوربا للقيام بزخرفة المصلى . وذلك برسم موضوعات من الكتب المقدسة فى العهدين القديم والحديث أمثال بوتشيلى وجيرلاندايو . ومن الفنانين اللامعين الذين اشتركوا فى هذا العمل الكبير المصور بيروجينو .

بيروجينو « Petro Perugino » (١٤٤٥ - ١٥٢٣)

نشأ بيروجينو فى بيروجيا ، ودرس مبادئ الرسم على يد الفنان « فيروكيو » وتعرف على أعمال فنان عصر النهضة الذهبى « داقنشى » فى مرسمه . إلا أن مدرسته الفنية التى أسسها فى بيروجيا تميزت بطابع خاص .



(شكل ٥٨) جيرلاندايو ، « الجد والحفيد » لوحة زيتية حوالى ١٤٨٠ متحف اللوفر ، باريس .

(شكل ٥٩) بييروديلا فرانشيسكا ، تصوير جدارى ١٤٦٥ ، بكنيسة القديس فرانشسكو بمدينة أريزو ،



(شكل ٦٠) بيروجينو ، « تسليم المفاتيح ، تصوير جدارى ، ١٤٨٢ مصلى سيستينا ، الفاتيكان ، روما

قام « بيروجينو » بأعمال كثيرة فى المدن الإيطالية ، إلا أن أشهر أعماله التصوير الجدارى الذى رسمه لمصلى سيستينا فى عام ١٤٨٢ . وتصور هذه اللوحة تسليم المفاتيح للقديس بطرس (شكل ٦٠) وكأنه أول بابا يتسلم مفاتيح الجنة من المسيح. على أن هذه الشهرة التى تمتع بها ضعفت بعد أن طغت عليها شهرة تلميذه رفائيل الذى لقنه مبادئ فن التصوير .

زحف طراز النهضة المبكر من فلورنس إلى شمال إيطاليا منذ عام ١٤٢٠ . وازدهر فى مدينة بادوا المجاورة للبندقية على يد المصورين « فليبوليبى » « واوتشللو » « وكاستانيو » الذين أقاموا بها لفترات مختلفة ، كما أقام بها المثال دوناتللو لمدة عشر سنوات . إلا أن هذا الطراز الجديد تأخر فى الظهور إلى حوالى عام ٤٥٠ ويرجع الفضل فى ازدهارها إلى المصور مانتينا وزوج أخته بيللنى .

« أندريا مانتينا Andrea Mantegna » (١٤٣١ - ١٥٠٦)

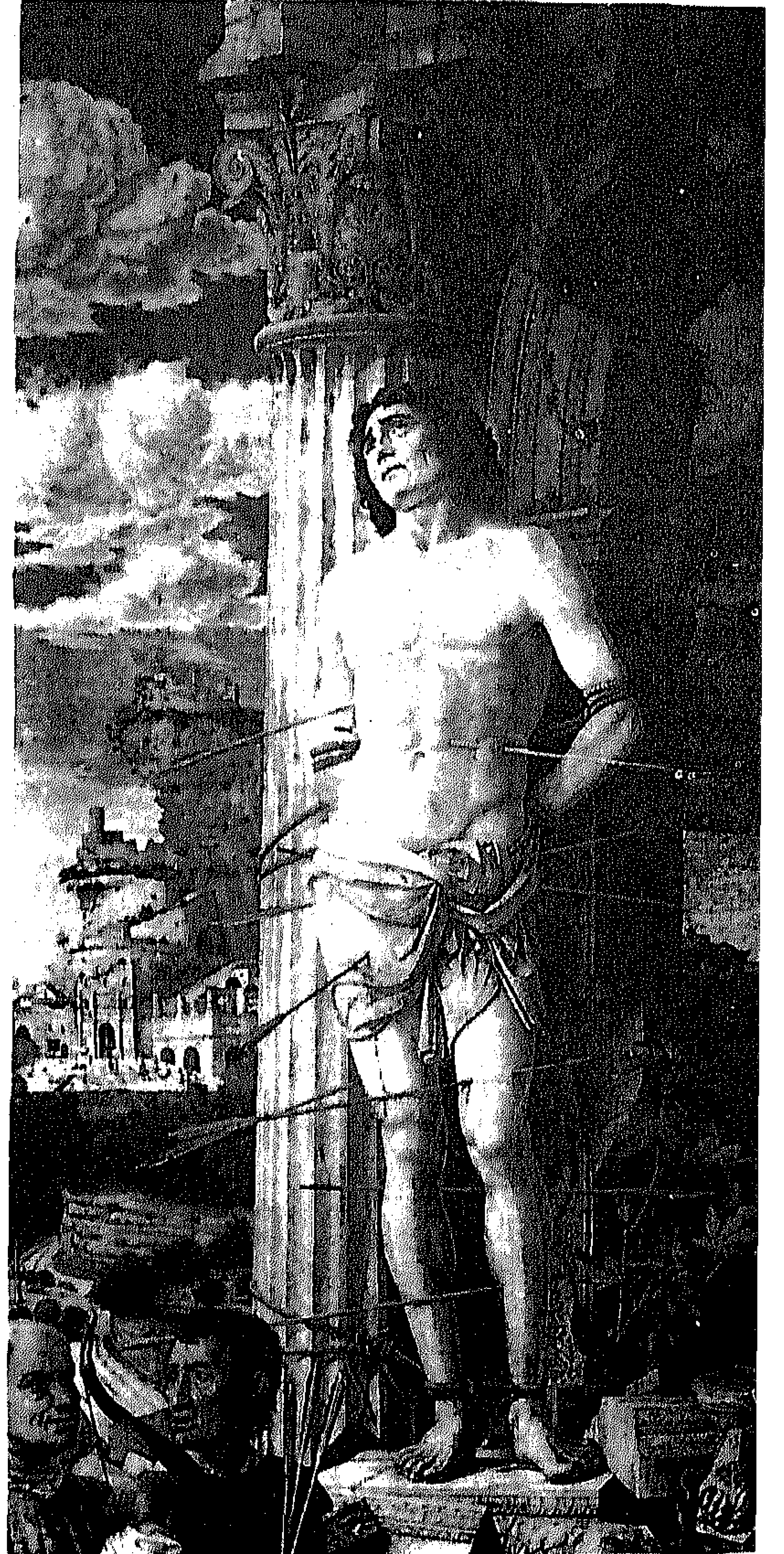
يعتبر مانتينا من أوائل مصورى عصر النهضة المبكر فى الشمال . نشأ فى مدينة بادوا وذاعت شهرته فيها . وتميزت لوحاته الدينية بخلفيات معمارية توضح طراز عصر النهضة ، (شكل ٦١) كما تظهر فى لوحاته الأسطورية والتاريخية منـاظر خلوية تعبر عن الطبيعة فى شمال إيطاليا . وتتميز الأشخاص التى يصورها بأجسام قوية ممتلئة بالحياة .

جوفانى بيللينى (G.Bellini) (١٤٣١ - ١٥١٦)

كان أحد أفراد عائلة « بلينى » أشهر مصورى البندقية وتتكون العائلة من أبيه جاكابو ، وأخيه جنتيل الذى رسم لوحة شخصية للسلطان العثمانى محمد الثانى .

اشتهر جوفانى بتصوير لوحات نصفية لموضوعات دينية مثل لوحة الرحمة (شكل ٦٢) إلى رسمها عام ١٤٧٠ ، ويتضح فى هذه اللوحة اهتمام الفنان بتوضيح ثنيات اللابس وتكوين الجسد البشرى العارى . كما اشتهر برسم خلفيات من الطبيعة تتميز برقة الخطوط وجمال الألوان .

ويعتبر جوفانى مؤسس عصر النهضة الذهبى فى البندقية ، حيث تتلمذ على يديه المصوران جورجونى وتيسيانو ، كما أعجب به المصور الالمانى دورير عندما زار البندقية .



(شكل ٦١) أندريا مانتينا ، « القديس سباستيان » ، تصوير تيمبيرا ، ١٤٧٠ ، متحف اللوفر ، باريس .



(شكل ٦٢) جيوفانى بللينى ، « الرحمة » ، لوحة زيتية ، ١٤٧٠ متحف بربرا ، ميلانو .

الفصل الثالث

عصر النهضة الذهبي فى إيطاليا
القرن السادس عشر

مقدمة تاريخية :

شهد النصف الأول من القرن السادس عشر كثرة المنازعات السياسية فى إيطاليا ، كما تعرضت ميلانو ونابولى إلى الحروب الاستعمارية ، فاحتل الفرنسيون ميلانو فى الفترتين (١٤٩٩ - ١٥١٢) ، (١٥١٥ - ١٥٢٢) ، كما اشتدت المشاحنات على السلطة فى فلورنس بين عائلة ميدتش ومنافسيها فى الفترة (١٥٠٢ - ١٥١٢) ، وتمكن الإمبراطور من الاستيلاء عليها فى الفترة (١٥٢٧ - ١٥٣٠) ووقع الجزء الشمالى من إيطاليا تحت سيطرة فرنسا فى عام ١٥٢٩ وتوج الملك شارل الخامس فى عام ١٥٣٠ إمبراطوراً على بولونيا . كما وقعت ميلانو تحت سيطرة الاسبان فى عام ١٥٣٥ . وانكمشت قوة البابوية فى روما بعد انتهاء فترة حكم « جوليو العاشر » خاصة بعد هجوم الإمبراطورية عليها فى عام ١٥٢٧ .

إلا أن هذه الحروب لم تؤثر على نشاط الحركة الإنسانية ، وظهرت ندوات لها فى المدن : البندقية ، فيرارا ، مانتوا ، وروما . وازداد الاهتمام بالكشف عن آثار الإغريق والرومان ، فتعرف ميكل أنجلو والمهندس سان جاللو على تمثال « اللاوكون Laooon » الإغريقى فى عام ١٥٠٦ . كما كشف التنقيب عن كثير من الآثار الرومانية القديمة . وكان من نتيجة هذه الاكتشافات أن فكر المثقفون فى جمع مخلفاتهم القديمة فى مبنى « البلفدير » فى الفترة (١٥٠٥ - ١٥٥٠) .

ظهر ثراء كبير فى الحركات الفكرية والفنية فى فلورنس فى ذلك القرن فأنشئت أكاديمية الآداب فى عام ١٥٤١ وأكاديمية الرسم والتصوير فى عام ١٥٦٢ ، كما فتحت عائلة ميدتش مكتبتها للجماهير فى عام ١٥٤٨ .

ونشأت فكرة التأليف فى تاريخ الفنون فى تلك الفترة وكثر عدد المؤلفين فى مختلف ميادين الفنون التشكيلية ، فكتب ليوناردو « رسالة فى موضوع التصوير « كما كتب فى العمارة الفنانون المهندسون « فينيولا Vignola » فى عام ١٥٣٠ » « وسيرليو » Serelio »

فى عام ١٥٣٧ وبلاديو « Palladio » فى عام ١٥٧٠ . ونشر « سيلينى Celleni » مذكراته وأبحاثه فى فن صناعة المشغولات الذهبية ، وكان أهم ما كتب عن الفنانين التشكيليين الإيطاليين المؤلفّ الذى كتبه الفنان « جورج فاسارى Gcarge Vassari » فى عام ١٥٥٠ بعنوان « حياة الفنانين الإيطاليين »[1].

وتمثل هذه الحركة الجديدة الذروة القصوى للكمال وقوة الازدهار فى عصر النهضة ، أو بمعنى آخر الفترة الكلاسيكية لعصر النهضة . ولذلك أطلق على هذه الفترة التى استغرقت الحقبة (١٥٠٠ – ١٥٥٠) عصر النهضة الذهبى . ولقد أنجبت إيطاليا فى تلك الفترة أشهر عباقرة الفن الذين خلدوا اسمها فى التاريخ أمثال دافنشى ، برامنتى ، ميكل انجلو ورفائيل .

ونلاحظ فى تلك الفترة أن نظرة الفنانين لمشاكل الفن والجمال وعلاقتهما بالنزعة الإنسانية قد تغيرت حيث ظهرت طائفة من الفنانين اهتمت بالبحث عن الحقيقة والواقع وعن الجمال الفعلى من خلال الدراسات العلمية والأبحاث النظرية بدلا من مجرد التكرار والمحاكاة الذى كان شائعاً من قبل . إلا أننا يجب ألا نتجاهل أن هذا التطور فى فلسفة الفكر الإنسانى يرجع الفضل فيه إلى الاكتشافات التى سبق أن أحرزها فنانو إيطاليا فى القرن الخامس عشر .

وبالرغم من أن الفنون التشكيلية قد ازدهرت بأنواعها المختلفة فى إيطاليا فى القرن السادس عشر ، وبلغ هذا الازدهار درجة كبيرة لم تعرف من قبل فى تاريخ الفنون ، إلا أن فن التصوير كان هو أسبق الميادين التى ساهمت فى إثراء عصر النهضه الذهبى . . فبالرغم من أن اقدم عملاق ساهم فى المسيرة الناجحة كان المهندس برامنتى . إلا أن المصور دافنشى الذى ولد بعده بثمانى سنوات يعتبر بجدارة زعيم عمالقة فنانى عصر النهضة الذهبى لما تمتع به من مواهب متعددة يندر أن تجتمع فى شخص واحد .

التصوير :

ساهم عدد كبير من عباقرة التصوير الإيطالى فى الوصول بفن التصوير إلى مستوى عال من الكفاءة لم يعرف من قبل فى تاريخ التصوير ، فمن فلورنس والمقاطعات المجاورة بزغ : دافنشى ، رافائيل ، ميكل انجلو ، بارثلميو ، كوريجيو وأندريا ديل سارتو ومن البندقية لمع جورجونى ، تسيانو ، تنتوريتو وفيرونيزى .

---

(١) كان فاسارى يعمل مهندساً ومصوراً فى روما وكتب مؤلفاً عنوانه :
« The Lives Of The Italian Architects Painters Sculptros » 1550 .

وبالرغم من أن لكل من هؤلاء المصورين مميزاً بطراز مستقل خاصًّا به جعل أعماله تختلف عن أعمال معاصريه ، إلا أننا نجد فى الوقت نفسه اشتراك كل منهم فى خصائص فنية معينة تميزت بها المرحلة الذهبية لعصر النهضة ، ويمكن تلخيص هذه الخصائص فيما يلى ;

١ – بسطت التفاصيل فى الصورة ، وبدت الصور قوية نابضة بالحياة فى أوضاع طبيعية كما تظهر ثنيات المنسوجات عريضة ومنفذة بخطوط قوية .

٢ – إزدادت مساحة العمق التى تقود النظر إلى نقطة النهاية

٣ – كثر الاهتمام بمعالجة الضوء والظل الذى يكسب الاستدارة للمرئيات .

٤ – ظهر مزيد من التعبير فى وجوه الأشخاص .

وتتضح هذه المميزات فى أسلوب زعيم عمالقة عصر النهضة دافنشى .

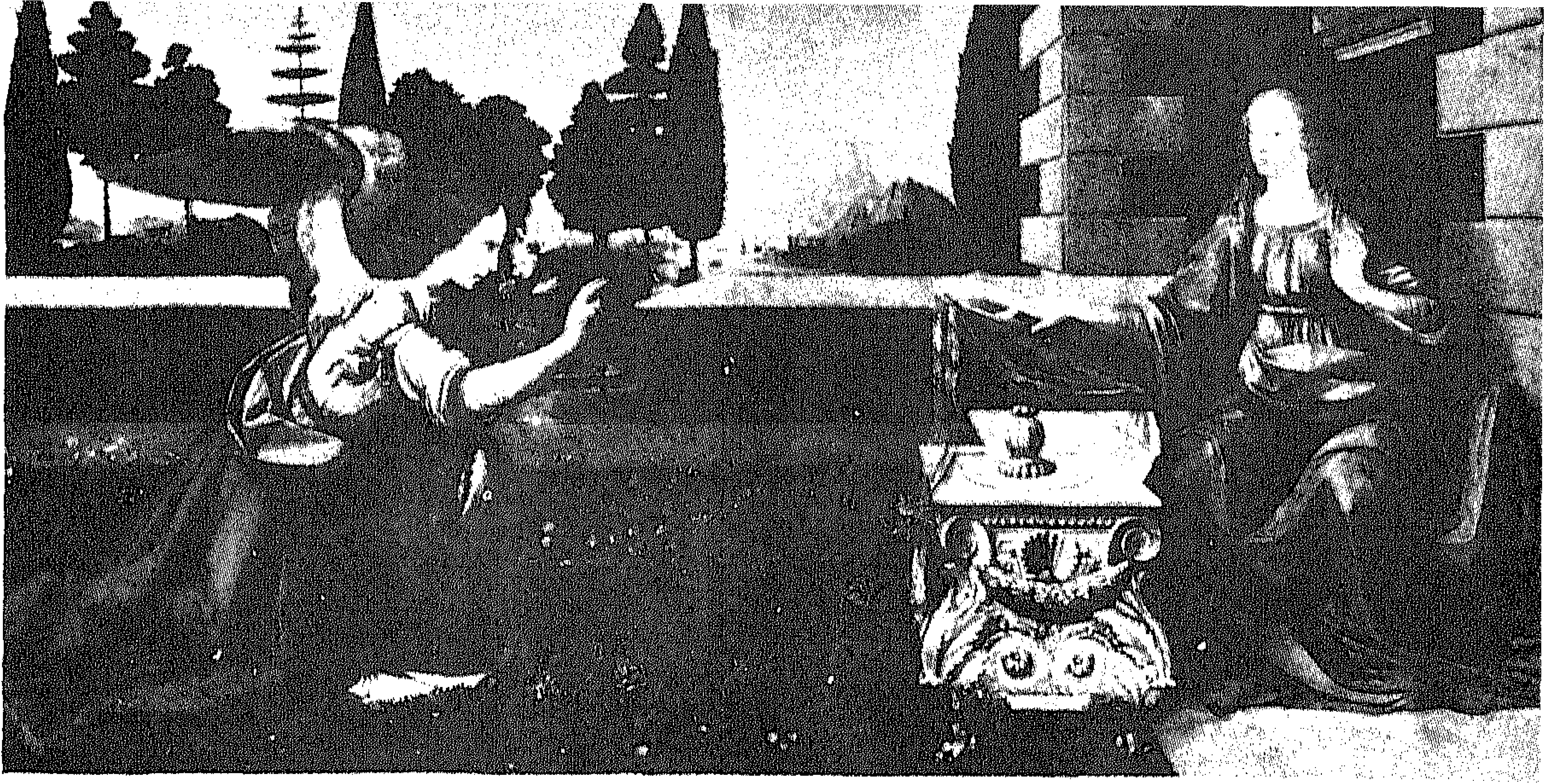
ليونارد دافنش « Leonardo Da Vinci » (١٤٥٢ - ١٥١٩)

ولد ليوناردو فى بلده فينشى القريبة من فلورنس بمقاطعة توسكانيا . ولما انتقلت أسرته إلى فلورنس موطن الفن والنهضة ألحقه والده بمرسم الفنان الصائغ المصور فيروكيو ، وكان يزامله فى الدراسة « بيروجينيو » .

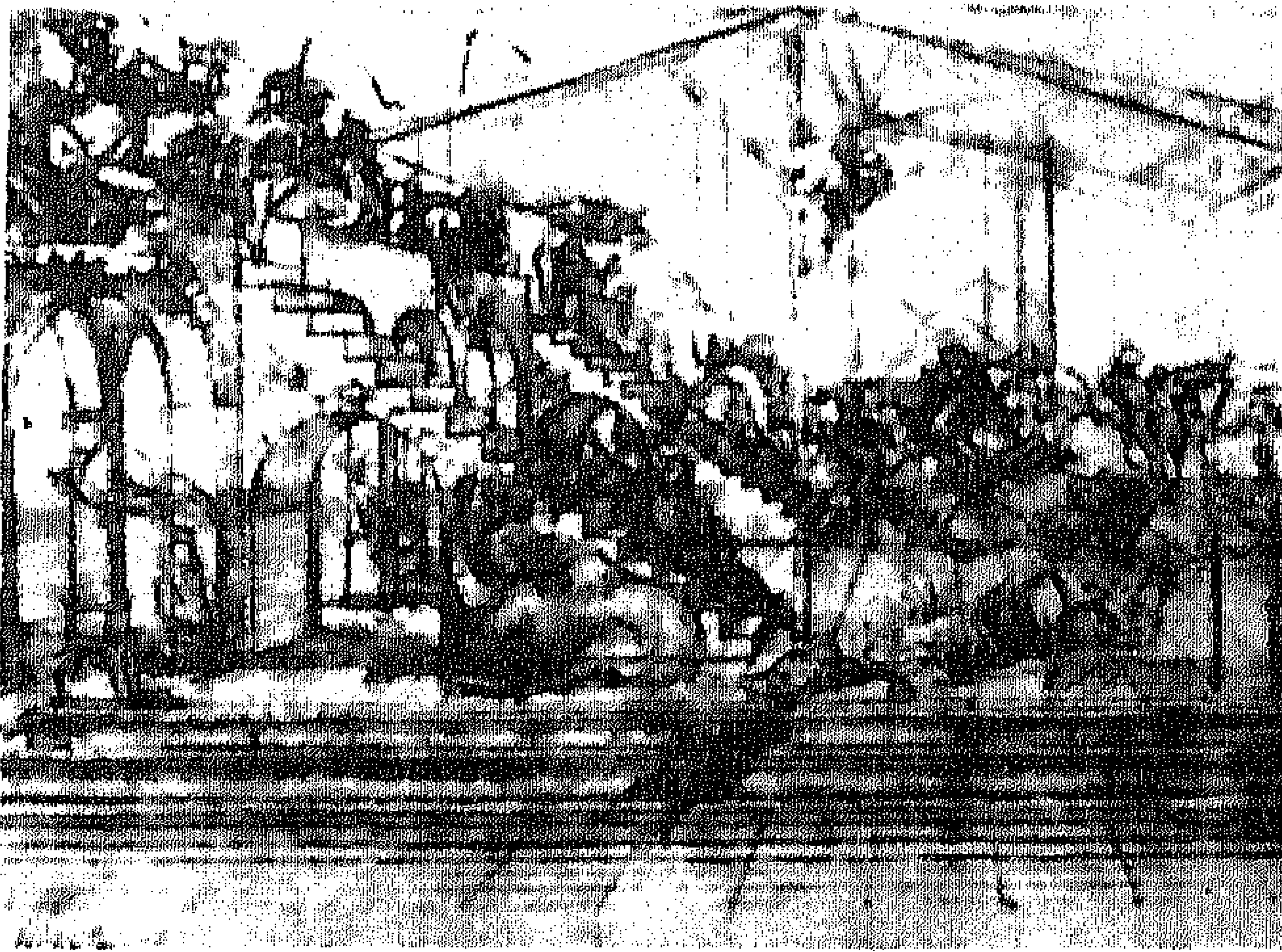
عمل « دافينشى » مساعداً لأستاذه فى الأعمال التى كان يكلف بها فى فلورنس فى الفترة (١٤٦٩ - ١٤٧٨) ، فأظهر براعة منقطعة النظير فاقت مهارة أستاذه عندما رسم ملاكاً فى لوحة تعميد المسيح التى كان « فيركيو » مكلفاً برسمها ، مما جعل « فيروكيو » يهجر فن التصوير ويخصص بقية حياته لفن النحت فقط . ولقد تأثر « ليوناردو » بأستاذه فى أعماله الأولى كما تأثر بالمصور « بولا يولا » إلا أنه سرعان ما استقل بأسلوب خاص به . ومن أعمال تلك الفترة الأولى لوحة « البشارة » (شكل ٦٣) التى رسمها فى الفترة (١٤٧٢ - ١٤٧٣)

اهتم ليوناردو بدراسة فن التشريح ، وكان يقوم بعمل دراسات أولية لأشخاص فى رسوم تحضيرية قبل أن يرسم لوحاته . وإلى تلك الفترة ترجع لوحة (عبادة المجوس) التى بدأ فى رسمها عام ١٤٨٠ إلا أنه لم يكمل هذه اللوحة (شكل ٦٤) ، وتوضح الدراسات العلمية التى اتبعها ليوناردو فى رسومه التحضيرية واهتمامه بفن المنظور الذى يحيط بالمشهد (شكل ٦٤أ)

كان ليوناردو أعجوبة عصره ومتقدماً فى فنه عن معاصريه بمراحل كبيرة فكان مهندساً ومخترعاً للآلات الحربية وبارعاً بعلوم التشريح والطبيعة وموسيقياً . بالإضافة إلى أنه كان مثالاً ومصوراً ومهندساً . كتب إلى سفورزا دوق ميلانو فى عام ١٤٨٢ برغبته فى العمل ببلاطه



(شكل ٦٣) ليوناردو دافنشى ، « البشارة » ، لوحة زيتية ، ١٤٧٢– ١٤٧٣ ، متحف أوفيتزى ، فلورنس





(شكل ٦٤ ، ٦٤ا) ليـــوناردو دافنشى ، « عبادة المجوس » ، لوحة غير كاملة ، ١٤٨١ ، متحف أوفيتزى ، فلورنس — (ا) رسم تحضيرى للوحة السابقة بالمتحف .

ليشرف على الأعمال الهندسية الحربية إلى جانب عمله كمعماري ونحات ومصور .

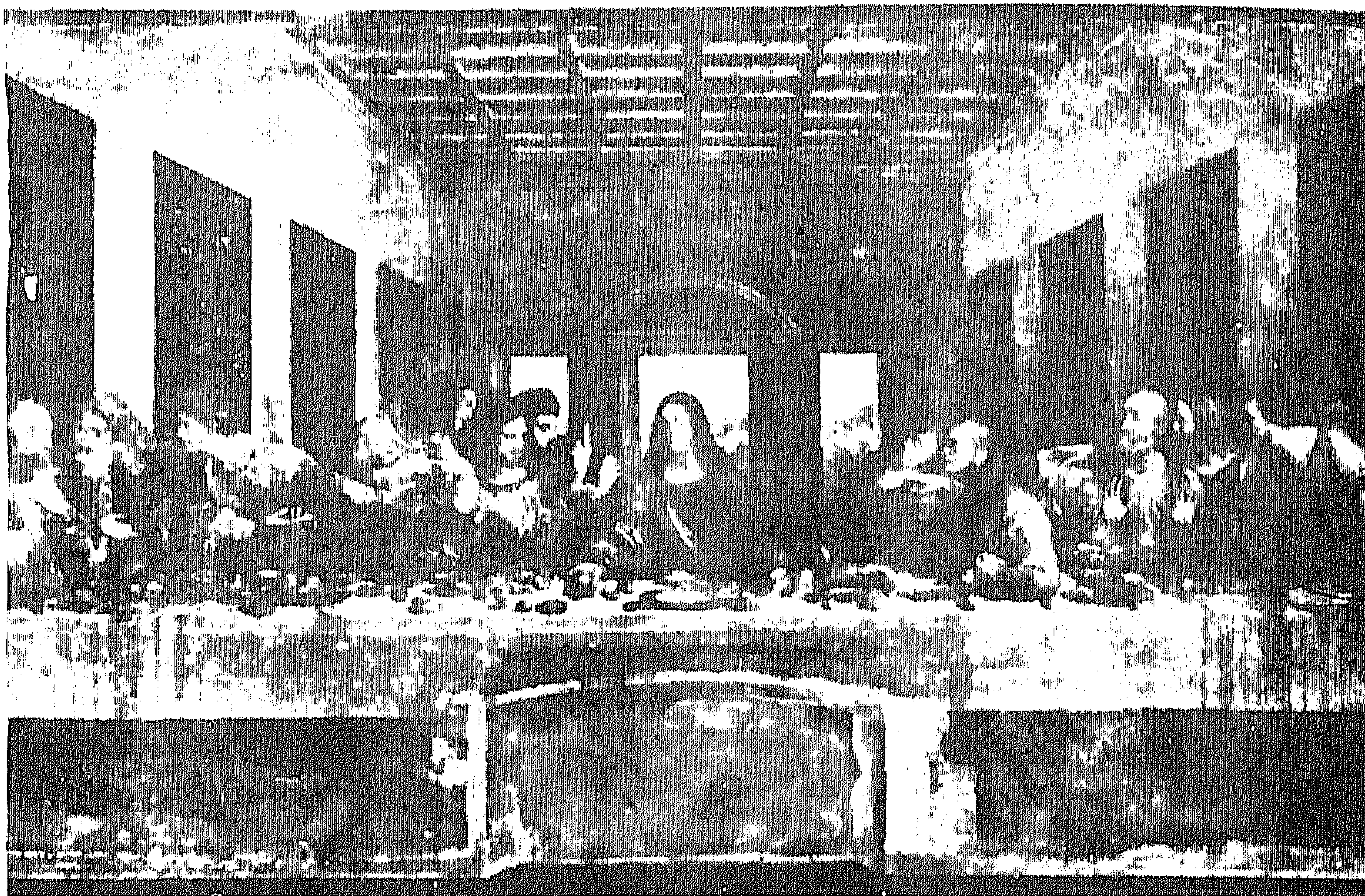
وفى خلال فترة إقامته فى ميلانو (١٤٨٣ – ١٤٩٩) قام برسم لوحة « عذراء الصخور » [**لوحة ملونة** ٧] ونلاحظ فى هذه اللوحة أن الصخور لا تبدو منفصلة عن الأشخاص الذين يبدون وكأنهم طافون فى هذا الجو الشاعرى الغامض المغلف بالظلال ، ولقد صارت الظلال منذ اكتشاف « ليوناردو » لأهميتها عنصراً أساسياً فى اللوحة بعد ذلك . كما نلاحظ أن هذا الفنان المجدد قد نبذ طريقة الاهتمام بتأثير الألوان الزاهية التى تميز بها المصور « بوتتشللى » .

ومما يوضح أن الظلال والضوء كان لهما قيم جوهرية عند ليوناردو « لوحة العشاء الأخير » (شكل ٦٥) التى رسمها على جدران قاعة طعام الرهبان الدومينيك بدير القديسة ماريا ديل جراتسيا فى الفترة (١٤٩٥ – ١٤٩٨) وتصور هذه اللوحة موضوع العشاء الربانى فى الوقت الذى قال فيه المسيح للحواريين « سوف يغدر بى أحدكم »

ويتضح فى هذه اللوحة عبقرية « ليونارد » وأسلوبه الكلاسيكى ، حيث نلاحظ أن خطوط السقف الخشبى تلتقى فى النهاية فى نقطة فى النافذة التى تقع فى خلفية الصورة . كما يبدو الضوء المنبعث من النافذة الواقعة خلف رأس المسيح وكأنها هالة تحيط برأسه . ولقد قام « ليونارد » بعمل عدة دراسات تحضيرية لمشروع هذه اللوحة تدل على اهتمامه بفن المنظور . وفى دراستنا للأشخاص المرسومين فى اللوحة نلاحظ عبقرية « ليوناردو » فى استخدام الأسلوب المسرحى القصصى فى التعبير عن الموضوع ، حيث وضحت الانفعالات فى حركات الرؤوس وفى المشاعر المنعكسة على وجوه رفاق المسيح عندما فاجأهم بالخبر . فصاروا ينظرون إلى بعض ويتساءلون بدهشة من هو الخائن !

وعندما وقعت دوقية ميلانو فى قبضة « لويس الثانى عشر » ملك فرنسا فى عام ١٤٩٩ ، تنقل «ليوناردو» بين مانتوا والبندقية للقيام ببعض الأعمال الفنية ، ثم انتقل إلى فلورنس فى عام ١٥٠٠ فى الوقت الذى ابتعدت فيه عائلة ميدتش عن الحكم ، واشترك فى المسابقة التى أقامتها حكومتها بين الفنانين لتزيين جدران قاعة مجلس الشورى بموضوعات متصلة بتاريخ المدينة . فتخير ليوناردو موضوع « معركة انجيارى » التى تصور انتصار جيوش فلورنس على دوقية ميلانو . إلا أن هذا المشروع توقف ولم يتعد الرسوم التحضيرية . وتدل هذه الرسوم على مهارة « ليوناردو » فى تصوير الخيول فى حركات واقعية وفى التعبير عن ضراوة هذه المعركة.

وفى فترة تحضيره لمشروع انجيـــازى بـدأ فى رسم أشهر لوحـــاته الشخصية « موناليزا » أو (جيوكوندا) (شكل ٦٦) وهى تصـــور زوجة أحد كبراء فلورنس



(شكل ٦٥) ليـوناردو دافنش
« العشاء الأخير » تصوير جـداري
بدير القـديسـة ماريا ديل جرانسيا
ميلانو



(شكل ٦٦) ليوناردو دافنشي ،
« مونا ليزا » ، لوحة زيتية ، ١٥٠٣
١٥٠٥ ، متحف اللوفر ض باريس .

« فرنشسكو ديل جيوكوندا » . ولقد اشتهرت هذه اللوحة بابتسامة غامضة رقيقة ترتسم على وجه السيدة ، وحنان أموى كان يعتبره ليوناردو أهم مظهر من مظاهر الأنوثة . ويلاحظ المشاهد لها أن نظرتها تلاحقه أينما نظر إليها من أى زاوية .

وفى الوقت الذى كان « بوتتشيللى » يعتمد على الخط فى توضيح مرئياته ، نجد أن « ليوناردو » رسم أشخاصاً ذات أبعاد ثلاثة باستخدامه للضوء والظلال دون تحديد لمعالمها .

وفى خلال إقامته فى فلورنس قام برسم لوحة (العذراء وطفلها والقديسة آن (شكل ٦٧) فى عام ١٥٠٦ وتوضح هذه اللوحة إحساساً مرهفاً بالحنان الأموى الذى كان يشعر به فى أعماق نفسه وبمقدرة خاصة فى التعبير عن الجمال الموجود فى الكون . حيث عبر فى وجه العذراء الشابة ووالدتها القديسة آن عن جمال أنثوى طبيعى ، كما نلاحظ على وجه القديسة ابتسامة تذكرنا بابتسامة الموتا ليزا .

ومن دراسة هذه اللوحة يتضح أن الفن عند ليوناردو كان متأثراً بالعلم حيث وضع أشخاصه فى داخل تكوين هرمى بطريقة مبتكرة لم نعرف من قبل ، كما خفف من التأثير الجاف للشكل الهندسى بأساليب علمية ، فجعل حركة الأم التى تنظر إلى طفلها متعارضة مع اتجاه نظرة الطفل إلى جدته . كما نلاحظ لمسة دينية فى اللوحة فى الحمل [1] الذى يلعب به الطفل .

عاد ليوناردو إلى ميلانو مرة ثانية عندما دعاه نائب الملك « لويس الثانى عشر » وصار مصور الملك الخاص ومهندسه فى عام ١٥١١ ، إلا أنه رجع إلى فلورنس عندما تمكن الفلورنسيون من طرد الفرنسيين . ثم ذهب إلى روما فى فترة حكم البابا ليو العاشر أحد أفراد عائلة ميدتشى رعاة الفنون ، واستقر بها فى الفترة (١٥١٣ - ١٥١٥) وهناك التقى بالفنان « رافائيل » الذى تأثر به . وكتب أثناء إقامته هناك أبحاثاً كثيرة فى العلوم والفنون . والواقع أن « ليوناردو » كان له تأثير واضح على أعمال معاصريه العملاقين « رافائيل » و « ميكل أنجلو »

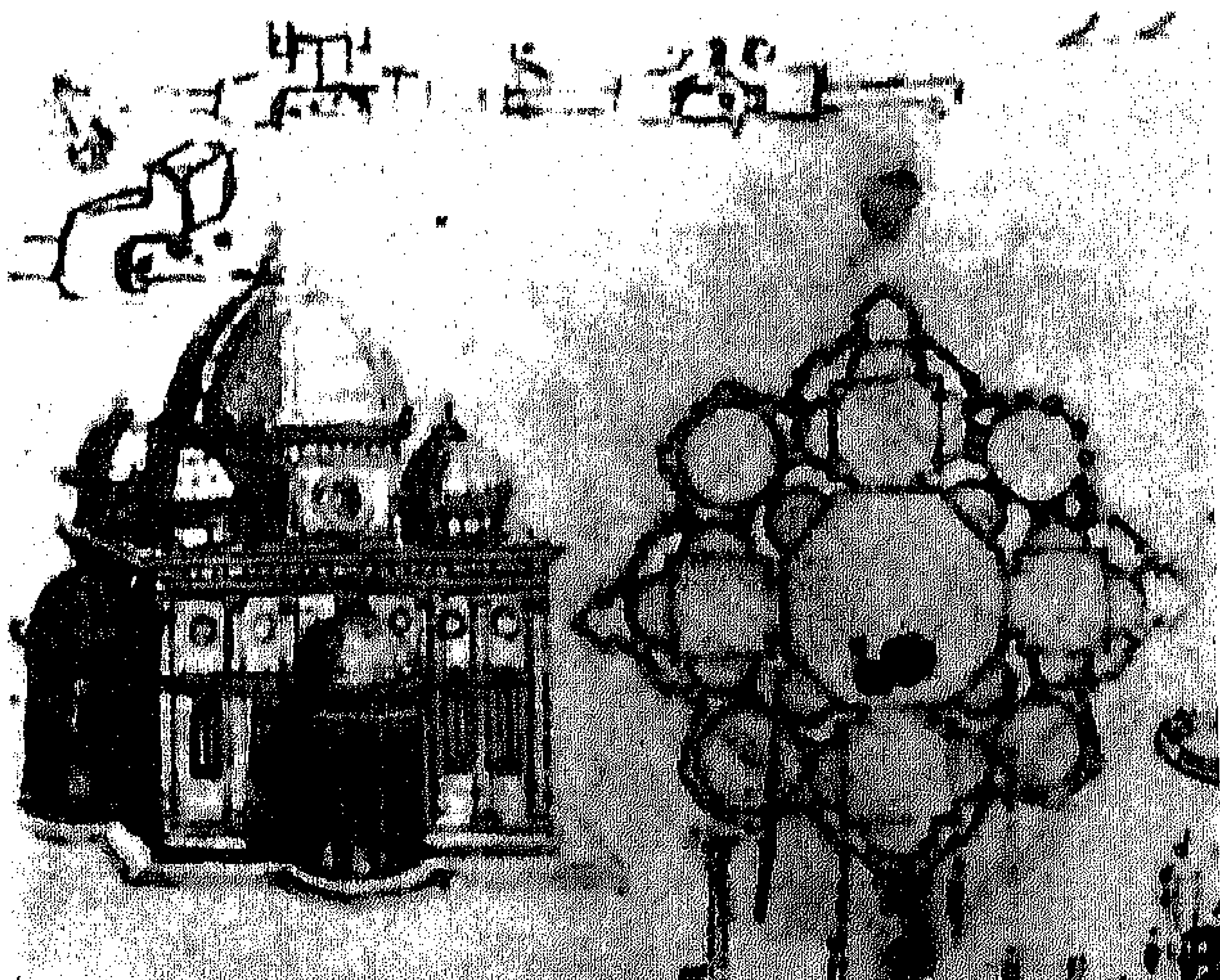
وعندما استعاد الفرنسيون ميلانو مرة أخرى عاد « ليوناردو » إليها ، إلا أنه رحل عنها إلى فرنسا فى عام ١٥١٦ والتحق هناك ببلاط الملك فرنسو الأول ثم توفى هناك .

ولقد عثر على آثار كثيرة لهذا الفنان تبرهن على تعدد مواهبه ، فوجدت له رسوم تدل على أنه مهندساً أيضاً ، قام بعمل تصميمات لكنائس ذات قباب عالية (شكل ٦٨) وكان ليوناردو على صلة بالمهندس « برامنتى » الذى كان يعمل لحساب دوق ميلانو ويمكن اعتبار هذه القباب التى صممها دافنش المرحلة الانتقالية بين قبة « برونلسكى » فى فلورنس وبين

---

(١) كان الحمل يرمز للمسيح .

(شكل ٦٧) ليوناردو دافنشى ، « العذراء وطفلها والقديسة آن » ، لوحة زيتية ، حوالى ١٥٠٠ ، متحف اللوفر ، باريس .



(شكل ٦٨) ليوناردو دافنشى ، مشروع تصميم كنيسة وقبتها ، حوالى ١٥١١ ، رسم بالقلم . المعهد الفرنسى .

قبة كنيسة « القديس بطرس » التى صممها ميكل انجلو فى عام ١٥٠٦ . وفى خلال فترة إقامة دافنش » الأولى فى ميلانو قام بعمل رسوم ونماذج لتمثال من البرنز للحاكم « فرنشيسكو سفورازا » على هيئة فارس ممتطياً جواداً .

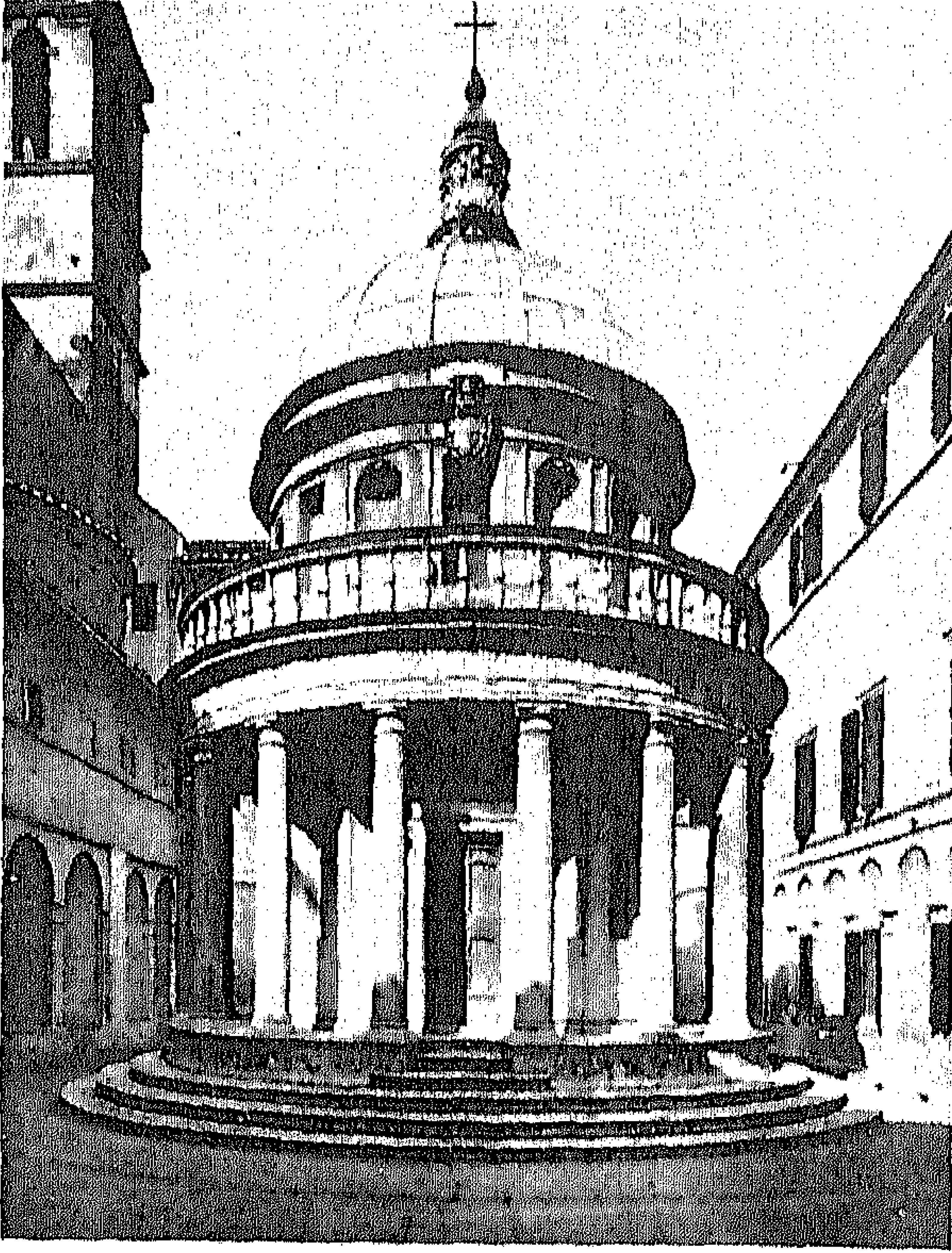
دوناتيللو برامانتى Donatello Bramante » (١٤٤٤ - ١٥١٤)

يعتبر « برامنتى » مؤسس أهم مرحلة فى تاريخ التطــور المعمارى الحديث فى القرن السادس عشر ، وأعظم مكتشف للجمال المعمارى . بزغ نجمه فى أول الأمر فى ميلانو ويتضح من أعماله الأولى أنه كان يسعى للحصول على الفخامة فى أعماله أكثر من اهتمامه لحل المشكلات المعمارية . وكانت تقنيته الانشائية تتشابه مع تقنيه ليوناردو العقلية . وكانت ثقافته تعتمد على إنسانيات « البرتى » وبيروديلا فرنشسكا

وعندما انتقل إلى روما فى عام ١٤٩٩ ظهرت عبقريته فى الابتكارات المعمارية التى قام بها وصارت شهرته كمعمارى فى روما على قدم المساواة لشهرة « رافائيل » كمصور، وتظهر قمة الكلاسيكية فى أسلوبه فى مبنى مصلى « Tempieto المعبد الصغير » القديس بطرس فى مونتوريو (شكل ٦٩) الذى شيد فى عام ١٥٠٢ ، وهو المكان الذى صلب فيه القديس . ونلاحظ فى هذا المبنى اقتباساً كبيراً من العمارة الكلاسيكية القديمة ، ويتضح ذلك فى الثلاث درجات التى شيد عليها المعبد وفى أعمدته الدورية .

ولما أراد البابا « جوليوس الثانى » أن يعيد بناء بازيليكا القديس بطرس المتصدعة كلف العبقرى « برامنتى » بوضع مشروع لبناء كنيسة فخمة تنافس جميع العمائر القديمة ، فقدم مشروعاً مبتكراً فى عام ١٥٠٦ حاز رضاء البابا . كان هذا التصميم متأثراً بنظريات العمارة الكلاسكية مع شيء من الابتكار . حيث جمع « برامنتى » فى مشروعه بين تصميم معبد « البانثيون » وتصميم بازيليكا قسطنطين . فنلاحظ أن التصميم يعتمد على الصليب الإغريقى ، ويعلو مركز تعامد ضلعى الصليب قبة ضخمة بينما توجد قبة فوق نهاية كل ضلع ويظهر بالواجهة برجان عاليان .

إلا أن وفاة « برامنتى » فى عام ١٥١٤ أوقفت عملية البناء ، فلم يتم فيها إلا الدعائم المتعامدة ولما تولى « ليو العاشر » رئاسة الفاتيكان كلف الفنان « روفائيل » والمهندس « سان جاللو » بتكملة العمل ، فقاما بتغيير التصميم إلى الصليب اللاتينى . وفى عام ١٥٤٦ أسند البابا مهمة إكمال المشروع إلى « ميكل أنجلو » .



(شكل ٦٩) براماتني ، « مصلى المعبد الصغير » ، ١٥٠٢ ، روما .

« ميكل أنجلو بوناروتي Michelangelo Bonarroti » (١٤٧٥ - ١٥٦٤)

تجلت عبقرية ميكل أنجلو فى المقدرة على النبوغ والوصول إلى القمة فى جميع ميادين الفنون . أخرج من الصخور روائع فن النحت وزاول فن المعمار بمقدرة ومهارة فى التعبير عن الجمال والقوة مجتمعين فى عمل واحد ، كما ظهرت براعته المنقطعة النظير فى فن التصوير أيضاً ، ونافس معاصريه عمالقة مصورى عصر النهضة الذهبي ، إلا أن النحت كان هو الفن المفضل لديه . ويذكر أيضاً أنه كان شاعراً .

نشأ « ميكل أنجلو » فى مدينة كاستل كابريزى القريبة من مناطق الرخام . ولما انتقلت أسرته إلى فلورنس ، التحق بمرسم المصور « جيرلاندايو » ، إلا أن « ميكل أنجلو » أظهر ميلاً خاصاً لفن النحت فتتلمذ على يد المثـــال « برتلدو Berteldo » الذى كان يشغل وظيفة المشرف على حديقة لورنزو ميدتشى . ولقد كان هذا المثال من تلاميذ « دونا تيـــللو » وفى الوقت الذى كان فيه التصوير عند « ليوناردو » يعبر عن أنبل الفنون لأنه يشمل كل مظاهر

الحياة ، نجد أن سعادة « ميكل أنجلو » المثلى هى نحت الصخور ، وتحرير الأجسام الآدمية ذات الأبعاد الثلاثة من داخل الكتل الحجرية الضخمة . لذلك كان يعتقد أن التصوير يجب أن يوضح بروز الأشخاص من سطح الصورة حتى تحاكى التماثيل .

بدأ « ميكل أنجلو » أعماله فى فلورنس تحت رعاية لورنزو بنحت تماثيل مقتبسة من الأساطير الإغريقية ، وظهرت براعته فى تلك الأعمال الأولى ، إلا أنه ترك المدينة فى عام ١٤٩٤ عندما قامت ثورة أطاحت بحكم عائلة ميديتشى ، وقد تنقل بين البندقية وبولونيا .

ولما ذاعت شهرة روما الفنية ذهب إليها فى عام ١٤٩٦ . وهناك قام بنحت تمثال « الرحمة » (شكل ٧٠) لكنيسة القديس بطرس فى الفترة من (١٤٩٨ - ١٤٩٩) ويصور هذا العمل الفنى العذراء جالسة وقد شاع على وجهها حزن هادئ وعلى ركبتيها المسيح . وفكرة نحت مجموعة لشخصين بالحجم الطبيعى فى عمل واحد كانت ابتكاراً جديدا لم يقبل عليه أى مثال من قبل .

وعندما رجع إلى فلورنس فى عام ١٥٠١ كانت أعماله المنحوتة متأثرة بتماثيل العصر الهيلينى ذات العضلات البارزة التى رآها فى روما . ويتضح ذلك فى تمثال « داورد » (شكل ٧١) الذى كلف بنحته فى نفس العام ليوضع فوق إحدى دعائم جدران كتدارئية فلورنس ، فقام بنحت تمثال للبطل بحجم كبير بلغ ارتفاعه ستة أمتار .

إلا أن كبار رجال الدين والفنانين فضلوا وضعه فى الساحة الموجودة أمام قصر السيادة بفلورنس[1] لانعدام تمثيل القصة الدينية فى تصميمه ، حيث لا يظهر أى شىء يدل على شخصية جالوت الشرير الموجودة فى القصة الذى رأيناه فى تمثالى « دوناتيللو » « وفيروكيو » .

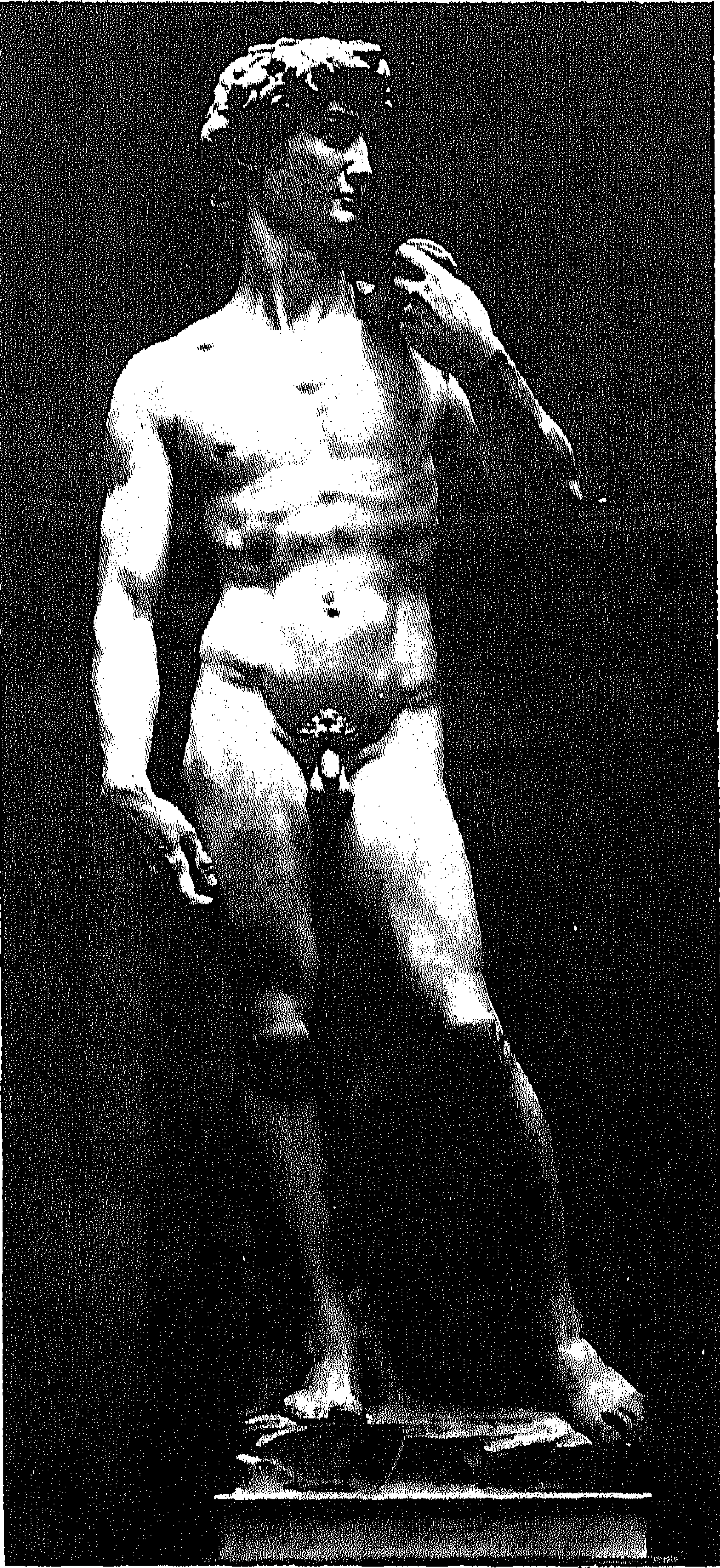
ويظهر اهتمام ميكل أنجلو برسم الأجساد العارية ذات العضلات البارزة فى الموضوع الذى تقدم به فى المسابقة التى أقامتها مدينة فلورنس لزخرفة قصر السيادة والتى اشترك فيها أيضاً ليوناردو دافنشى كما ذكرنا من قبل . حيث نجد أنه عندما تعرض لموضوع معركة « كاسينا » التى توضح انتصار الفلورنسيين على « بيزا » ، تخير أن يصور مجموعة من الجنود العراة يستحمون فى مجرى مائى عندما سمعوا البروجى ينادى عليهم . (شكل ٧٢)

وعندما ذاعت شهرته فى فلورنس استدعاه البابا جوليوس الثانى إلى عاصمته روما فى عام ١٥٠٥ لتشييد مقبرة عظيمة تليق به . فبدأ الفنان فى التحضير لمشروعه واختار كتلا من الرخام اللازمة له ، وبدأ نحت بعض تماثيل للمقبرة . إلا أن البابا عدل فجأة عن إتمام المشروع فى تلك الفترة فعاد « ميكل أنجلو » إلى فلورنس .

(١) نقل التمثال الأصلى من الساحة إلى متحف الدولة فى عام ١٨٧٣ واستبدل بنسخة مطابقة .



(شكل ٧٠) ميكل أنجلــو ، « الرحمة » ، تمثال من الرخام ، ١٤٩٨ ، كنيسة القديس بطرس ، روما .



(شكل ٧١) ميكل أنجلــو ، « داود » ، تمثال من الرخام ، ١٥٠١ – ١٥٠٤ ، فلورنس .



(شكل ٧٢) « معركة كاسينا » ، نسخة منقولة فى القرن السادس عشر عن الأصل التى رسمها ميكل أنجلو لقصر السيادة ، مجموعة إيرل لستر .



(شكل ٧٣) ميكل أنجلو « العائلة المقدسة » ، لوحة زيتية ١٥٠٦ ، متحف أوفيتزى ، فلورنسا

على ان شهرة « ميكل انجلو » كمثال لم تمنع المعجبين بفنه[١] من تكليفه برسم لوحة تمثل العائلة المقدسة (شكل ٧٣) فلما أتم هذه اللوحة فى عام ١٥٠٦ ، اتضح أن خصائص فن النحت كانت مسيطرة عليه سيطرة كاملة ، حيث نلاحظ أن رسوم الأشخاص وخاصة العذراء تبدو مجسمة فى اللوحة .

إلا أن عبقريته فى فن التصوير تتجلى فى أعماله العظيمة التى أتمها فى روما بعد ذلك حيث سرعان ما استدعاه البابا « جوليوس الثانى » مرة ثانية ، وكلفه بزخرفة سقف مصلى كنيسة « سستينا » . إلا أن العملاق رفض هذه المهمة قائلا إنه لا يصلح لها ، ونصح البابا بأن يسند المهمة إلى أحد المصورين المشهورين ، فلما أصر البابا على رأيه أكمل « ميكل أنجلو » هذا العمل الفنى الكبير فى أربع سنوات ١٥٠٨ - ١٥١٢ وهو مستلق على ظهره ، واستطاع بذلك أن يخرج معجزة فنية خلدت اسمه كمصور .

قسم « ميكل أنجلو » السقف إلى تسعة أقسام تضم ثلاث مجموعات من قصص التوراة .

المجموعة الأولى : توضح موضوعات متصلة بالخالق .

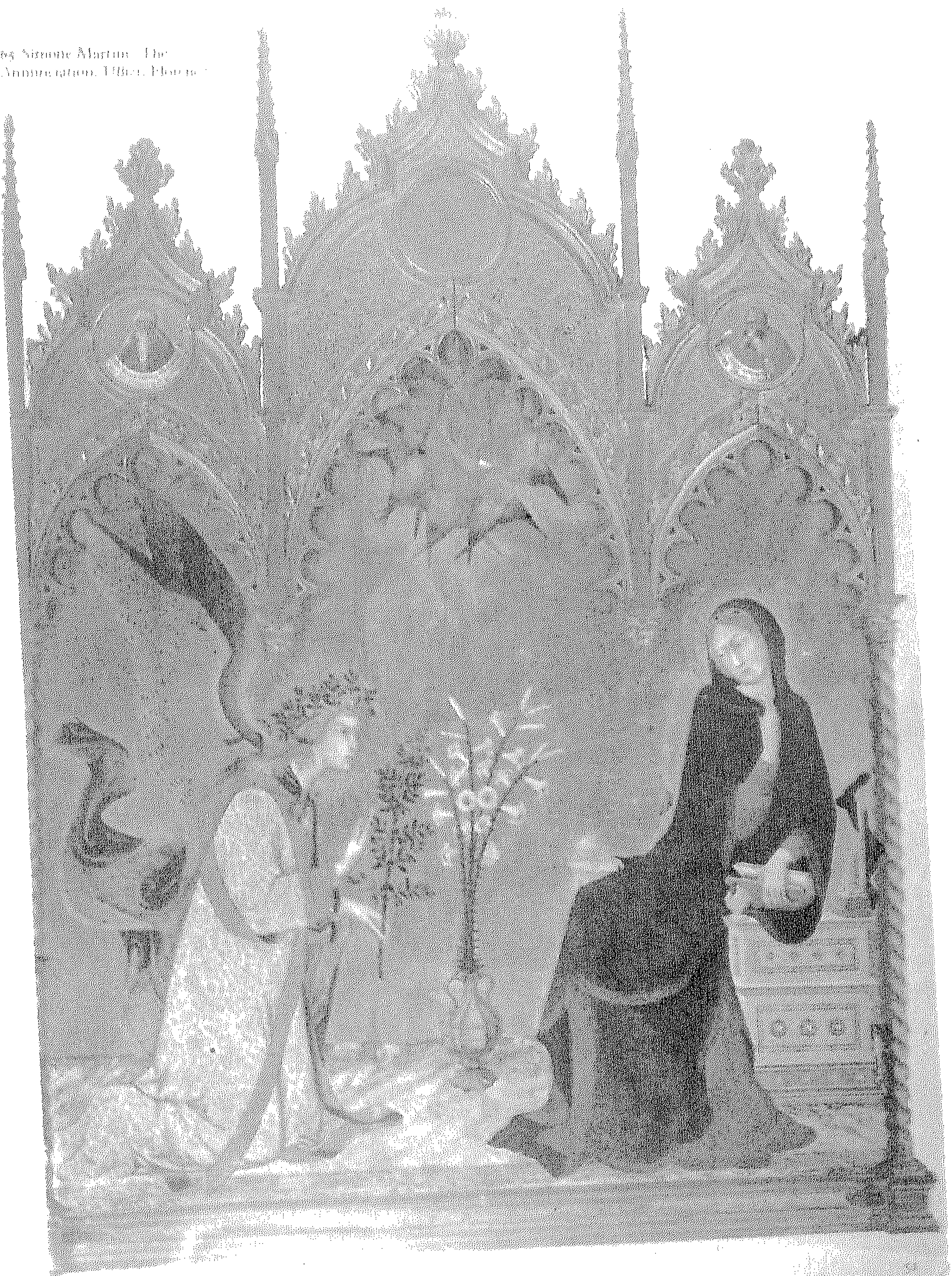
(١) رسم ميكل أنجلو هذه اللوحة بتكليف من السيد « انجلو دونى عند زواجه من « مادلينا ستروزى » .



[لوحة رقم ١] كتدرائية ليمانس —
القرن الثانى عشر .



[لوحة رقم ٢] جيوتو « ندب المسيح »
١٥٠٣ ـ ١٥٠٦ . أفرسكو مصلى
أرينا . بادوا .



اللوحة رقم ١٣ سيمون مارتينيه
«البشارة» ١٣٣٣ - متحف
الأفتزى ، فلورنس .



| لوحة رقم ٤ | جان فان آيك .
جيوفانى أرنولفينى وعروسة ١٤٣٤ .
المتحف الأهلى ، لندن .



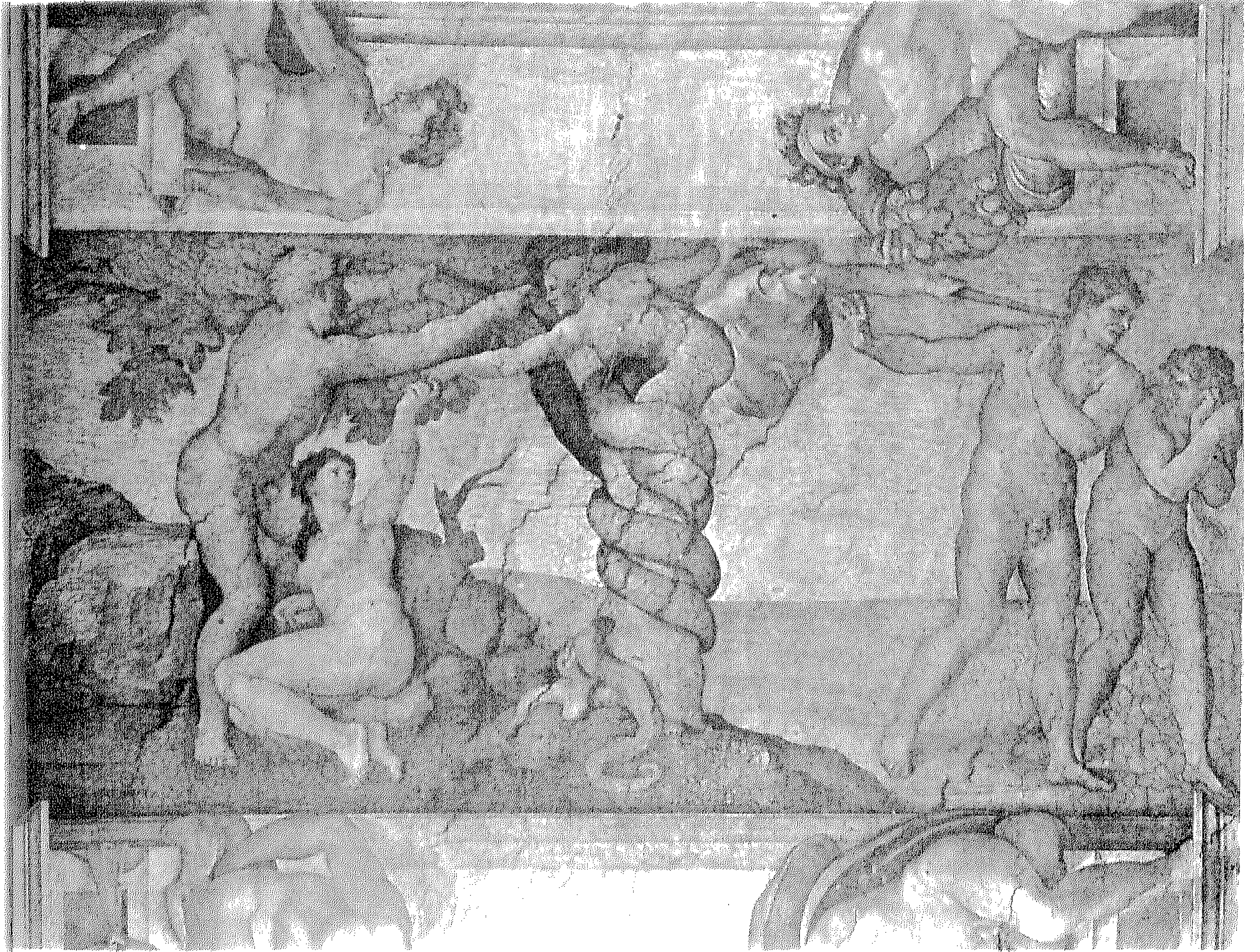
[لوحة رقم ٥] ماساتشو. « الجزية »
١٤٢٧ . إفرسكو. مصلى برنكاتش .
كنيسة سانتا ماريا ديل كارفن .
فلورنس .



| لوحة رقم ٦ | ساندرو بوتتشيلي
« الربيع » متحف الأفتزي

| لوحة رقم ٧ | ليوناردو دافنشي
« عذراء الصخور » ١٤٨٥ .
المتحف الأهلي ، لندن





[لوحة رقم ٨] ميكل أنجلو. الإغراء
والطرد من الجنة » ١٥٠٨ — ١٥١٢
أفرسكو، مصلى سستينا. الفاتيكان.
روما.



(شكل ٧٤) ميكل أنجلـــو ، « النبي موسى » ، تمثال من الرخام ، ١٥١٣ – ١٥١٥ ، كنيسة القديس بطرس روما .

(أ) الإله يفصل النور عن الظلام .

(ب) الإله يخلق الكواكب

(حـ) الإله يبارك الأرض .

المجموعة الثانية : تصور :

(أ) خلق آدم .

(ب) خلق حواء .

(حـ) الإغراء والطرد من الجنة

[لوحة ملونة رقم ٨]

المجموعة الثالثة : تتناول قصة نوح والطوفان .

(أ) تضحية نوح .

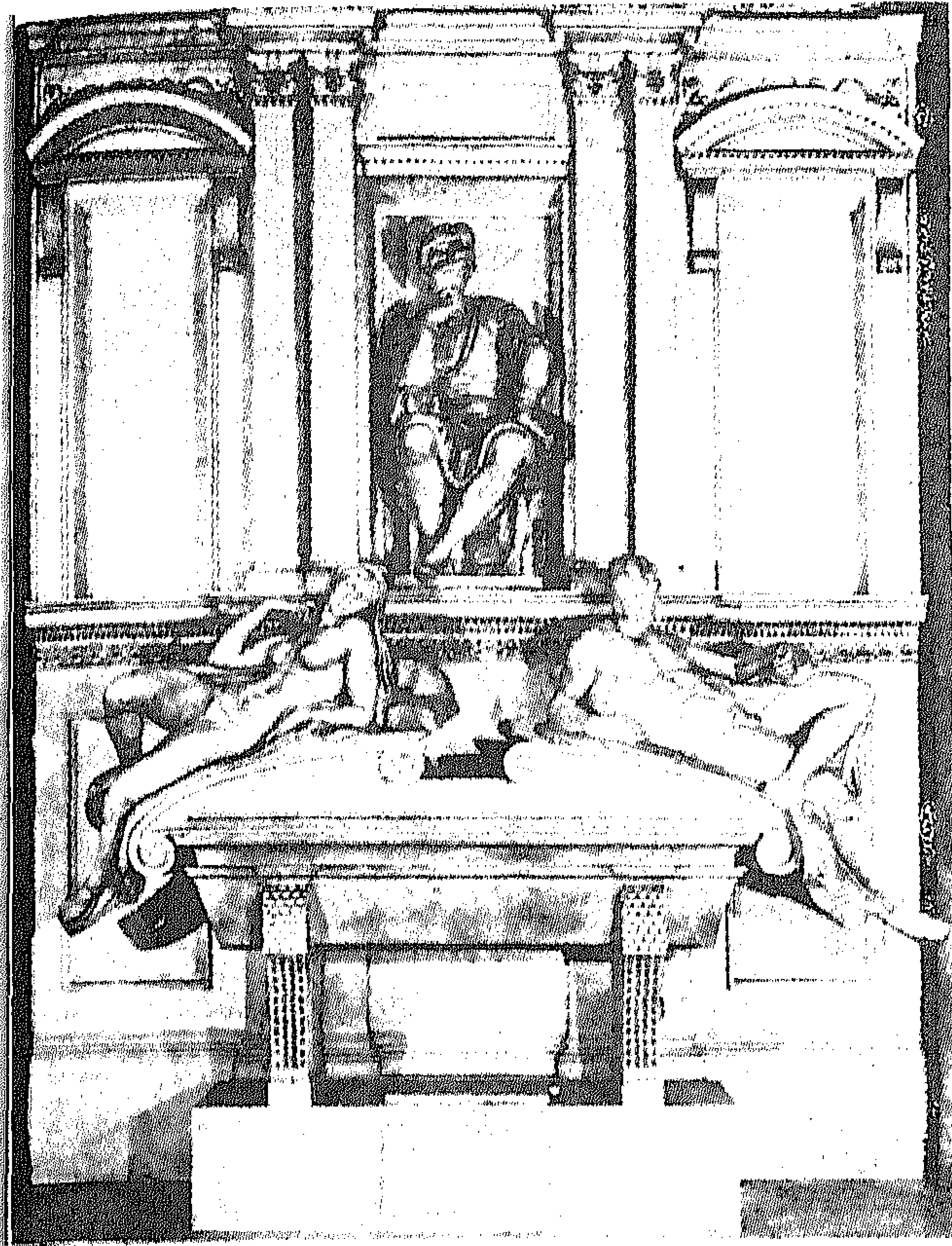
(ب) الطوفان .

(حـ) نشوة نوح .

ولقد فضل « ميكل أنجلو » أن تظهر شخصياته المرسومة فى هذه الموضوعات وهى عارية بدون ملابس ، وذلك ليتسنى له عمل دراسات للجسد البشرى .

ويحيط بهذه اللوحات التسع المرسومة على السقف إطار صور فيه اثنى عشر شخصية من الأنبياء والعرافات اللاتى بشرن بالمسيح ، وغير ذلك من الشخصيات التاريخية وعدداً من الرقيق العراة . وتبدو هذه الشخصيات وكأنها نقش ملون بارز عن سطح السقف .

وبمجرد انتهائه من هذا العمل الجبار سنحت له الفرصة لاستئناف مشروع مقبرة جوليوس الثانى بعد أن توفى فى عام ١٥١٣ فقام بنحت تمثال « النبي موسى » (شكل ٧٤) وعدد من تماثيل تصور أرقاء بالإضافة إلى تمثال البابا .





(شكل ٧٥) ميكل أنجلـو ، « العبد الثائر » ، تمثال من الرخام ، ١٥١٣ – ١٥١٦ ، متحف اللوفر ، باريس .

(شكل ٧٦) ميكل أنجلـو ، « الليل والنهار » ، مقبرة جوليانو لورنزو ، فلورنس .

ويوضح بعض هذه التماثيل الرقيق المحتضر والرقيق الثائر (شكل ٧٥) . وهنا نلاحظ مقدرة ميكل أنجلو فى التعبير عن الانفعالات المتضادة . ففى الحالة الأولى استسلم العبد إلى مصيره بينما يحاول العبد الثانى التحرر من أسره والانطلاق .

وعندما تولى البابا « ليو العاشر » ابن لورنزو العظيم عرش البابوية فى الفترة ١٥١٣ - ١٥٢١) فضل أن يستخدم مهارة العبقرى فى تجميل مدينة فلورنس . فطلب منه إرجاء تكميل مشروع روما الضخم لإنشاء مبنى فى فلورنس ملحق بكنيسة القديس لورنزو يضم أضرحة لورنزو العظيم وجوليانو ومقبرتين لشخصين من العائلة بنفس الأسماء واستغرق العمل فى هذا المشروع الضخم الذى قام به ميكل أنجلو الفترة (١٥٢٠ - ١٥٣٤ ، أتم فيها المبنى وضريحى جوليانو ولورنزو الشابين .

نحت ميكل أنجلو فوق ضريح « جوليانو ابن لورنزو » العظيم وأخى البابا تمثالا يصوره جالساً فى حِنيّة ضيقة مرتدياً زيًّا رومانيًّا ومن أمامه تمثالان مضطجعان يرمزان إلى الليل والنهار (شكل ٧٦) . ولقد مهد ميكل أنجلو بهذه المجموعة إلى طراز الباروك الذى يظهر بعد

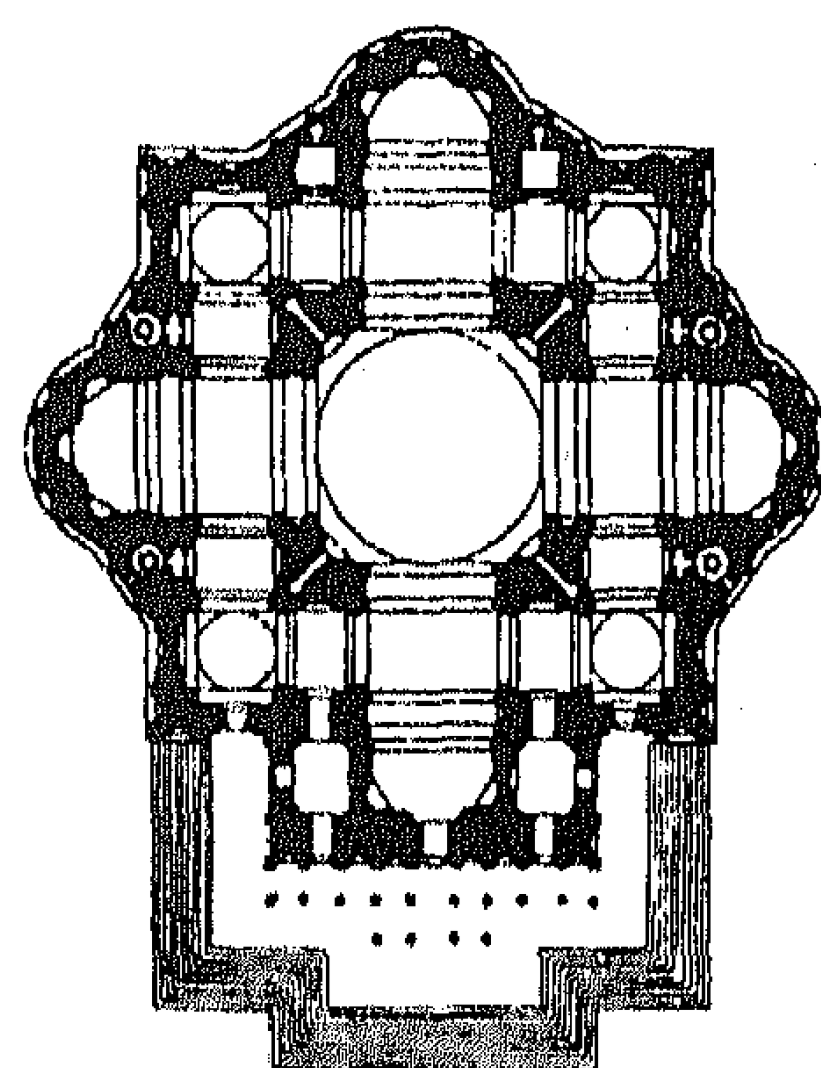
عصر النهضة . ويظهر أسفل تمثال « لورنزو » ابن أخى البابا تمثالان مضطجعان يرمزان للشروق والغروب ، وتلاحظ فى هذه التماثيل الأربعة تأثر الفنان بأبطال الرياضة الإغريق العارية .

وقبل أن ينتهى من إتمام باقى التماثيل استدعاه البابا إلى روما فى عام ١٥٣٤ وكلفه برسم لوحة كبيرة على الحائط الواقع خلف المذبح فى مصلى كنيسة سيستينا فغطى الجدار بأكمله بصورة ضخمة تصور موضوع يوم الحساب (شكل ٧٧) واستغرق هذا العمل الجبار منه الفترة (١٥٣٣ — ١٥٤١) . ولقد استمد « ميكل أنجلو » فكرة هذا الموضوع من ملحمة الشاعر دانتى فصور الجحيم والجنة كما وصفهما .

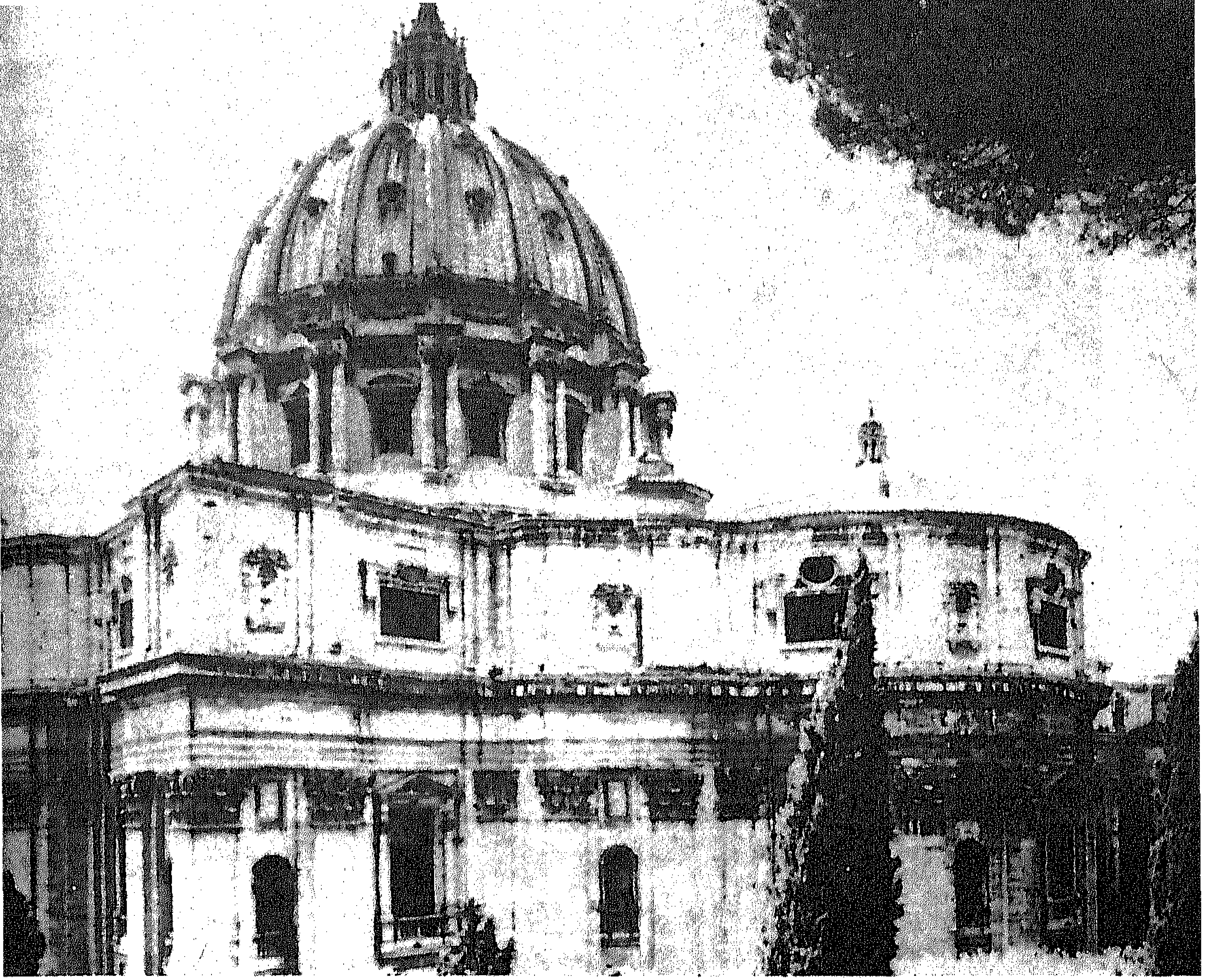
وفى خلال الثلاثين عاماً الأخيرة فى حياته كانت العمارة أهم أعمال « ميكل أنجلو » وترك فى هذا المجال أعمالا خلدت اسمه كمهندس فى التاريخ . فأقام مدخل مكتبة لاورنتيان



(شكل ٧٧) ميكل أنجلـــو ، « يوم الحساب » ، أفرسكو ، ١٥٣٤ – ١٥٤ ، كنيسة سيستيا ، الفاتيكان .



(رسم ٨) ميكل أنجلو يضم كنيسة القديس بطرس .



(شكل ٧٨) ميكل انجلو .
« كنيسة القديس بطرس » . روما .
١٥٤٦ - ١٥٦٤ (أتم القبة
ديلابورتا عام ١٥٩٠) .

بفلورنس . كما شيد المبانى المحيطة بساحة تمثال ماركوس اوريليوس فى عام ١٥٤٥ . إلا أن أعظم أعماله المعمارية تتضح فى القبة العظيمة (رسم هـ) التى شيدها لكنيسة القديس روما (شكل ٧٨) فى الفترة (١٥٤٦ - ١٥٦٤) فلما قضى نحبه أتمها المهندس « جياكومو ديلا بورتا » فى عام ١٥٩٠ .

« رافائيل سانزيو Raphael Sanzio » (١٤٨٣ - ١٥٢٠) .

نشأ عبقرى عصر النهضة الذهبى الرابع « رافائيل » نشأة فنية فى بلده أروبينو حيث كان والده « جيوفانتى دى سانتى » مصوراً . وعندما تكشفت مواهبه فى فن التصوير رحل إلى

بيروجيا ، والتحق بمرسم مصورها « بيروجينو » فى الفترة (١٥٠٠ - ١٥٠٤) وكان لاستاذه تأثير كبير على أسلوبه يتضح فى أوائل أعماله « حلم الفارس » « وزواج العذراء » (شكل ٧٩) التى رسمها عام ١٥٠٤ .

إلا أن أسلوب « رافائيل » لا يلبث أن يتغير بعد ذهابه إلى فلورنس وإقامته فيها للفترة (١٥٠٤–١٥٠٨) فى الوقت الذى كانت أعمال عمالقة فلورنس ليوناردودافنشى « وميكل أنجلو » حديث المدينة . ففى تلك الفترة كان ليوناردو صمم رسوم موضوع معركة « انجيارى » ويقوم برسم لوحة « الموناليزا » ، بينما أتم ميكل أنجلو نحت تمثال « داود » ويعمل فى لوحة « الجنود المستحمين » الذى تقدم به للمسابقة التى سبق أن ذكرناها ، وبذلك وجد هذا الشاب الصغير أن فرصة منافسته لهذين العملاقين مستحيلة .

وعندما وجد الفنان الشاب الذكى أن من الصعب عليه أن ينافس قوة أسلوب « ميكل أنجلو » ورقة أسلوب « دافنشى » ، تخير لنفسه أسلوباً منفرداً اقتبسه من أعمال مجموعة الفنانين الإيطاليين المعاصرين له الذين أعجب بهم . فتخير أسلوب الراهب بارثلميو كقاعدة عريضة لاقتباسه ومزجها بأحسن ما رآه من أساليب الفنانين المعاصرين العظام . واستطاع بمهارته ان يكون من هذا المزيج أسلوباً خاصاً تميز به .

فتظهر فى أعماله الأولى التى أتمها فى فلورنس ملامح من أساليب الفنانين الذين تأثر



(شكل ٧٩) رافاييل ، « زواج العذراء » ، لوحة زيتية ، ١٥٠٤ متحف بريرا ، ميلانو .

بهم . وانعكس فى لوحته المسماة (عذراء الزهرة) (شكل ٨٠) التى رسمها فى الفترة (١٥٠٥ - ١٥٠٦) ، شاعرية تذكرنا بعذراء الصخور التى رسمها دافنشى كما يظهر بها ملامح من أسلوب « بارتلميو » المعبر عن الحنان فى القصة المسيحية .

ويظهر تأثير « مايكل أنجلو » على « رافائيل » بعد ذهابه إلى روما ، حيث استدعاه البابا « جوليوس الثانى » إلى العاصمة فى عام ١٥٠٨ للمساهمة بفنه فى زخرفة جدران بعض قاعات قصر الفاتيكان . وكان « برامنتى » يشرف فى تلك الفترة على تعمير كنيسة القديس بطرس بروما ، كما كان « ميكل انجلو » قد بدأ برسم سقف كنيسة سستينا، ويدين «رافائيل » « لبرانتى » بهذه المهمة حيث كان هو الذى اوعز إلى البابا باستدعاء رافائيل ليساهم فى تجميل روما .

بدأ رافائيل بزخرفة جدران وسقف قاعة التوقيعات بلوحات استمد موضوعاتها من الحضارات الإغريقية والرومانية . وتعتبر لوحة مدرسة أثينا (شكل ٨١) أشهر هذه اللوحات أشهر هذه اللوحات وأكثرها توضيحاً للكلاسكية التى كانت إحدى الخصائص المميزة لطراز ذلك العصر .

تجمع هذه اللوحة التى رسمها فى الفترة (١٥١٠ - ١٥١١) أقطاب فلاسفة اليونان وأدباءهم . فنجد مجموعة من الفلاسفة أمثال « سقراط » « وفيثاغورس » « وأرشميدس » . . إلخ يحيطون « بأفلاطون » « وأرسطو » فى أوضاع تميز طبيعة كل منهم . فيشير أفلاطون إلى أعلى تعبيراً عن المثالية العالية ، بينما نجد تلميذه « أرسطو » يشير بيده إلى أسفل تعبيراً عن توصيل تعاليم أستاذه إلى البشرية .

ومن الواضح أن رافائيل كان قد رأى سقف سستينا قبل أن يبدأ فى لوحته ، كما أن تصميمها يذكرنا بلوحة العشاء الأخير التى صورها ليوناردو . إلا أن رافائيل تميز بمقدرته الفنية فى إذابة عناصر أساليب الفنانين المعاصرين فى طرازه الخاص الجديد . وأحسن مثل يوضح ذلك لوحة « انتصار جاليتا » (شكل ٨٢) التى رسمها على جدران فيلا فارنيزينا بروما فى حوالى ١٥١٣ . ويذكرنا هذا الموضوع الأسطورى بموضوع ميلاد فينوس كما أن تنفيذه يذكرنا بالعبقريان دافنشى وميكل أنجلو .

ولقد نال هذا الفنان حظوة كبيرة لدى البابا جوليوس الثانى لم ينلها العبقرى ميكل أنجلو مما سببت فى إشعال الغيرة فى نفس الفنان العظيم .

اشتهر رافائيل برسم عدد كبير من اللوحات تصور العذراء مريم وطفلها والطفل يوحنا

(شكل ٨١) رافاييل ، « مدرسة أثينا » ، ١٥١٠ — ١٥١١ ، ←
تصوير جدارى بقاعة التوقيع ،
كنيسة سيستينا ، الفاتيكان .



(شكل ٨٠) رافاييل ، « عذراء الزهرة » ، ١٥٠٥ – ١٥٠٦ . متحف أوفتزى ، فلورنس .



(شكل ٨٢) رافاييل ، « انتصار جالاتيا » ، تصوشير جدارى ، ١٥١٣ فيلا فارتيزنيا ، روما .



أثناء إقامته فى فلورنس وروما ، وأخرج من هذا التصميم الهرمى أجمل لوحات صورت لهذا الموضوع موزعة على المتاحف العالمية ، « العذراء والسمكة الذهبية » (١٥٠٥ - ١٥٠٦) - « العذراء فى المروج » ١٥٠٥ بمتحف فينا ، « عذراء الغراندوق ١٥٠٥ قصر بيتى بفلورنس « عذراء البا » ١٥٠٨ المتحف الأهلى بواشنطن ، « العذراء والسمكة » متحف برادو مدريد ، « عذراء المظلة » ١٥١٦ متحف ميونخ ، إلا أن أجمل هذه المجموعة لوحة « عذراء الكرسى » التى رسمها فى روما عام ١٥١٦ (شكل ٨٣) ويقال إن رافائيل استوحى لوحته من أم شابة رآها تجلس أمام بيتها تحتضن ابنها (شكل ٨٤) فأخرج قلمه ورسمها فى الحال وأوضح فيها جمال الأمومة الطبيعى .

ظهرت براعة « رافائيل » فى رسم الشخصيات فى روما وانهالت عليه الطلبات من الشخصيات البارزة ، ومن أشهر هذه اللوحات الغادة ذات الوشاح [**لوحة ملونة رقم ٩**]التى تذكرنا ابتسامتها بلوحة الموناليزا ، ومن الشخصيات التى رسمها ، البابا « جيوليوس الثانى » (١٥١١ - ١٥١٢) والبابا « ليو العاشر » مع أولاد أخيه الكرادلة جيليووليومى فى عام ١٥١٨ .

ولقد كون رافائيل فى روما أتباعاً من الفنانين أشهرهم « جوليورومانو Julio Romano » (١٤٩٩ - ١٥٤٦) الذى عمل رئيس معاونيه فكان كثيراً ما يكمل الأعمال التى يبدأ بها أستاذه . ولقد استقر رومانو فى مدينة مانتوا عام ١٥١٤ . وقام برسم لوحات جدارية متعددة فى مبانيها .

ومن مصورى فلورنس الذين ساهموا فى تطوير فن التصوير فى عصر النهضة الذهبى الراهب « فرابارتلميو Fra Bartolomio » (١٤٧٥ – ١٥١٧) . كان هذا الفنان معاصراً « لجيرلاندايو » و « بوتتشيلى » كما عاصر الراهب المصلح « سافوناورلا » وتأثر بآرائه . فأحرق رسومه ذات الموضوعات الإغريقية واعتكف فى الدير لفترة ، ولقب بالأخ بارتلميو . وعندما اقتنع بالعودة إلى ممارسة فن التصوير بعد إعدام سافوناورلا فى عام ١٤٩٨ اقتصرت لوحاته على الموضوعات الدينية .

وتتميز لوحاته بتوضيح العمق واستخدام خلفية مسطحة تغلف الأشخاص ويتضح أسلوبه فى لوحة « زواج القديسة كاترين » التى رسمها فى عام ١٥١٢

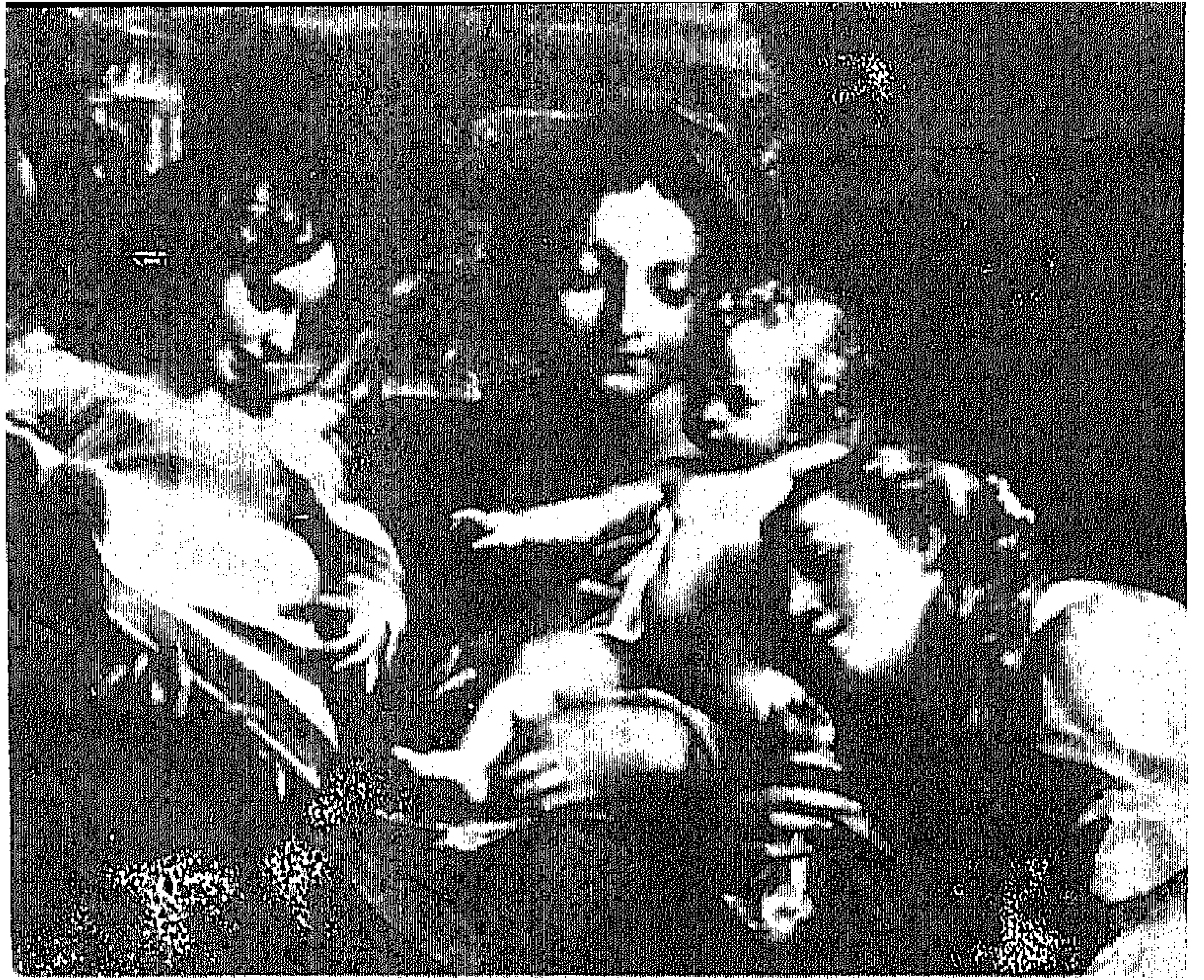
ولقد أثرت أساليب ليوناردو « وميكل انجلو » ورافائيل » فى مصورى فلورنس فتنعكس ملامح من فنونهم فى فن المصور اندريا ، ديل سارتو (١٤٨٦ - ١٥٣١) الذى تميز فى رسم الجدران وفى الصور الشخصية .



(شكل ٨٣) رافاييل ، « عذرا الكرسى » ، ١٥١٦ ، لوحة زيتية ، قصر بيتى ، فلورنس .



(شكل ٨٤) « ليتوجراف » للمصور هويفجارتن يصور موضوع رسم رافاييل لعذراء الكرسى ، ١٨٣٩ .



(شكل ٨٥) كوريجيو ، « العذراء والقديس جيروم » ، جزء تفصيلى من لوحة زيتية ١٥٢٧ ، متحف مدينة بارما .

أنتونيو الليجرى الشهير باسم كوريجيو(A . Allegri (Corregio ١٤٨٩ — ١٥٣٤ .

انتقل تأثير عباقرة النصف الأول من القرن السادس عشر إلى أنحاء كثيرة فى روما ، ويتضح ذلك فى أعمال المصور « كوريجيو »

نشأ هذا الفنان فى مدينة بارما واشتهر بأنه يجمع فى لوحاته تأثيرات متعددة استمدها من أحسن المصورين المعاصرين . ويكون بذلك قد سبق فن الباروك الذى ازدهر فى القرن التالى وتكشف أعماله التى أتمها فى الفترة « ١٥١٤ - ١٥١٩ » عن معرفته بأسلوب « ليوناردو » ومن الواضح أنه زار رافائيل عام ١٥٢٠ حيث يظهر فى الأعمال التى قام بها بعد ذلك تأثير فنون « ميكل انجلو » « ورافائيل » عليه . ويتضح ذلك فى موضوع الصعود وفى لوحة العذراء والقديس جيروم التى رسمها عام ١٥٢٧ (شكل ٨٥) .

مدرسة البندقية :

تكونت فى البندقية فى أوائل القرن السادس عشر مدرسة تصوير لعبت دوراً هامًّا فى تطوير أساليب فن التصوير الإيطالى . وبينما نجد فرقاً واضحاً بين فن النهضة المبكر والمزدهر فى فلورنس وروما نلاحظ أن ذلك لا ينطبق على البندقية .

ويعتبر المصور العظيم جورجونى مؤسس هذه النهضة المتطورة التى ازدهرت فى البندقية والتى تميزت بألوان دافئة .

« جورجيونى Giorgione » (١٤٧٨ - ١٥١٠) .

يعتبر هذا الفنان أحد عظماء المصورين فى العالم بالرغم من أن حياته كانت قصيرة وإنتاجه كان قليلا .

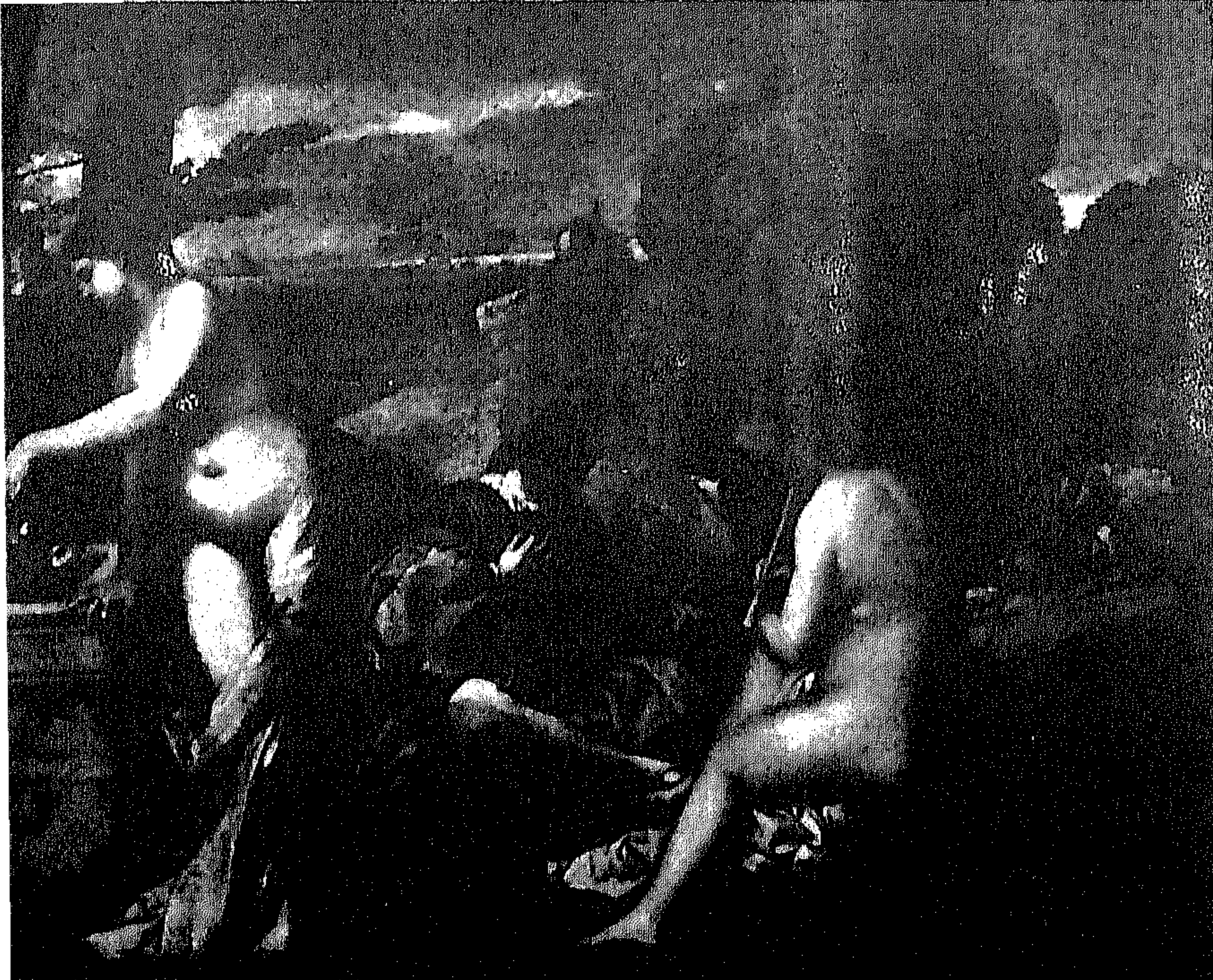
نشأ « جورجونى » فى بلدة كاستل فرانكو ومارس فن التصوير منذ صغره ، ثم ارتحل إلى البندقية ليتلقى مزيداً من الخبرة على يد أستاذه الشهير المصور « جوفانى بيللينى » وظهرت مواهبه فى الأعمال التى كلفه بها أستاذه .

استخدم « جورجونى » لأول مرة لوحة صغيرة ليرسم عليها ، واستطاع فى هذه اللوحات أن يرسم موضوعات تتسم بالغموض ، وتجمع بين شاعرية « بللينى » وبين النغم الموسيقى الذى أضفاه على لوحاته . وكان لحبه للموسيقى أثر كبير فى التنغيم الذى انعكس فى لوحاته .

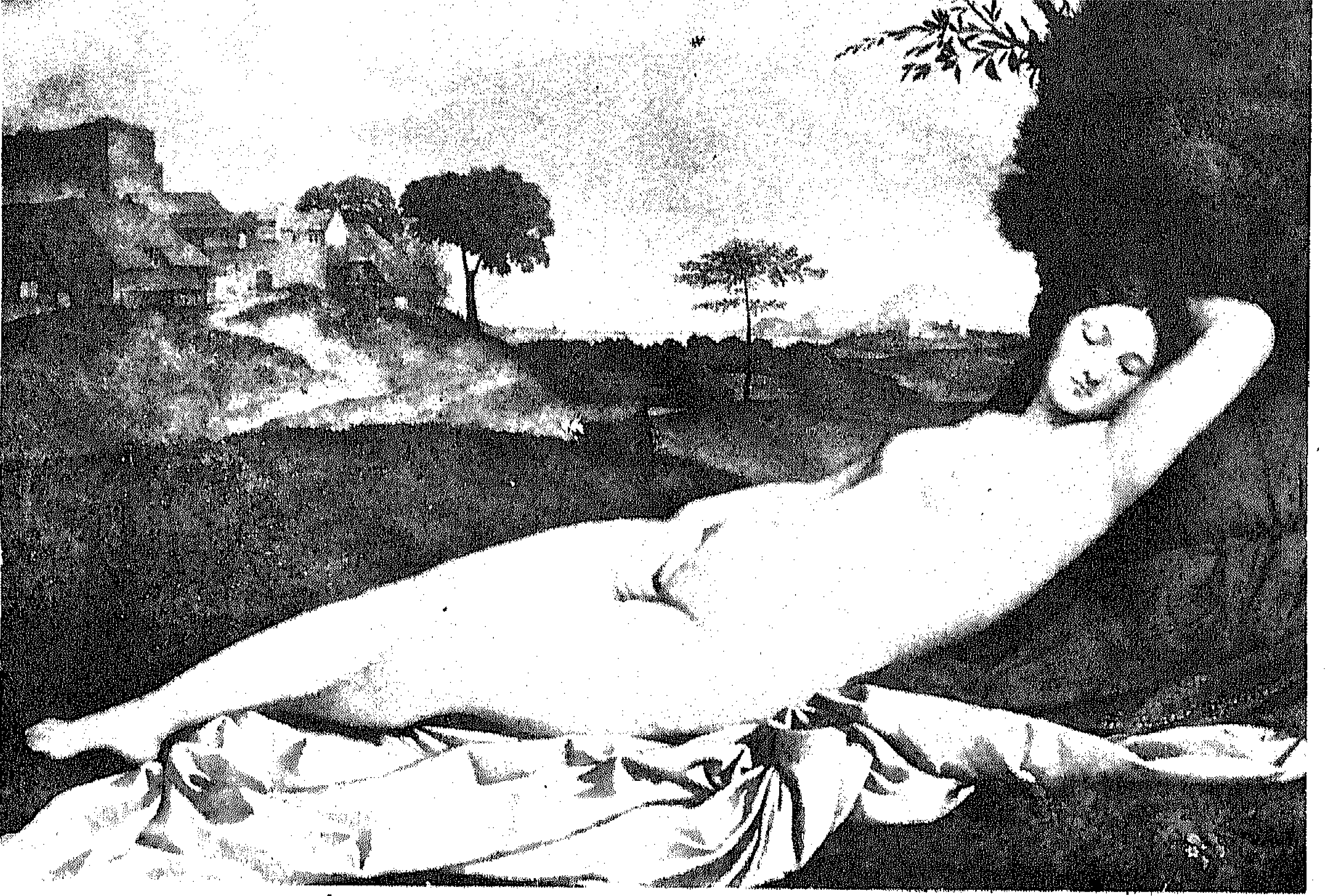
رسم جورجونى فى أوائل حياته لوحات دينية كان متأثراً فيها بأسلوب « بيللينى » وتلاحظ أن العذراء فى لوحاته تجمع بين القدسية وبين الجمال الأنثوى الموجود فى فتيات البندقية .

ولم يستقل جورجيونى بأسلوبه الخاص إلا فى أواخر حياته ، ويتضح ذلك من اللوحات التى تناول فيها موضوع الطبيعة كخلفية لأشخاص . فنلاحظ ذلك فى لوحة العاصفة [**لوحة ملونة رقم** ١٠] أحد أشهر أعماله . وتبدو فى هذه اللوحة امرأة ترضع طفلها فى الجهة اليمنى وجندى بزيه الرسمى واقفاً فى الجهة اليسرى . ونلاحظ فى هذه اللوحة أن الأشخاص ثانويون لا أهمية لهم بالمقارنة مع العاصفة التى بدأت تظهر بعد فى السحب وتوشك أن تحيط بالأشخاص غير الشاعرين بها .

ومن اللوحات التى توضح غرام جورجونى برسم الموضوعات المرتبطة بفن الموسيقى لوحة « اللحن الريفى (شكل ٨٦) التى تنسب فى بعض الأحيان إلى المصور تيسيانو . وفى وهى تصور



(شكل ٨٦) جورجيونى ، « اللحن الريفى » ، لوحة زيتية ، ١٥٠٥ متحف اللوفر .



(شكل ۸۷) جورجيونى ، « فينوس النائمة » ، لوحة زيتية ، متحف ديسدن ، ألمانيا .

رجلين بالزى الرسمى جالسين فى الخلاء بصحبة سيدتين عاريتين .

وفى إحدى لوحاته « فنيوس النائمة » (شكل ۸۷) تمكن جورجونى بشاعريته المميزة من الجمع بين دراسة الطبيعة وبين اهتمامه بالجمال الأنثوى الأرضى ، حيث صور الآلهة راقدة وسط منظر طبيعى عاطفى ملئ بالأشجار . ولقد كان لأسلوبه الجديد الذى يعتمد على تأثير النور والظلام على المرئيات أثر كبير فى أتباعه ، وبزغ منهم فى البندقية عدد كبير ، إلا أن أشهرهم كان المصور « تيسيانو » الذى استفاد كثيراً بألوان جورجونى المتوافقة وخطوطه المنغمة .

« **تيسيانو** Ticiano » (١٤٨٨ - ١٥٧٦)

نشأ تيسيانو فى بلدة ييف دى كادورو ثم رحل إلى مدينة البندقية ليدرس أصول فن التصوير وبدأ دراسته فى مرسم « جنتيل بلليني » ثم انتقل بعد فترة إلى مرسم أخيه « جوفانى » وهناك تعرف على المصور « جورجيونى » الذى كان يدرس هناك .

ولما استقل « جورجيونى » عن أستاذه « بلليني » اصطحب معه « تيسيانو » ليساعده فى زخرفة بعض القصور ، وزامله فى تنقلاته بين البلدان لمدة أربع سنوات تأثر فى خلالها تأثيراً كبيراً بفن أستاذه لدرجة أنه كان يصعب على الناس التفرقة بين أعمالهم خاصة أنه كان معجباً بتصوير الطبيعة مثل « جورجيونى » .

ولما توفى « جورجيونى » فى عام ١٥١٠ ، « وبلليني » فى عام ١٥١٦ ، صار « تيسيانو » مصور البندقية الأول بدون منازع وأبرع مصورى عصره ، وترجع إلى تلك الفترة أولى لوحاته المسماه « الحب المقدس والحب الدنس » (شكل ٨٨) التى رسمها عام ١٥١٥ . ولقد رسم فى هذه اللوحة امرأتين جميلتين جالستين فى الخلاء ، ترمز العارية منهما إلى الحب الدنيوى بينما ترمز المرتدية ثوبا إلى الحب السماوى .



(شكل ٨٨) تيسيانو ، « الحب المقدس والحب الدنس » ، لوحة زيتية .



(شكل ٨٩) تيسيانو ، « البابا بولس الثالث وأحفاده » ، لوحة زيتية ، ١٥٤٦ ، المتحف الأهلى ، نابولى .

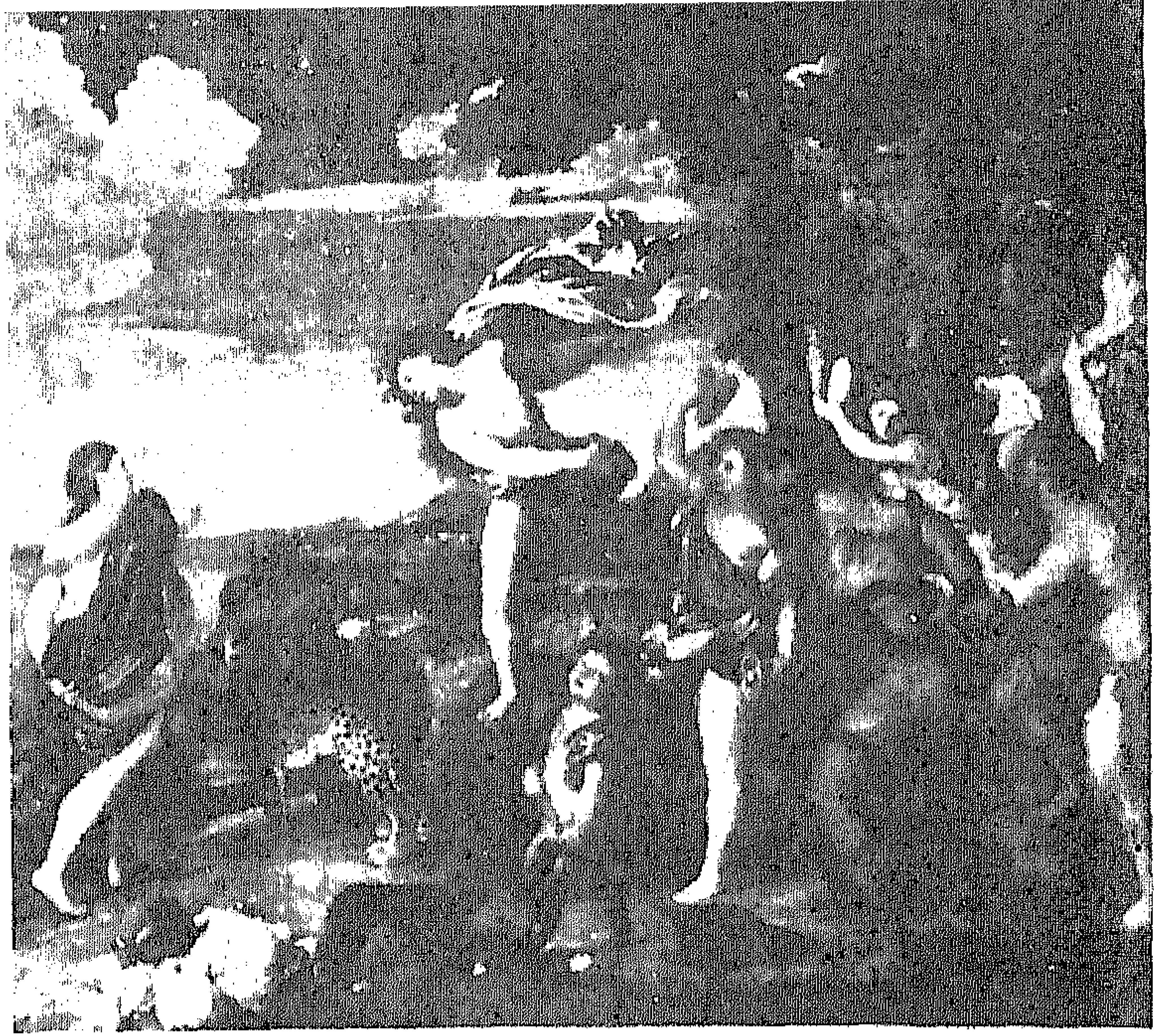
عالج « تيسيانو » فى حياته الطويلة موضوعات متعددة ، فرسم لوحات شخصية لكبراء عصره تمكن فيها من توضيح نفسية أصحابها . ومن أشهر هذه الأعمال لوحة « الرجل ذو القفاز » التى رسمها عام ١٥١٨ . ولقد ذاعت شهرة « تيسيانو » فى إيطاليا فى رسم الأشخاص خاصة بعد وفاة رافائيل فى عام ١٥٢٠ ، فانهالت عليه الطلبات من الحكام ورجال الدين وكلفه شارل الخامس ملك أسبانيا بعمل صورة له فى عام ١٥٣٣ ، فصور الحاكم فى ثيابه الحربيـة ممتطياً جواده . ولقد ظهر هذا الوضـع الملكى بعد ذلك فى لوحات المصورين « روبنز وفان دايك » . كذلك صار لفترة المصور الخاص للملك إنجلترا فيليب الثانى ، واستدعاه البابا بولس الثالث إلى روما ليصوره مع أحفاده فى عام ١٥٤٦ . (شكل ٨٩) .

ولم يقف إنتاج تيسيانو على الموضوعات السابقة فقط بل تناول أيضاً الموضوعات الأسطورية . فرسم قصة (باكوس وادريانو) (شكل ٩٠) عام ١٥١٩ فى خلفية طبيعية ذات ألوان زاهية دافئة تعبر عن أسلوب عصر النهضة الذهبى للبندقية .

تناول تيسيانو أيضاً الموضوعات الدينية التى تصور العذراء والمسيح والقديسين. ومن أشهر هذه اللوحات ، صورة رسمها فى أواخر حياته عام ١٥٧٠ لموضوع (تتويج المسيح بالشوك) (شكل ٩١) . وتوضح هذه اللوحة الأسلوب المبتكر الذى أدخله تيسيانو على لوحاته فى الفترة المتأخرة ، حيث اعتمد على النور والألوان فى تنفيذ هذا الموضوع . فتبدو الخلفية المظلمـة شيئاً ثانوياً بالنسبة لأبطال الموضوع المنعكس عليهم الضوء .

ومن لوحات تيسيانو العظيمة صورة فينوس » فتبدو الآلهة راقدة على سريرها داخل حجرتها [**لوحة ملونة رقم ١١**] بينما يوجد كلب صغير يرقد عند قدميها . ويتضح من هذا اللوحة تأثر تيسيانو بأستاذه جورجونى . والخلاف الوحيد بين اللوحتين نجده فى الخلفية الطبيعية عند جورجونى ، والخلفية المعمارية فى لوحة تيسيانو .

ومن مصورى الصف الثانى فى البندقية ، بالمافيكيو وديل بيومبيو ولورنزولوتو الذى نشر أساليب مدرسة البندقية فى جهات متعددة .



(شكل ٩٠) تيسيانو ، « با كوس وأدرانو » ، لوحة زيتية ، ١٥١٩ — المتحف الأهلى ، لندن .



(شكل ٩١) تيسيانو ، « تيوتج المسيح بالشوك ، لوحة زيتية ، ١٥٧٠ ، متحف بيناكوتيك ، ميونيخ .

الفصل الرابع

أواخر عصر النهضة فى إيطاليا

طراز النهجية

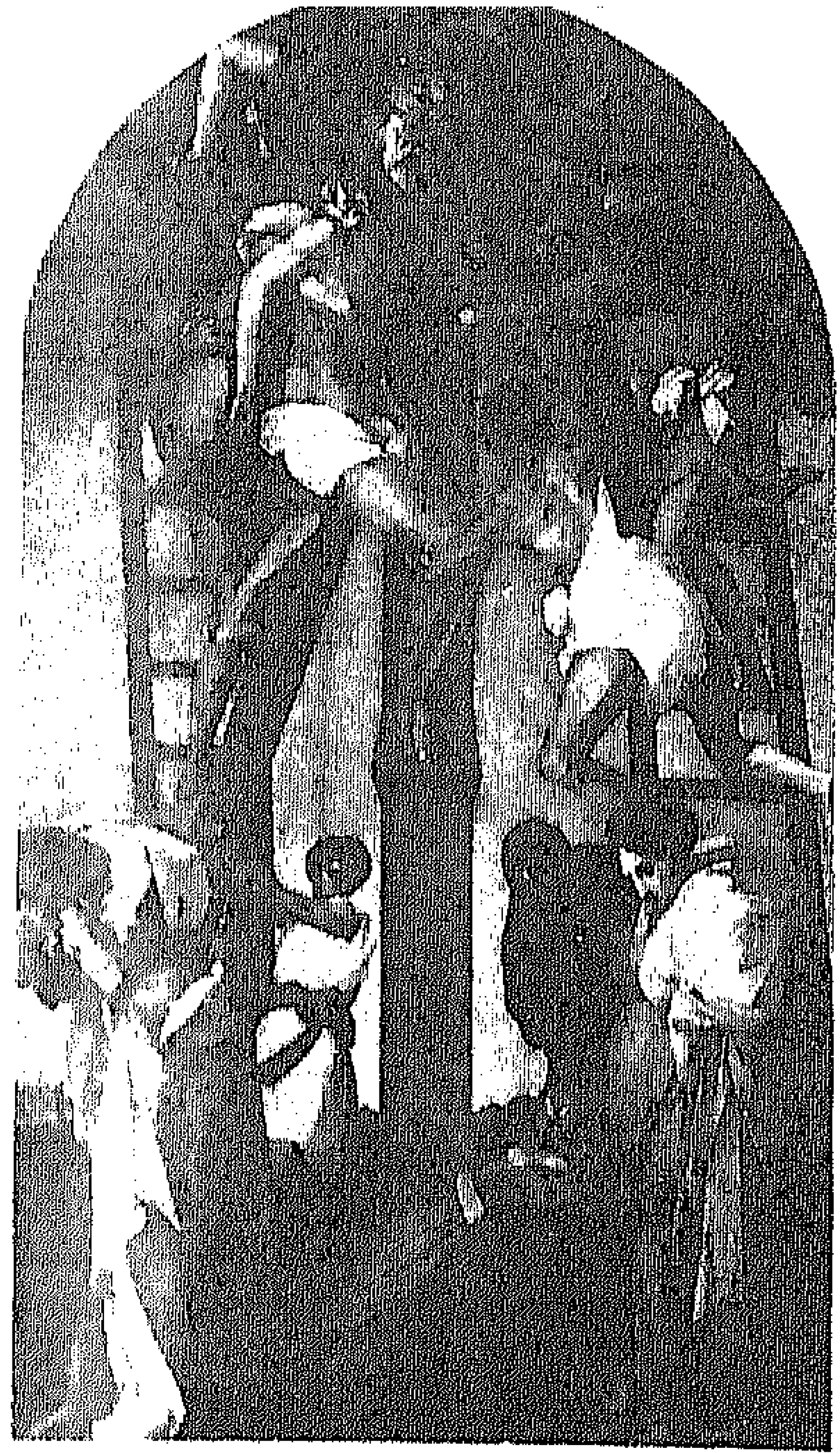
القرن السادس عشر

ظهر فى إيطاليا فى منتصف القرن السادس عشر طراز فنى جديد يختلف عن طراز عصر النهضة الذهبى . ولأن هذا الطراز كان يتبع منهاجاً جديداً فى فنون أواخر عصر النهضة ، لذلك عرف بأسم « النهجية Mannerism » ولقد بدأ تأسيس هذا الطراز الجديد فى أول الأمر مجموعة من المصورين فى روما وفلورنس ، ثم انتشر إلى بقية المراكز الفنية فى إيطاليا ، ولقد لاقى هذا الطراز المتكلف الترحيب من الحكام الاستقراطيين مثل غراندوق توسكانى وملك فرنسا وبذلك صار طرازاً دولياً .

التصوير :

كان هؤلاء المصورون يأخذون بعض الأساليب من « رافائيل » « وميكل أنجلو » ثم يجرون عليها بعض التعديلات لتبتعد عن الكلاسكية . فرسموا أشخاصاً فى الغالب بهم استطالة وفى أوضاع صعبة غير عادية ليثبتوا أنهم أمهر من فنانى عصر النهضة فى الوصول إلى تأثيرات عاطفية أو زخرفية . كما بالغ الكثير منهم فى تسجيل الانفعالات بطريقة متكلفة غير عادية .

وكان مؤسس هذا المذهب « روسو » « وبنتورمو » فى فلورنس ، « رومانو » فى مانتوا ، بارميجانينو فى بارما . وكانت الكلاسكية التى بلغت القمة فى فلورنس وروما فى الفترة من ١٥١٠ – ١٥٣٠ والتى يتأرجح فيها الميزان بين العاطفة والعقل وبين الخيال والحقيقة ، قد تأثرت بالابتكارات التى قدمها بونتورمو روسو .



(شكل ٩٢) روسو ، « إنزال المسيح من الصليب » . لوحة زيتية ، ١٥٢١ ، متحف بيناكوتيكا ، فولتيرا .



(شكل ٩٣) بونتورمو ، « النزول من الصليب » . لوحة زيتية ، ١٥٢٦ - ١٥٣٠ ، كنيسة القديسة فليتشيتا ، فلورنس .

روسو Rosso « (١٤٩٥ - ١٥٤٠)

تتلمذ على يد المصور « ديل سارتو » وتأثر به فى أعماله الأولى . كما استمد الكثير من « ميكل أنجلو » . إلا أنه حاول المبالغة فى تصمياته كما يبدو فيها الأشخاص فى حركات مفتعلة . ويتضح ذلك فى لوحة « الإنزال من الصليب » (شكل ٩٢) التى رسمها عام ١٥٢١ . ذهب « روسو » إلى روما فى الفترة (١٥٢٣ - ١٥٢٧) ودعاه الملك فرنسوا الأول إلى فرنسا عام ١٥٣٠ ، وكان أحد مؤسسى مدرسة تصوير « فونتين بلو Fontaine Bleau » بفرنسا .

جاكوبو بنتورمو Giacobo Pontormo « (١٤٩٤ - ١٥٥٦)

كان « بنتورمو » شخصاً غريب الأطوار منطوياً على نفسه . صادق المصور « روسو » ودرس الفن معه فى مرسم المصور « ديلى سارتو » فى حوالى عام ١٥١٢ ، ثم تركه ليدرس أسلوب « ميكل أنجلو » . كما اتصل بالمصور الألمانى « دورير . ويظهر تأثير هذا الفنان الأخير عليه فى رسم الأشخاص التى تتميز بخطوط عصبية مبالغ فى حيويتها . ويتضح أسلوبه فى الخروج عن المألوف لقواعد الفن فى عصر النهضة فى لوحة (النزول من الصليب) التى صورها عام ١٥٣٠ (شكل ٩٣) لكنيسة القديسة فيليتشينا » بفلورنس .

بارميجانينو Parmigianino (١٥٠٣ - ١٥٤٠)

نشأ هذا المصور فى بارما ، وكان متأثراً بالمصور « كوريجيو » فى اللوحات الافريسكو التى رسمها فى أول الأمر فى فونيشلا روكا فى حوالى عام ١٥٢٣ . إلا أن أسلوبه الجديد الذى يتجه إلى الابتكاريبدأ ظهوره بعد ذهابه إلى روما (١٥٢٣ – ١٥٢٧) . ويتضح ذلك فى لوحة « صورة الفنان منعكسة فى مرآة مقعرة » فى الفترة التى رسمها حوالى عام ١٥٢٤ (شكل ٩٤) ومن لوحاته المشهورة التى لجأ فى رسمها إلى تقاليد مبتكرة خارجة عن العرف السارى فى عصر النهضة لوحة « العذراء ذات الرقبة الطويلة [**لوحة ملونة رقم ١٢**] التى رسمها فى بارما عام ١٥٢٥ ونلاحظ فى هذه اللوحة أن الأشخاص بهم استطالة مبالغ فيها .

« **انجيلو برونزينو** » Angelo Bronzino (١٥٠٣ - ١٥٧٢)

تعرف على المصور « بنتزمو » عندما اشتغلا سويًّا فى تزيين كنيسة « القديسة فيلشيتا بفلورنس » وتأثر به ، إلا أنه ابتعد عن أسلوب أستاذه فى حوالى عام ١٥٣٠ وتخصص فى رسم الصور الشخصية لعائلة كوزيمو ميديتشى التى التحق ببلاطها . ويتضح أسلوبه المتطور فى لوحة « زوجة كوزيموميدتشى (شكل ٩٥) حيث نلاحظ بها ملامح من الكلاسكية تجعلنا نشعر بأن بشرتها أقرب إلى ملمس الرخام . ويوضح طراز النهجيه الذى كان مفضلا فى بلاط آل ميدتشى فى تلك الفترة لوحة أسطورية (فينوس ، كيوبيد ، والجنون والوقت) التى رسمها الفنان فى عام ١٥٤٥) (شكل ٩٦) .

ظهر الطراز النهجى فى البندقية فى منتصف القرن الخامس عشر وكانت زعامة فن التصوير فى تلك الفترة يقودها المصور تنتوريتو بعد وفاة تيسيانو ، وقد استفاد هذا المصور من اكتشافات « ميكل أنجلو » « وتيسيانو » .

« **تنتوريتو** » Tintorretlo (١٥١٨ - ١٥٩٤)

نشأ « جاكبوروبستى » وشهرته « تنتوريتو » فى البندقية ، وتتلمذ على يد المصور « تيسيانو » وأعجب بأسلوبه فى استخدام ألوان متعددة صافية فى لوحاته ، كما أعجب بأسلوب العبقرى « ميكل أنجلو » فى فنون الرسم والنحت وعكف على دراسة أعماله ، كما درس أصول فن المنظور وعلم التشريح . ولما ذاعت شهرته قام بتزيين جدران الكنائس والأديرة والمبانى الرسمية .

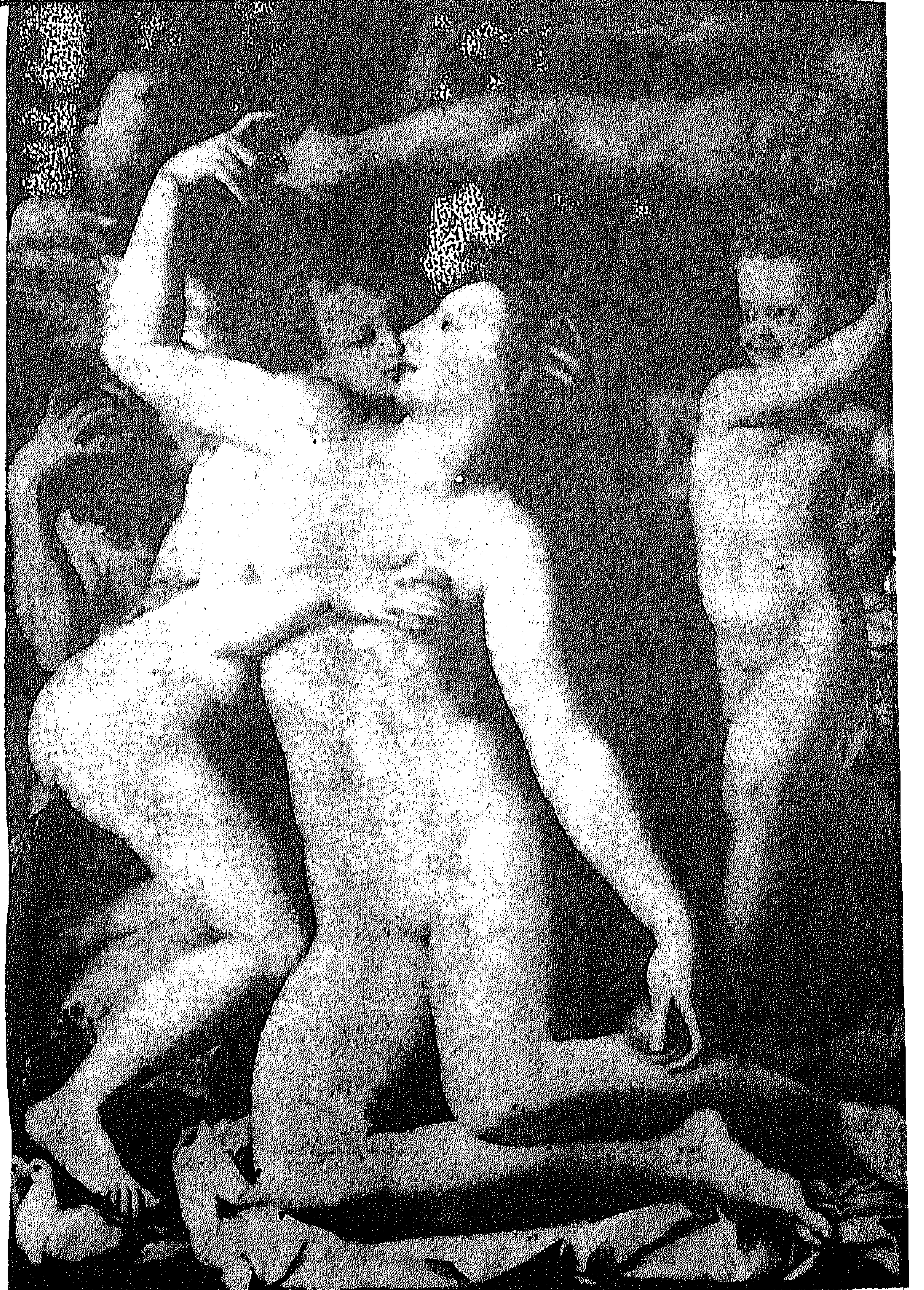
كلف « تنتوريتو » بزخرفة جدران قصر دوق البندقية ، فبدأ فى عمله فى عام ١٥٧٨ ،



(شكل ٩٤) بارميجانينو ، « صورة شخصية » ، لوحة زيتية ، ١٥٢٤ ، متحف الفنون التاريخية ، فيينا .



(شكل ٩٥) برونزينو ، « الينورا زوجة كوزيمو ميديتشى وابنها جيوڤانى » ، ١٥٥١ ، متحف أوفيتزى ، فلورنس .



(شكل ٩٦) برونزينو ، « فينوس ، كيوبيد ، والجنون والوقت » ، لوحة زيتية ، ١٥٤٥ .

ورسم عدة لوحات تميزت كلها بالابتكارات التىأدخلها على طراز عصر النهضة ، ونلاحظ فى إحدى هذه اللوحات التى تصور زواج القديسة كاترين (شكل ٩٧) بعض الأشخاص طائرون فى السماء .

ولقد اشتهر « تنتورينتو» بخيال واسع فى تصمياته كما استخدم حركات عنيفة لأشخاصه تعبيراً عن الانفعال فى الموضوع ، واستخدم إشعاعات من الضوء المنبعث من حول رؤوس بعض الأشخاص لإحداث الانفعال المسرحى الذى يسعى إليه ، ويتضح ذلك فى لوحة العشاء الأخير (شكل ٩٨) التى رسمها لكنيسة القديس بطرس فى الفترة ،(١٥٩٢ – ١٥٩٤) .

باولوفيرونيزى Paoulo Verones » (١٥٢٨ - ١٥٨٨) .

من مصورى البندقية الذين لمعوا فى القرن السادس عشر المصور باولوفيرونيزى . نشأ فى فيرونا ومارس فيها فن التصوير ثم أنتقل إلى بادوا فى عام ١٥٥٢ ثم إلى البندقية فى نفس العام وهناك تتلمذ على المصورين « تيسيانو» « وتنتوريتو» .

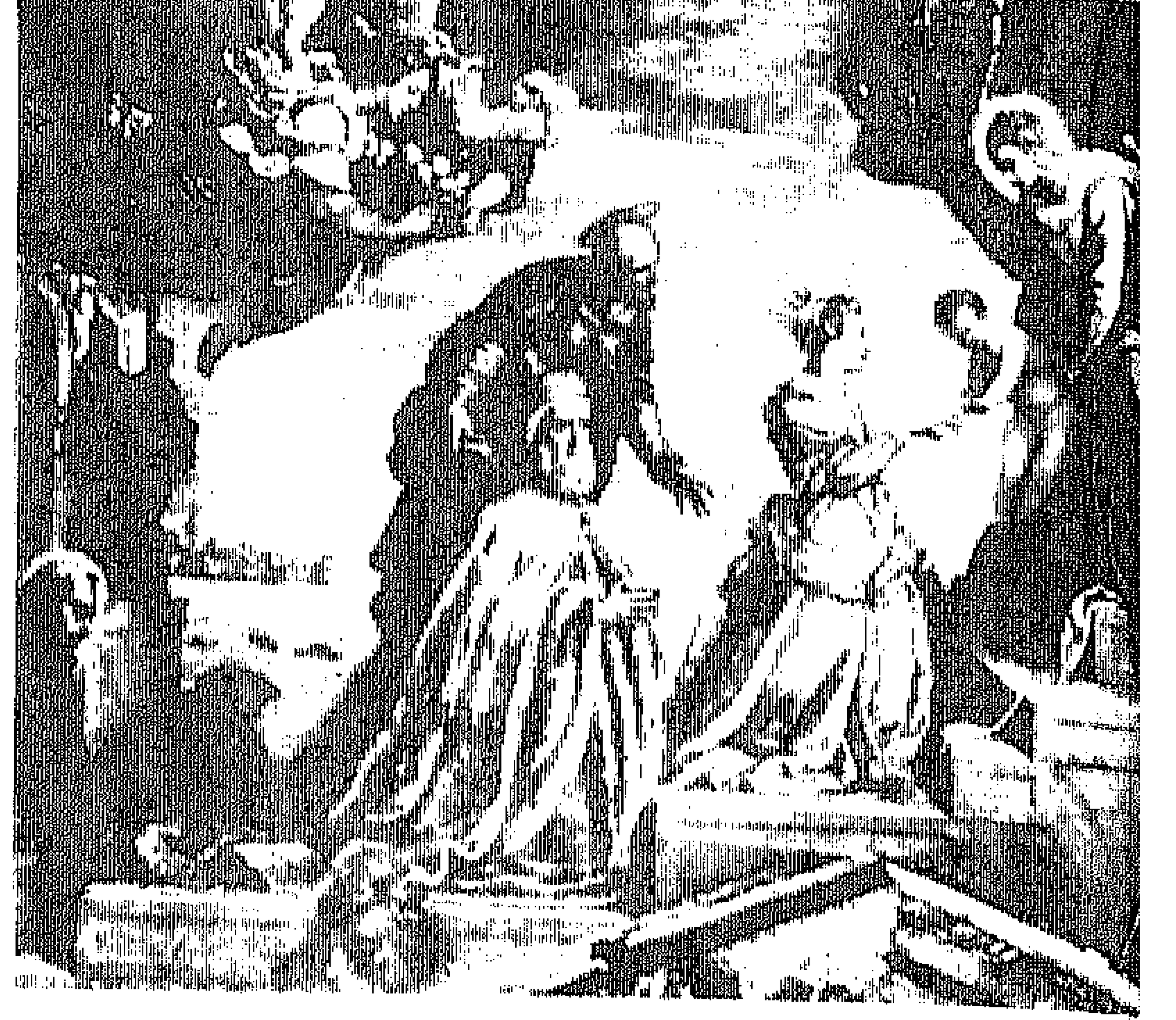
اشتهر فيرونيزى بزخرفة الجدران بالإضافة إلى لوحاته الزيتية وكان له اهتمام خاص بتسجيل خلفيات معمارية تصور المبانى الفخمة فى موضوعاته التاريخية والدينية ، كما صور أشخاصاً فى أزياء فخمة ، ويتضح ذلك فى لوحة « المسيح فى دار ليفى » (شكل ٩٩) التى صورها فى عام ١٥٧٣ .

ولقد ظهرت فى فلورنس فى النصف الثانى من القرن السادس عشر محاولة لإعادة الفنون إلى اللون الأكاديمى ، وكان على رأس هذه الحركة المصور المهندس والمؤلف جورجيو فاسارى (١٥١١ - ١٥٧٤) كما ظهرت محاولات مماثلة فى روما من بعض الفنانين أتباع أسلوب ميكل أنجلو .

وكان أعظم مصورى المذهب النهجى فناناً من أصل يونانى تعلم فى البندقية واستقر بطليطلة بإسبانيا وعرف باسم الجريكو .

الجريكو ElGreco (١٥٤١ - ١٦١٤) .

نشأ هذا المصور اليونانى الأصل « دومينيكوس ثيوتكوپولس Theotocopoulos Dominicos » فى جزيرة كريت التى كانت فى تلك الفترة واقعة تحت حكم البندقيـــة ، وهناك تعرف على الفن البيزنطى الذى كانت آثاره لا تزال قائمة . وعند ما رحل إلى البندقية بعد عام ١٥٦٠ تعلم فن النهضة الايطالى من أساتذتها المصورين مثل « تيسيانو » « وتنتورتو »

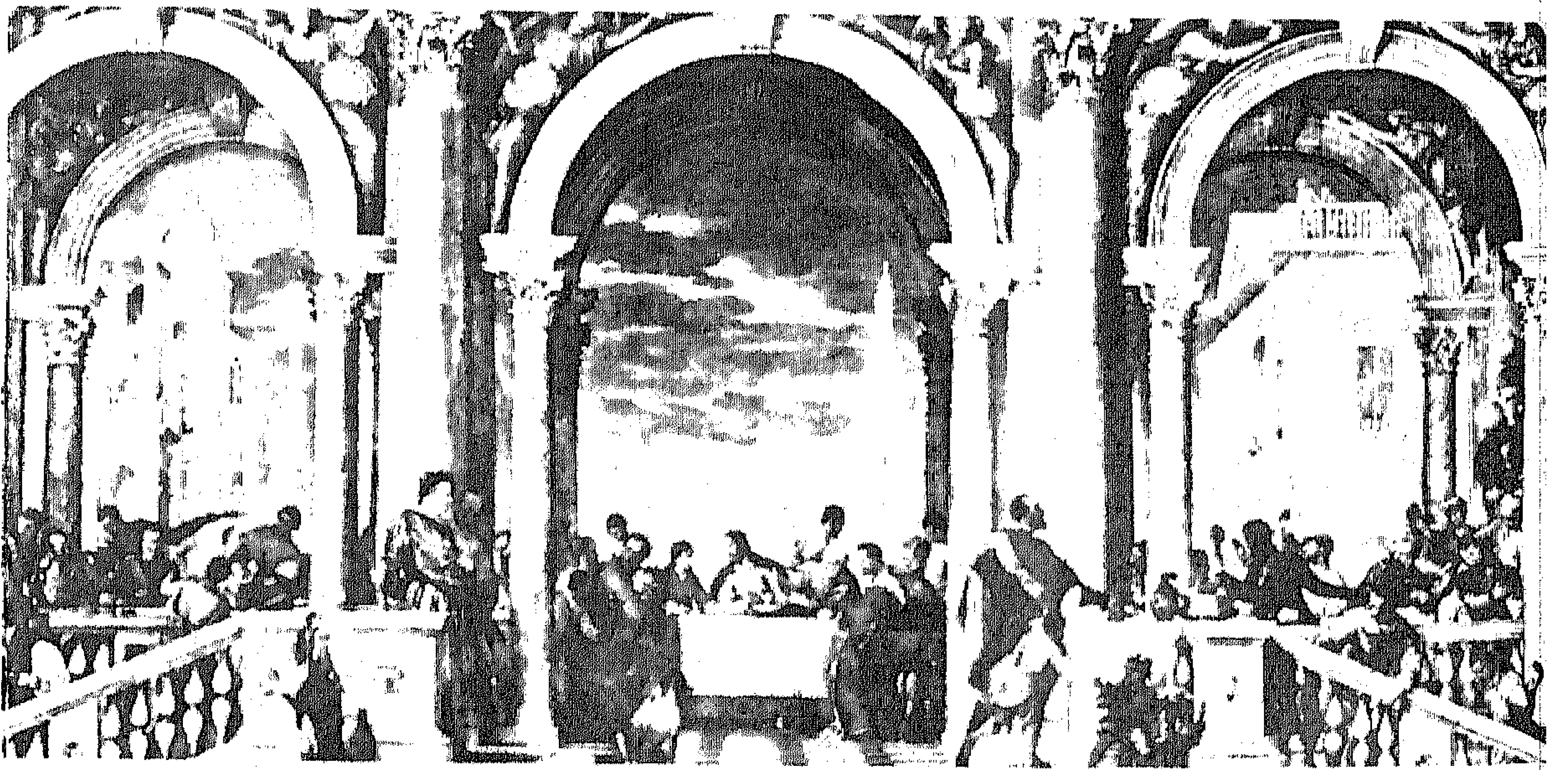


(شكل ٩٧) تنتوريتو ، « زواج القديسة كاترين » ، قصر الدوج . البندقية .

(شكل ٩٨) تنتوريتو ، « العشاء الأخير » ، ١٥٩٢ – ١٥٩٤ ، كنيسة القديس جيورجوماجورى ، البندقية .

(شكل ٩٩) فيرونيزى ، « المسيح فى دار ليڤى » ، ١٥٧٣ ، أكاديمية البندقية .







(شكل ١٠٠) الجريكو ، « لوحة الأخ بارافيسينو » ، لوحة زيتية ، ١٦٠٥ ، متحف الفنون الجميلة . بوشعون .

وغيرهم من مصورى البندقية ، كما تعرف على فنون « رافائيل » « وميكل أنجلو » عندما ذهب إلى روما ، وشاهد بدء ظهور طراز النهجية فى وسط أوربا .

إلا أنه رحل إلى أسبانيا فى عام ١٥٧٦ واستقر فى طليطلة التى قضى فيها بقية حياته ، وبالرغم من أن الأسبان كانوا يعتبرونه دخيلا عليهم ، ولم يرحبوا بإقامته بينهم ، إلا أن مهارته جعلتهم يسندون إليه عدة أعمال دينية ، من أبرزها لوحة مذبح القديس دومنجو ولوحة المسيح بكتدرائيـة المدينة . ويتضح فى هذه الأعمال أن تأثير الفن البيزنطى الذى عرفه فى كريت ما زالت ملامحه باقية فى أسلوبه . وعندما اتضحت عبقريته كلفه الملك « فيليب الثانى » برسم عدة لوحات لقصر الأسكوريال فى عام ١٥٨٠ ، إلا أن أعظم أعماله هى لوحة « دفن دون أورجاز » [**لوحة ملونة رقم ١٣**] التى رسمها لكنيسة القديس توميه بطليطلة فى عام ١٥٨٦ . وبالرغم من أن تاريخ وفاة الدوق يرجع إلى عام ١٣٢٣ ، إلا أن الجريكو صور الموضوع وكأنه معاصر ، فرسم بين الحاضرين لعملية الدفن كثيراً من النبلاء المعاصرين .

صور الجريكو عملية دفن جسد الدوق بينما صعدت روحه إلى أعلى فى هيئة سحابة صغيرة يحملها ملاك . ويذكرنا ذلك بملائكة « تنتوريتو » . وتشمل صور المسيح والعذراء وبقية الأشخاص المتضرعين إلى الله ، معظم الجزء الأعلى من اللوحة . ويظهر الأسلوب النهجى فى رسوم الأشخاص الموجودين فى الجزء الأسفل ، حيث رسمهم بأجسام مبالغ فى استطالتها ناظرين إلى أعلى . وتظهر براعته فى اختيار الألوان المتناسقة وفى تسجيل التفاصيل

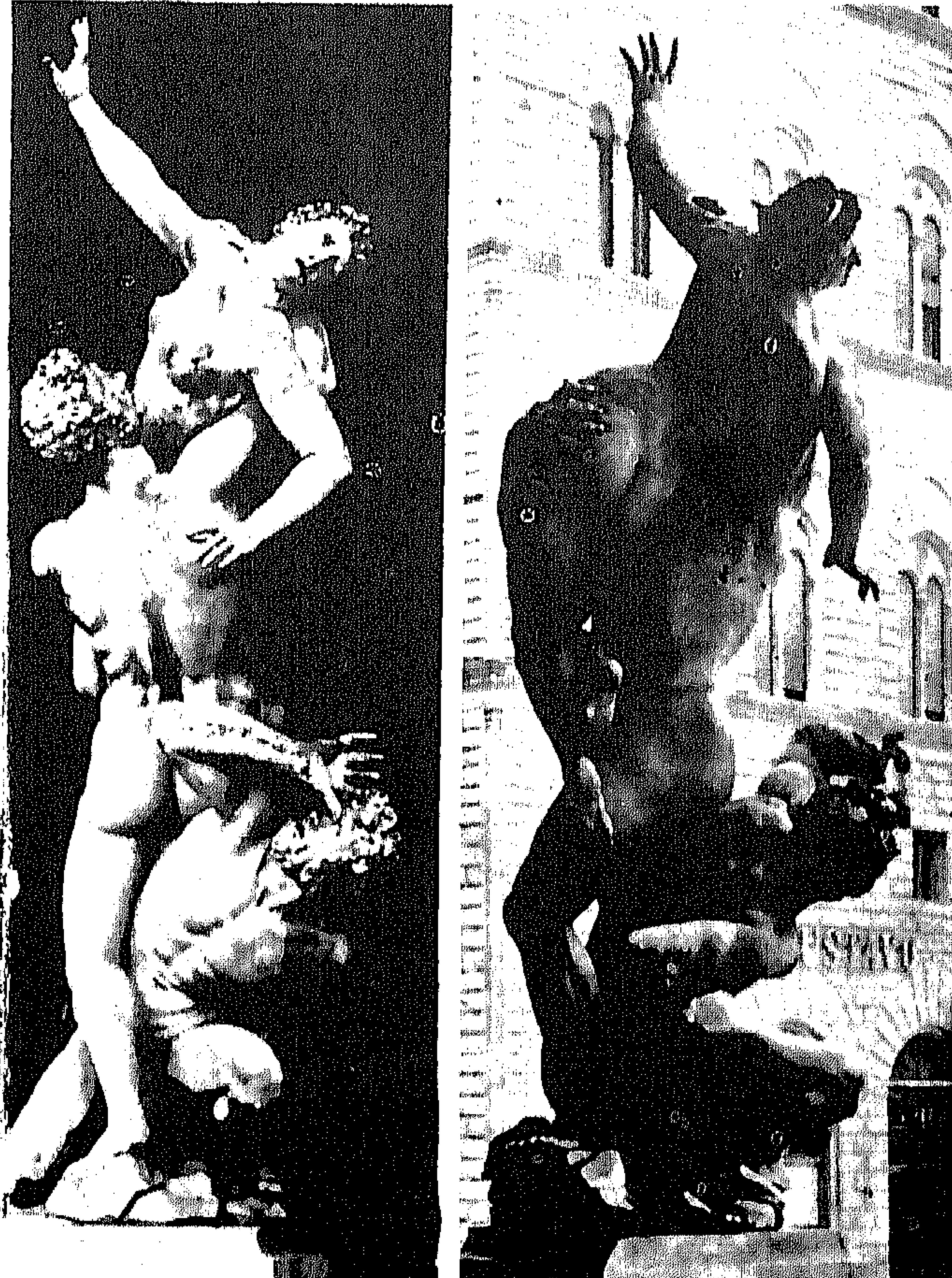
الدقيقة بدرجة لا يمكن مقارنتها إلا ببراعة أستاذه « تنتوريتو » . ولا يقتصر أسلوب الجريكو المسرحى على إنتاجه الدينى فقط بل نجده أيضاً فى اللوحات الشخصية التى تدرب عليها أثناء إقامته فى البندقية . وتتضح هذه المهارة فى لوحة الأخ « بارافيشينو » (شكل ١٠٠) التى رسمها فى عام ١٦٠٥ وكان هذا الراهب أديباً مشهوراً أشاد بمهارة « الجريكو » فى كثير من أعماله . وبالرغم من أن اللوحة تذكرنا بلوحات البندقية الشخصية التى اشتهر بها « تسيانو » « وبنتورمو» ، إلا أننا نلاحظ أن « الجريكو» نجح فى تكوين أسلوب خاص به . حيث عبر عن شخصية الراهب الروحانية التى تتفق مع المفكرين المتصوفين الذين ناهضوا حركة الإصلاح .

النحت :

تأخر ظهور أسلوب النهجيه فى ميدان فن النحت عنه فى فن التصوير ، حيث بدأ ظهوره فى فلورنس فى منتصف القرن . واشتهر فى هذا اللون من الفن « باندينيلى Bandineli » وتلاميذه « أمانتى Amanti وجيوفانى بولونا

جيوفانى بولونا « G.Bolona » (١٥٢٩ - ١٦٠٨)

كان بولونا من أصل فرنسى واستقر فى فلورنس وأسهم فى إحياء طراز النهجية فى أعمال النحت التى قام بها ويتضح خروجه عن المألوف فى مجموعة « اختطاف نساء سابين »(شكل ١٠١) التى أتم نحتها فى عام ١٥٨٣ .



(شكل ١٠١) جيوفانى بولونا ، « خطف نساء سابين » ، تمثال الرخام ، ١٥٨٣ ، فلورنس

« بنفينوتو شيليني Benvenuto Cellini » (١٥٠٠ - ١٥٦١)

يعتبر هذا الفنان من أشهر مثالى النهجية فى فلورنس . قام بنحت تماثيل من المعدن كما تميز بصفة خاصة فى ميدان الصياغة ، وكتب فى هذه الصناعة مؤلفاً مما ساعد على شهرته ، وبالرغم من إعجابه الشديد بأسلوب « ميكل أنجلو » إلا أن أشخاصه كان لها طابع مميز ، كما يظهر فى بعضها استطالة واضحة ، ولما ذاع صيته دعاه الملك فرنسوا الأول - إلى فرنسا للعمل فى بلاطه . ويتضح أسلوبه فى الملاّحة (شكل ١٠٢) التى قام بصنعها للملك فى الفترة من (١٥٣٩ - ١٥٤٣) .

على أن أسلوبه فى الابتكار والتجديد وتقليد أسلوب « ميكل أنجلو » المتأخر الذى مهد للنهجيين ، يتضح فى تحفته البرنزية « برسيوس » Perseus » (شكل ١٠٣) التى صنعها لحكام فلورنس فى عام ١٥٥٣ .

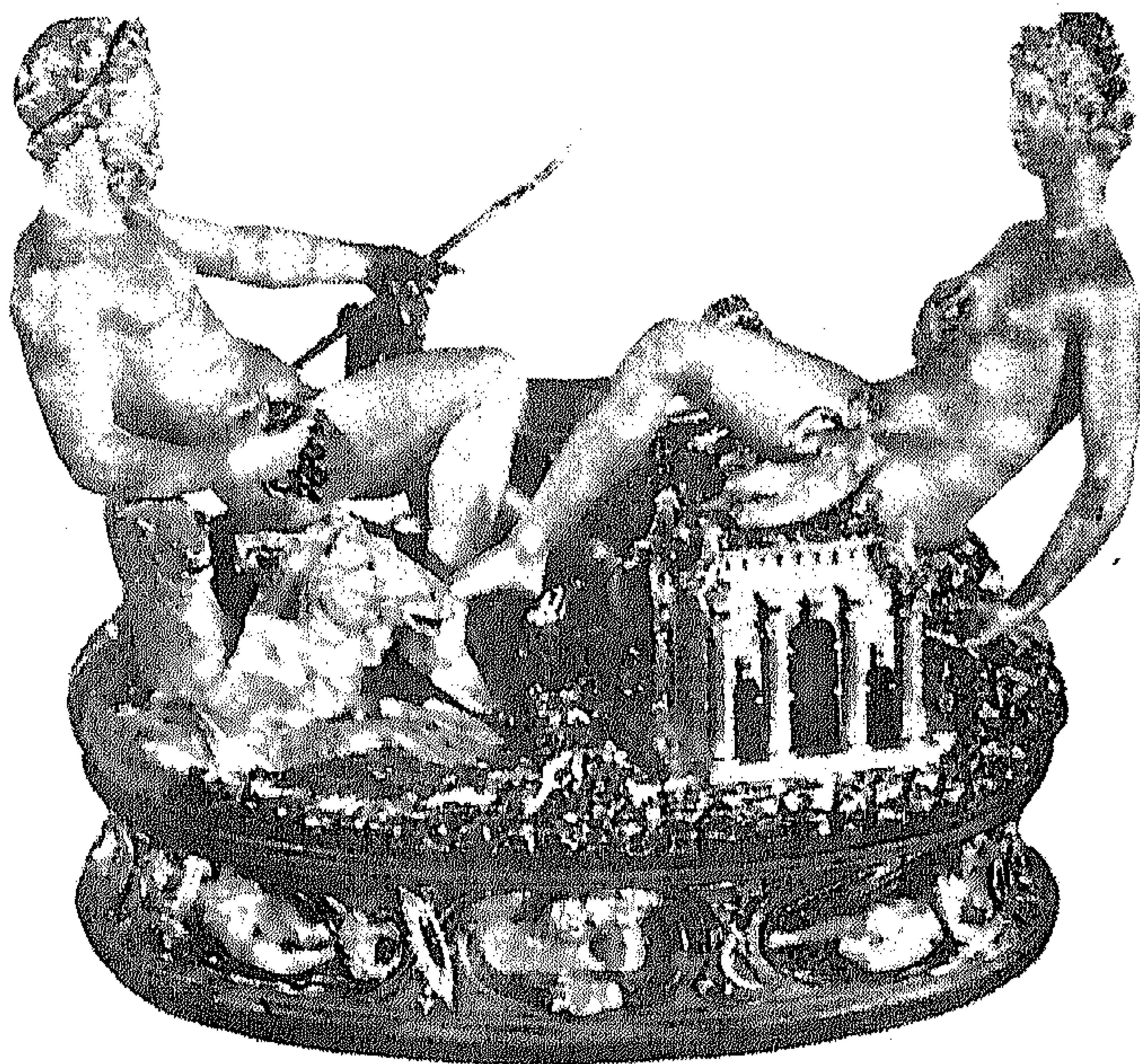
وكان ينافس شيليني فى بلاط الملك فرنسوا الأول المثال « بريماتتشيو Primaticcio » (١٥٠٤ - ١٥٧٠) ، الذى أسهم فى تأسيس مدرسة الفونتينبلو بفرنسا . تميز هذا الفنان بأسلوبه الزخرفى المبتكر فى تزيين الجدران ، فكان يحيط اللوحات المصورة بأشكال نسائية من الجص البارز تتميز باستطالة فى نسبها ويتضح ذلك فى جدران بعض قاعات قصر فونتينبلو (شكل ١٠٤) التى رسمها فى الفترة (١٥٤١ - ١٥٤٣) .

العمارة :

بالرغم من أن النهجية كان طرازاً يطلق عادة على فن التصوير فى الفترة التى تلت ازدهار الفنون فى عصر النهضة الذهبى ، إلا أننا لاحظنا مما سبق أن ملامح من هذا التغيير قد ظهرت فى أمثلة من فن النحت أيضاً . ومن الطبيعى أن يحاول المعماريون بدورهم أن يقوموا بمحاولات جديدة مبتكرة ليتميزوا عن عباقرة عصر النهضة ، سواء كان ذلك بمزيد من الاطلاع فى الثقافة والعلوم ، أو بالبحث فى الفنون الكلاسيكية . ومن هؤلاء الفنانين فاسارى ، أمانتى ، بلاديو ، فنيولا ، وديلابورتا .

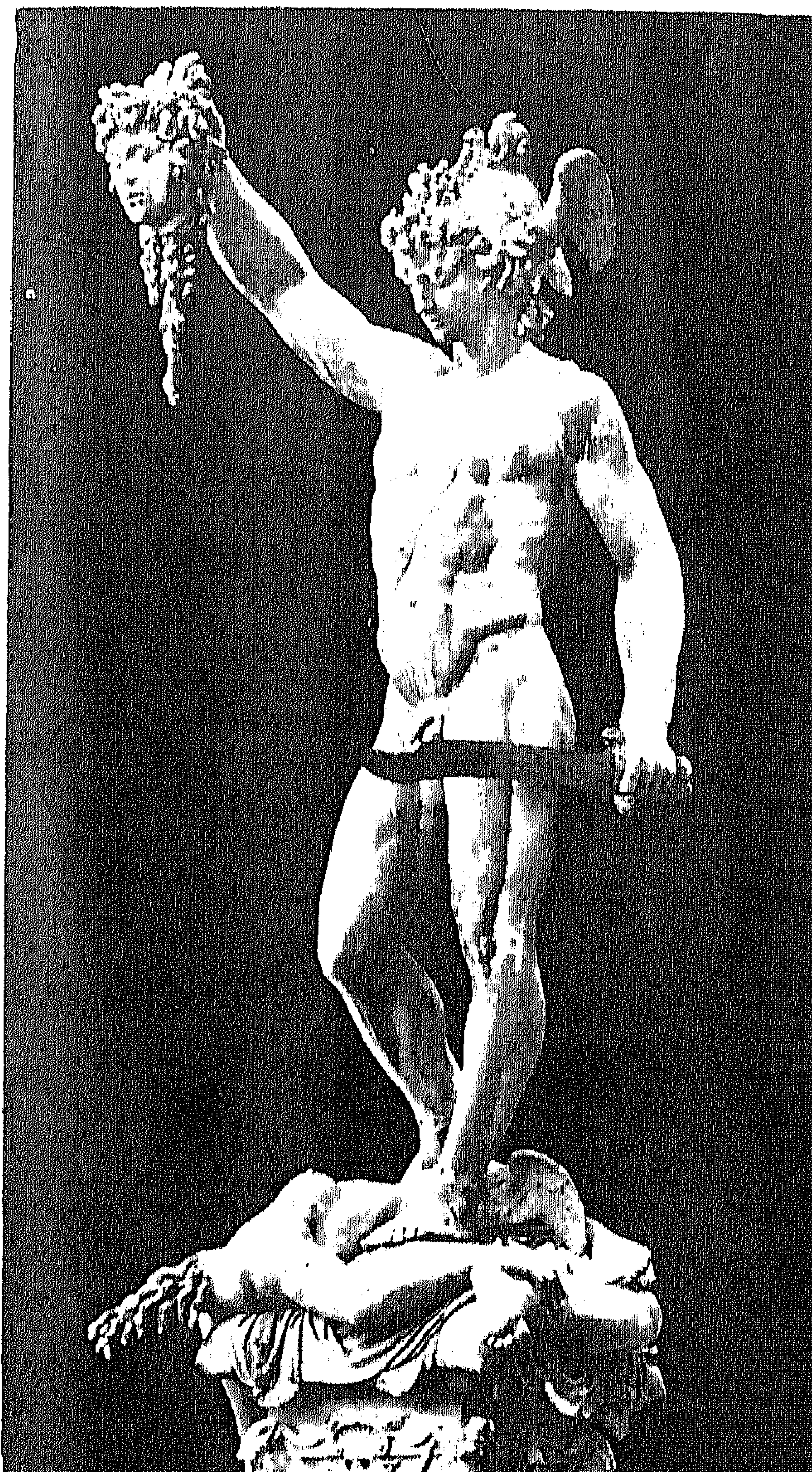
« جيورجيو فاسارى G.Vassari » (١٥١١ - ١٥٧٤) .

من أشهر فنانى فلورنس المتحمسين لفن ميكل أنجلو ، وقد قام بعدة أعمال فى المدينة أشهرها تعديل قصر السيادة من الداخل ، كما شيد جناحاً فى قصر الأوفتزى « Uffizi »



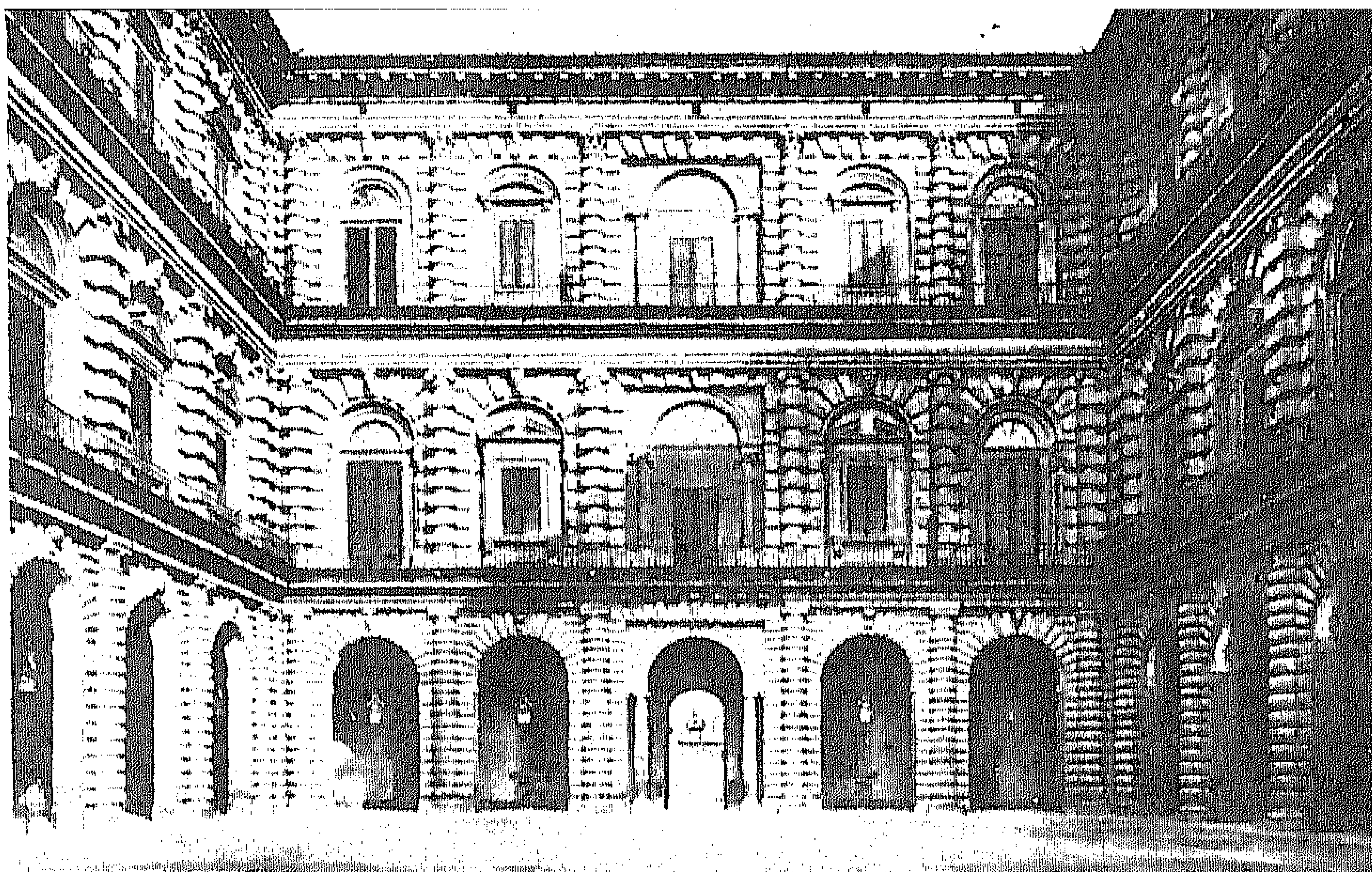
(شكل ١٠٢) بنبنوتو سلليني ، « ملاحة الملك فرنسوا الأول من الذهب » ، ١٥٣٩ - ١٥٤٣ ، متحف الفنون التاريخية ، فيينا .

(شكل ١٠٣) سلليني ، ١٥٤٥ - ١٥٥٤ تمثال من البرونز ، قاعة لانزى . فلورنس .

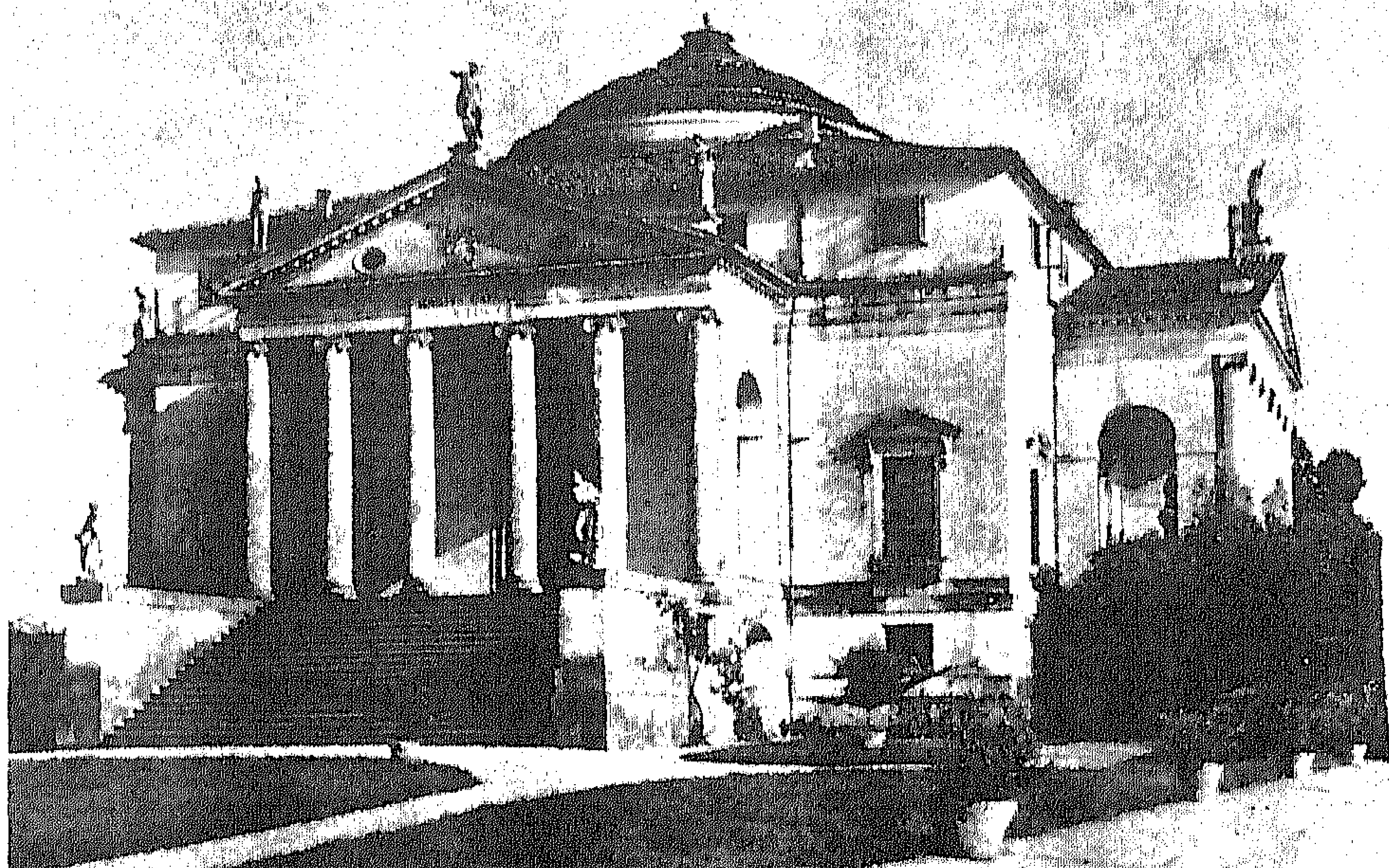




(شكل ١٠٤) بريماتتشو . زخرفة جصية بارزة . قصر فونتين بلو ، ١٥٤١ - ١٥٤٥ .



(شكل ١٠٥) بارتلومير أمانتى . فناء قصر بيتى ١٥٥٨ – ١٥٧٠ فلورنس



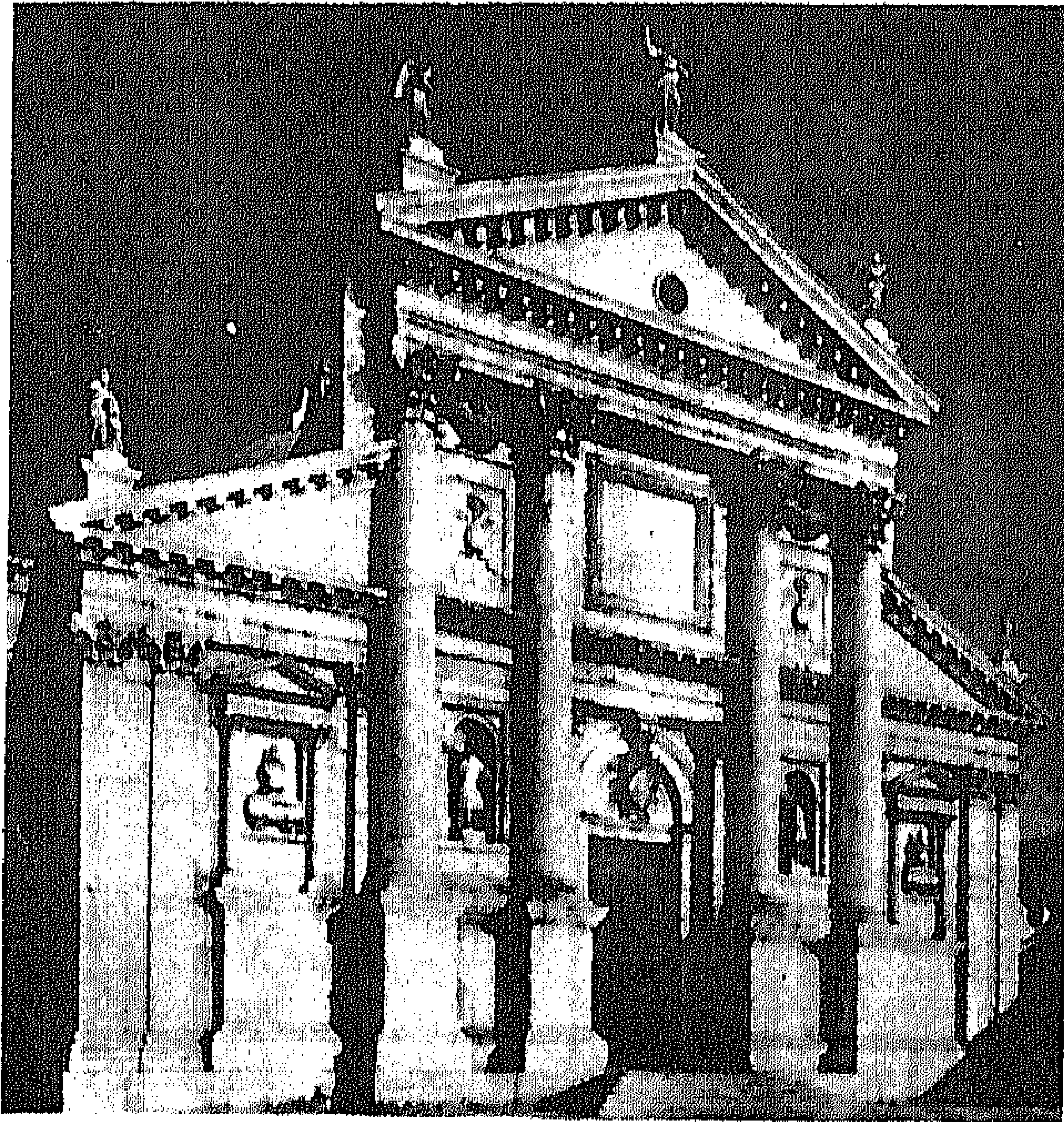
(شكل ١٠٦) بلاديو . فيلا روتوندا ١٥٥٠ ، مدينة فيشنزا .

ويتمثل التجديد فى فن العمار فى تلك الفترة فى تصميم الساحة الداخلية لقصر « بيتى Pitti » (شكل ١٠٥) الذى أقامه المهندس « أمانتى Amanti » (١٥١١ - ١٥٩٣) فى فلورنس فى الفترة ١٥٥٨ – ١٥٧٠ ولقد قام هذا المهندس بأعمال متعددة فى بادو وروما قبل عودته إلى فلورنس .

كان أكثر مهندس ذاع صيته فى تلك الفترة الفنان « بلاديو Palladio » (١٥١٨ – ١٥٨٠) الذى كان يدور فى فلك مدرسة البندقية . فقد قام بأعمال كثيرة تدل على أنه كان

على درجة كبيرة من العلم والثقافة ، كما تدل على إعجابه بالفنون الكلاسكية وتعد « فيلاروتوندا » (شكل١٠٦) التى بدأ بتشييدها بلاديو بالقرب من فيشنزا فى عام ١٥٥٠ ، بمثابة أحسن مثال يوضح اهتمامه بالفنون الكلاسكية . حيث يلاحظ أن المبنى به أربع واجهات متشابهة وقبة مستمدة من واجهات المعبد الرومانى . ولقد حاول « بلاديو »[١] أن يطبق هذه الأفكار فى المبانى الدينية أيضاً ، ووصل إلى حل مبتكر فى واجهة كنيسة القديس جيورجيو (شكل ١٠٧) المشيدة فى البندقية فى عام ١٥٦٥ حيث يلاحظ أنه ارتفع بالواجهة الكلاسيكية إلى ضعف ارتفاعها العادى . حتى يتمكن من توفير الدور الثانى فى الكنيسة المسيحية .

ولقد توصل إلى هذه الحلول المبتكرة مهندسان فى روما ، أولهما العالم المعمارى فينولا [٢] (١٥٠٧ – ١٥٧٣) « وديلابورتا » . فوضع « فينولا » تصميماً لكنيسة اليسوع فى عام ١٥٦٨ (رسم و) وصمم واجهتها (شكل ١٠٨) المهندس « ديلابورتا » ونفذها فى الفترة (١٥٧٥ – ١٥٨٤) ويلاحظ فى هذه الواجهة التأثر ببعض أساليب الكلاسيكية مجتمعة مع أساليب عصر النهضة . وبذلك يكون « فينولا » قد مهد الطريق لنموذج طراز عمارة الباروك الذى يظهر بعد ذلك .



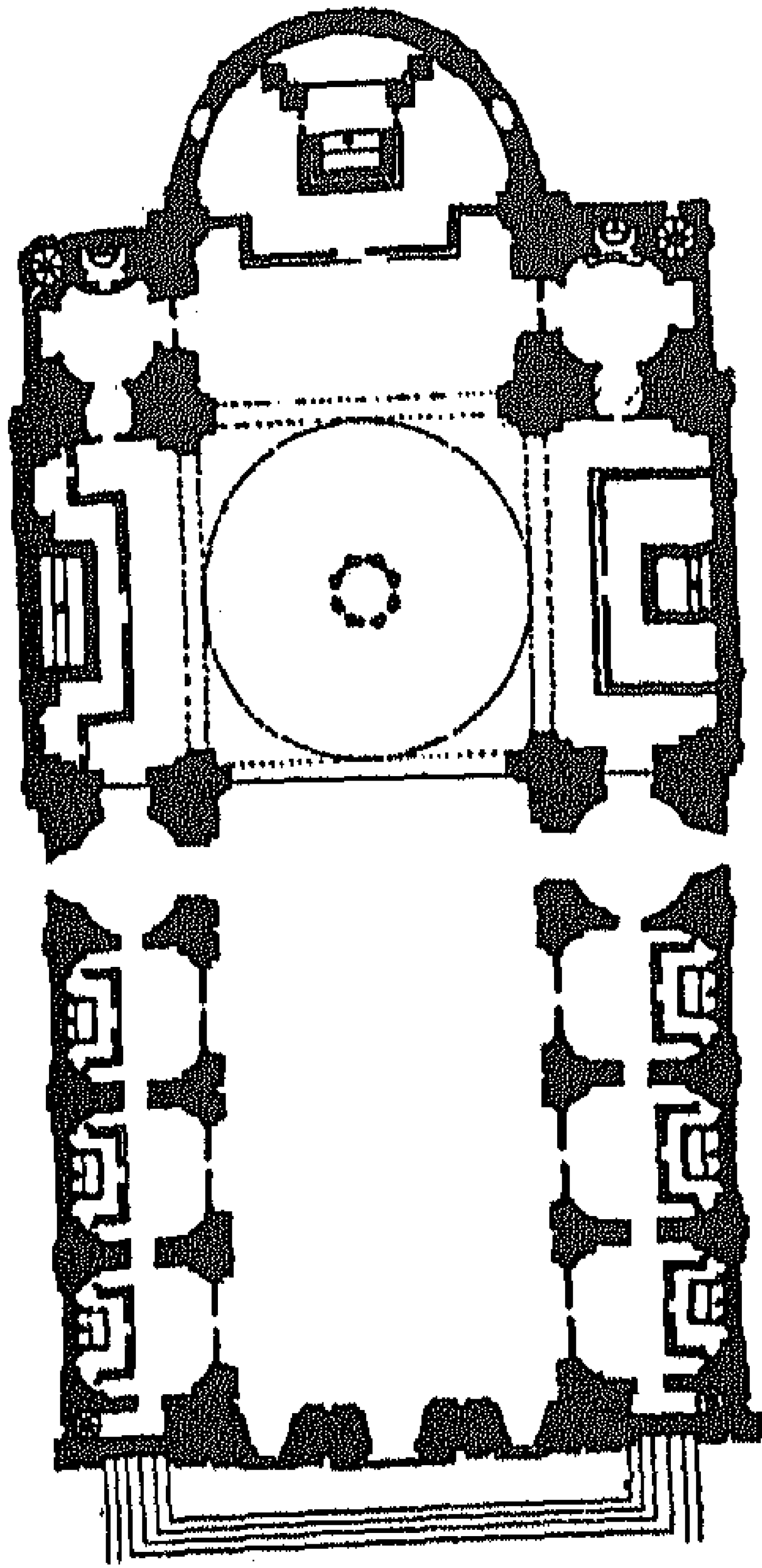
(شكل ١٠٧) بلاديو . كنيسة القديس جيورجيو . صممت عام ١٥٦٥ . البندقية .

---

(١) كتب مؤلفاً فى عام ١٥٧٠ بعنوان « أربعة كتب للعمارة » « Four Books Of Architedare »

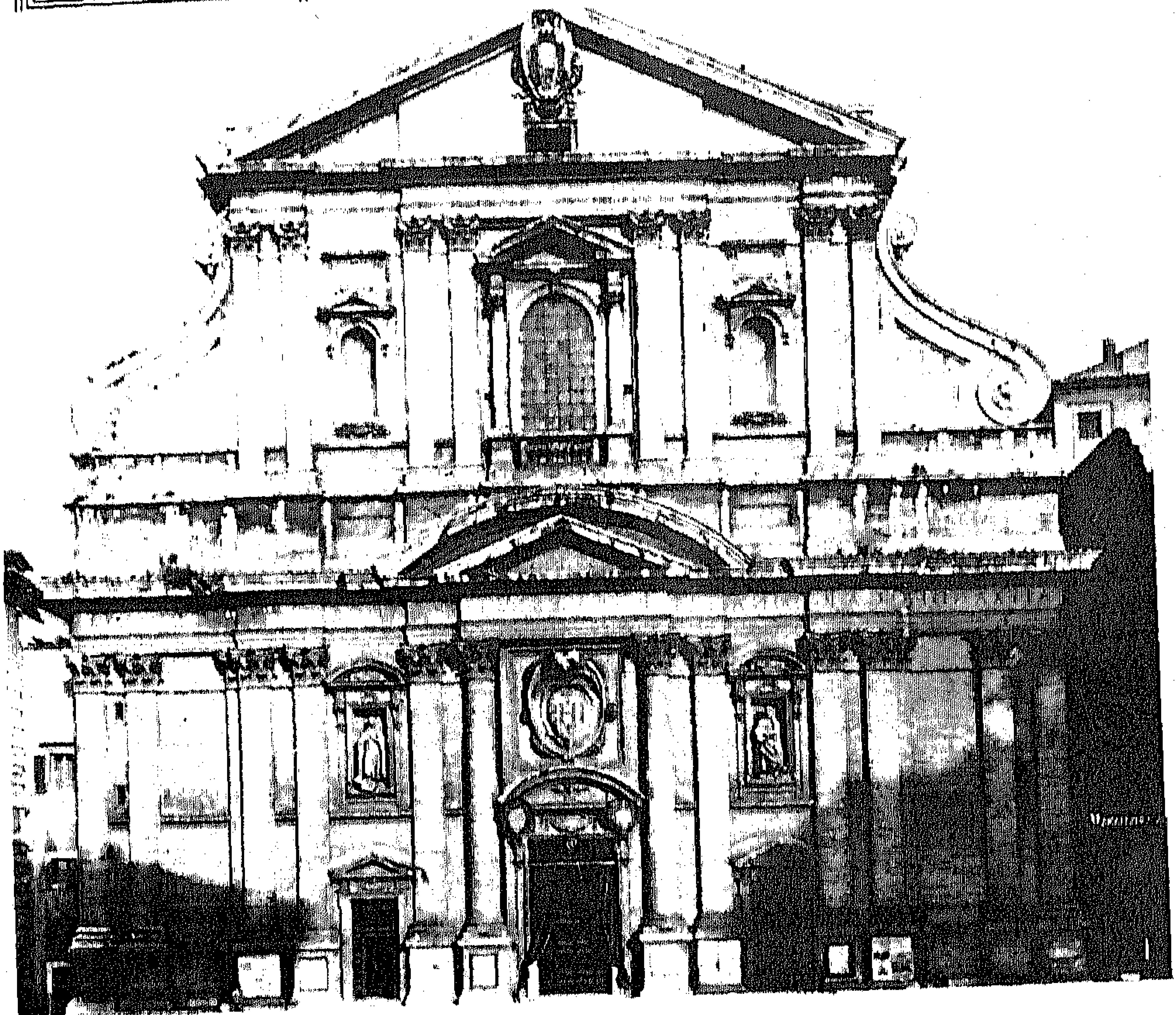
(٢) كتب مؤلوفين فى العمارة : « Rule Of THe Five orders in Architecture »

« Treatise on Perspectire 1562 ، 1587 »

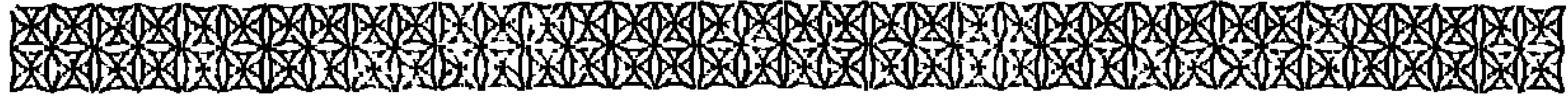


(رسم و) تخطيط كنيسة اليسوع من
عمل المهندس فنيولا ١٥٦٨ .

(شكل ١٠٨) جياكوموديلا بورتا .
واجهة كنيسة اليسوع ، ١٥٧٥ –
١٥٨٤ . روما .



الباب الثالث



طراز النهضة فى خارج إيطاليا



ألمانيا - فرنسا - هولندا

تمهيد

كانت البلاد الواقعة شمال جبال الألب تستمد تأثيراتها الفنية من الفن الفلمنكى الذى تزعمه « فان آيك » ولذلك لم تكن لهم أية صلة بفن النهضة الإيطالى الذى ازدهر فى إقليم توسكانيا . إلا أن هذه العزلة الفنية تنتهى فجأة فى حوالى عام ١٥٠٠ ، حيث أخذت أساليب النهضة الفنية الإيطالية تتسلل عبر جبال الألب إلى الشمال عن طريق فرنسا ، وكان ذلك لإعجاب فنانى هذه البلاد بالابتكارات التى توصل إليها فنانو العصر الذهبي بإيطاليا .

على أننا يجب ألا يغيب عن بالنا أن نتذكر أن الحركة البروتستانتية التى قام بها المصلح « مارتن لوثر » فى ألمانيا فى عام ١٥١٧ للاستقلال عن الكنيسة الكاثوليكية قد دعت إلى تطهير الكنائس من الصور والتماثيل . لذلك تأخرت النهضة الفنية فى البلاد البروتستانتية بعض الوقت عنها فى إيطاليا الكاثوليكية . حيث شجع رجال الدين فى روما على النهوض بالفنون التشكيلية لتكون جديرة بالنفوذ الكلاسيكى .

الفصل الأول

ألمانيا

مقدمة تاريخية :

بدأ ظهور ألمانيا كقوة لها أهميتها فى أوربا المسيحية منذ عصر شارلمان ، إلا أن هذه القوة انتابها الضعف بعد وفاته وتقسيم ألمانيا إلى عدد من الدوقيات يحكمها أحفاده . وظهر من بين عصر أمراء الساكسون الذى تلى ذلك من تمكن من جمع شمل أنحاء الدولة مرة ثانية وتوالى على حكم هذه الإمبراطورية الموحدة عدد من العائلات من أسرة فرانكيا « Frankia » هوهنستاوفن « Hohenstaufen » ثم عائلة هابسبرج « Habsburg » التى بدأ حكمها منذ أواخر القرن الثالث عشر . وظهرت قوة هذه العائلة فى عهد الملك شارل الخامس ١٤٨٣ - ١٥٥٦ .

ولقد ازدهرت الآداب والفنون فى عهد الإمبراطور مكسميليان "Maxmillian" ، كما ظهرت بألمانيا حركة إصلاح دينى فى الفترة ١٥٢٠ – ١٥٥٥ – على يد الراهب الفيلسوف البروتستانى مارتن لوثر ١٤٨٣ – ١٥٤٦ وكان من جراء هذه الحركة تحريم صور الأشكال فى الأماكن الدينية وانتشرت حركات التأليف والنشر فى مدن ألمانيا وسويسرا نورمبرج وبازل .

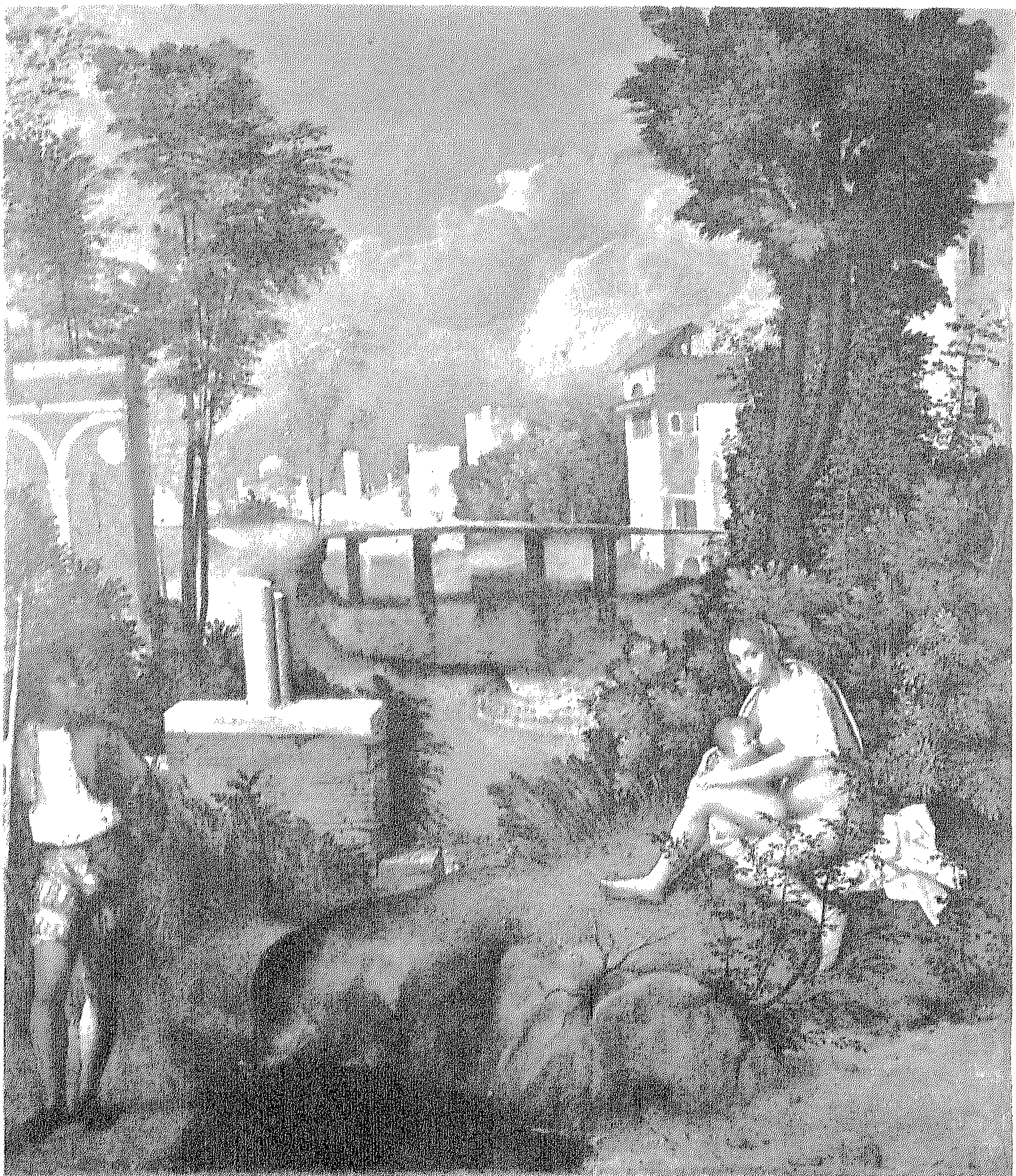
ولقد تأخرت النهضة الفنية فى بلاد الديانة البروستانية قليلاً عنها فى إيطاليا الكاثوليكية . فبعد أن قام مارتن لوثر بحركته البروتستانية فى ألمانيا بعد استقلاله عن الكنيسة الكاثوليكية نجد أنه دعا إلى تطهير الكنائس من الصور والتماثيل فى الوقت الذى شجع فيه رجال الدين فى إيطاليا الكاثوليكية على نهضة الفنون التشكيلية . لذلك نجد أن الفنانين فى ألمانيا اتجهوا إلى رسم لوحات ذات موضوعات عادية استوحوا أسلوبها من الفن الفلمنكى وفن فلورنس .

العمارة :

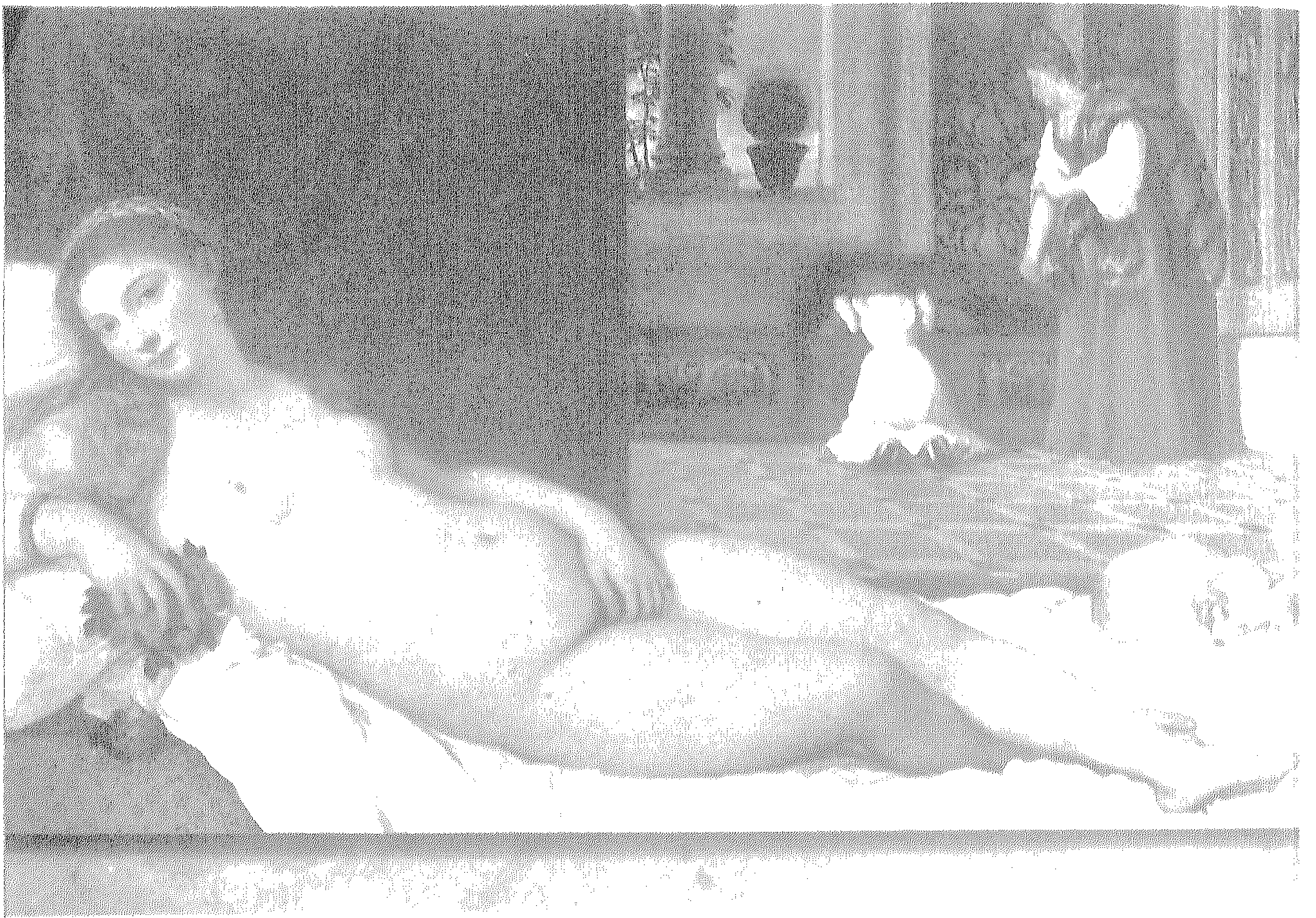
جمعت العمارة التى شيدت فى ألمانيا فى تلك الفترة بين طراز الفن القوطى وطراز عصر النهضة الجديد فى فلورنس . وظهر تأثير النهضة أسرع فى الجزء الجنوبى فنرى ملامحها فى عمائر مدينة « أوجزبرج Augsbarg » منذ عام ١٥٠٩ كما تظهر تأثيرات المهندس « بلاديو »



[لوحة رقم ٩] رافائيل « الغادة ذات
الوشاح » قصر بيتى ، فلورنس .



اللوحة رقم ١١٠ جيورجيوني
«العاصفة» ١٥٠٥ قاعة
الأكاديمية، البندقية



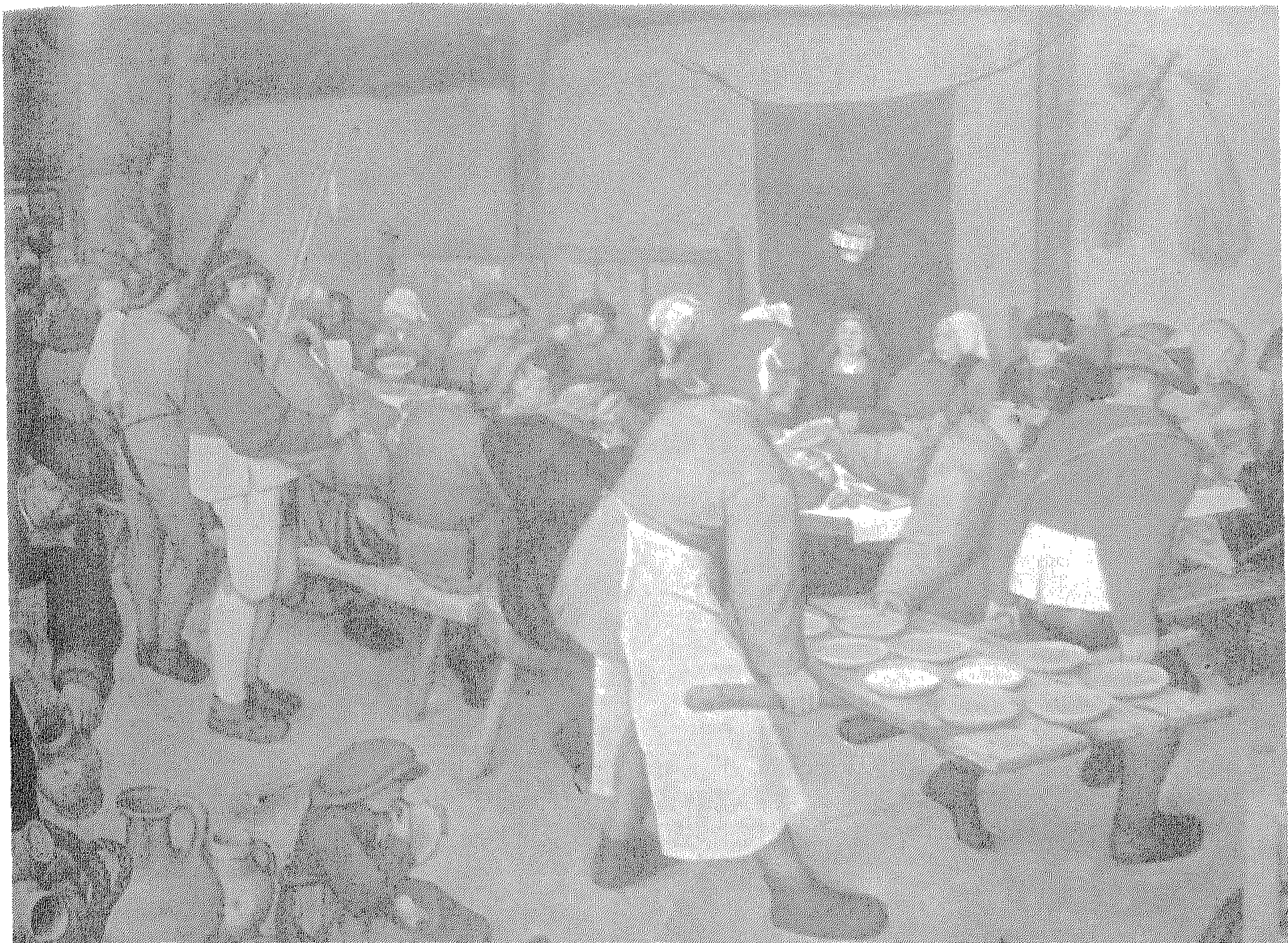
[لوحة رقم ١١] تيسيانو ، فينوس
أوربينو" ١٥٣٨ ، متحف الأوفيزي ،
فلورنس .



| لوحة رقم ١٢ | بارميجانينو
« العذراء الرقبة الطويلة » ١٥٣٥
متحف أوفتزى فلورنس الأفتزى

| لوحة رقم ١٣ | الجريكو « دفن
دوق أورجاز » ١٥٨٦ كنيسة
القديس قوميه طليطلة - إسبانيا





| لوحة رقم ١٤ | بيتر بروجل الأب
«زواج ريفي» ١٥٦٥. متحف
الفنون التاريخية . فيينا .

[لوحة رقم ١٥] بول روبنز « حكم باريس » ١٦٣٨ . المتحف الأهلي . لندن .





[لوحة رقم ١٦] توماس جينز برو ، « السيدة شيردان » ١٧٨٣ — المتحف الأهلي للفنون — واشنطن .

فى مبنى مجلس المدينة الذى شيد فى الفترة من ١٦١٥ - ١٦٢٠ ، وبالرغم من أن مدينة نورمبرج احتفظت بطراز العصور الوسطى إلا أننا نجد بعض العناصر الإيطالية قد تسربت إليها ويتضح ذلك فى قصر بيتر الذى شيد عام ١٥٠٦ .

وتخضع مدينة ميونخ لمؤثرات النهضة الإيطالية ويتضح ذلك فى كنيسة القديس ميخائيل (١٥٨٣ - ١٥٩٧) المتأثره بطراز كنيسة « اليسوع » كما يتضح طراز النهضة فى الشمال فى إقليم ساكسونيا ويظهر ذلك فى قصر « فسمار Wissmar » .

النحت :

اقتصر فن النحت فى المانيا فى أول الأمر على الحفر البارز الذى يزخرف واجهات الكنائس والقصور ، ويتضح من هذه الأعمال أن تأثير الفن القوطى المتأخر لا يزال قوياً ويشمل ذلك بطبيعة الحال التماثيل التى كانت تزين الأضرحة .

إلا أن تأثير طراز النهضة يتسرب إلى الفنانين بعد ذلك ويتضح ذلك فى أعمال المثالين « فلوتنر Flotner » بمدينة نورمبرج (تأثير البندقية) . « والكسندر كولين A.Colyn » فى هيدلبرج (تأثير الفلمنك) . كما صارت أوجزبرج وميونخ مركزين لطراز النهضة الإيطالى . على أن الميدان الذى اتضحت فيه ملامح عصر النهضة كان فن التصوير .

التصوير :

أسهم فى نهضة فن التصوير الألمانى عدد كبير من المصورين ، وكان أشهرهم جرونيفالد ودورير ولقد نافست شهرتهم شهرة فنانى عصر النهضة الذهبى . كما شارك فى هذه هذه النهضة عدد من مصورى الصف الثانى وبزغ منهم كراناش .

وتجلت براعة المصورين الألمان فى الرسوم المطبوعة على القوالب المحفورة على الخشب أو الحجر أو النحاس . وكان هذا الفن مزدهراً بصفة خاصة فى المانيا ، وأخرج الفنانون أجمل اللوحات المطبوعة بدقة متناهية تميزوا بها .

« ماتياس جرونيفالد Mathias Grunivald » (١٤٧٠ – ١٥٢٨)

نشأ هذا الفنان فى مدينة فورزيرج وتنقل بين المدن الالمانية ، فرانكفورت ، وهال إلخ . . . وتوفى فى هذه المدينة الأخيرة ، على أن أشهر أعماله لوحة كبيرة رسمها لمذبح دير مدينة ايزنهايم

بإقليم الالزاس فى الفترة (١٥١٠ - ١٥١٥) صور فيها عدداً من الموضوعات الدينية ، ويتضح الأسلوب الجديد فى صورة « صلب المسيح » (شكل ١٠٩) التى تميزت بواقعيـــة فى طريقة توضيح ما عاناه المسيح .

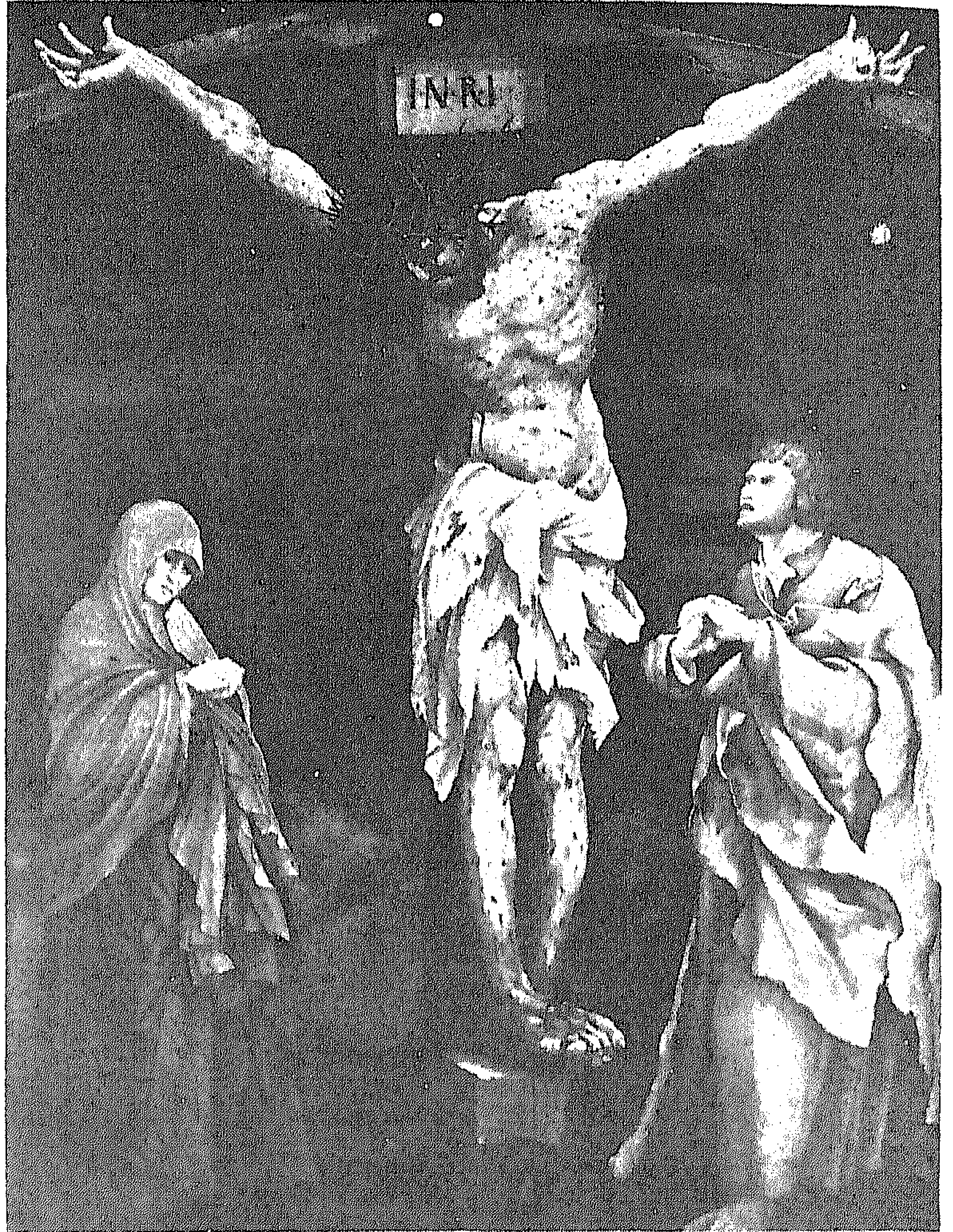
« البرت دورير Albert Dûrer » (١٤٧١ - ١٥٢٨)

نشأ دورير فى مدينة نورمبرج التى كانت من أهم مراكز التجارة والمال فى ألمانيا . بدأ حياته الفنية فى دكان أبية الصائغ ، وعندما أراد أن يتعلم التصوير والحفر ، أرسله أبوه إلى مرسم المصور الحفار فولجموت ليتلقى عنه مبادئ هذا الفن ، وظل هناك ثلاثة أعوام تنقل بعدها بين المدن الألمانية الجنوبية (كولمار - ستراسبورج) وبازل بسويسرا فى الفترة (١٤٩٠ - ١٤٩٤) كما ذهب إلى أوجزبرج للاستفادة من أساليب الحفار « نشونجاور » وعندما أراد أن يتعرف على التصوير الإيطالى زار البندقية فى الفترة (١٤٩٤ - ١٤٩٥) وهناك تعرف على أشهر مصور بها فى تلك الفترة « جيوفانى بيلليني » ، كما أعجب بطريقة دراسة المصور « مانتينا » للجسد البشرى وقلده فى رسم معركة « آلهه البحر » كما رسم عدة لوحات لمناظر الطبيعة الإيطالية بالألوان المائية .

وعندما عاد إلى المانيا استقر فى نورمبرج للفترة (١٤٩٥ - ١٥٠٦) - وأنشأ مرسماً خاصاً به كان مركزاً للحركة الفنية التى تهتم بالإنسانيات التى كان هو من أكبر مشجعيها وذاع صيته كمصور وحفار ، إلا أن براعته المنقطعة النظير تظهر بصفة خاصة فى الرسومات المطبوعة . ويتضح ذلك فى لوحة « الفرسان الأربعة » (شكل ١١٠) التى رسمها فى عام ١٤٩٨ بعد عودته من البندقية ، وتوضح هذه اللوحة قصة من الكتاب المقدس . وهنا نلاحظ براعة الفنان ودقته فى رسم الجياد التى أكثر منها فى لوحاته .

ويتضح تأثره بطراز النهضة الإيطالى فى لوحة مطبوعة لموضوع آدم وحواء (شكل ١١١) نقشها فى عام ١٥٠٤ . وهنا نلاحظ أن براعته فى رسم الجسد العارى لا تقل عن مهارة فنانى عصر النهضة . ومن المعروف أن عبقرية دورير فى فن الحفر تجلت أكثر عنها فى فن التصوير ، حيث تمكن فى هذا اللون من الفن التصويرى من التغلب على معضلات الشكل والمساحة والضوء فى اللوحة بأسلوب بارع منقطع النظير . ويتضح ذلك فى أشهر مطبوعاته « الفارس ، الموت ، الشيطان ، (شكل ١١٢) التى رسمها عام ١٥١٣ .

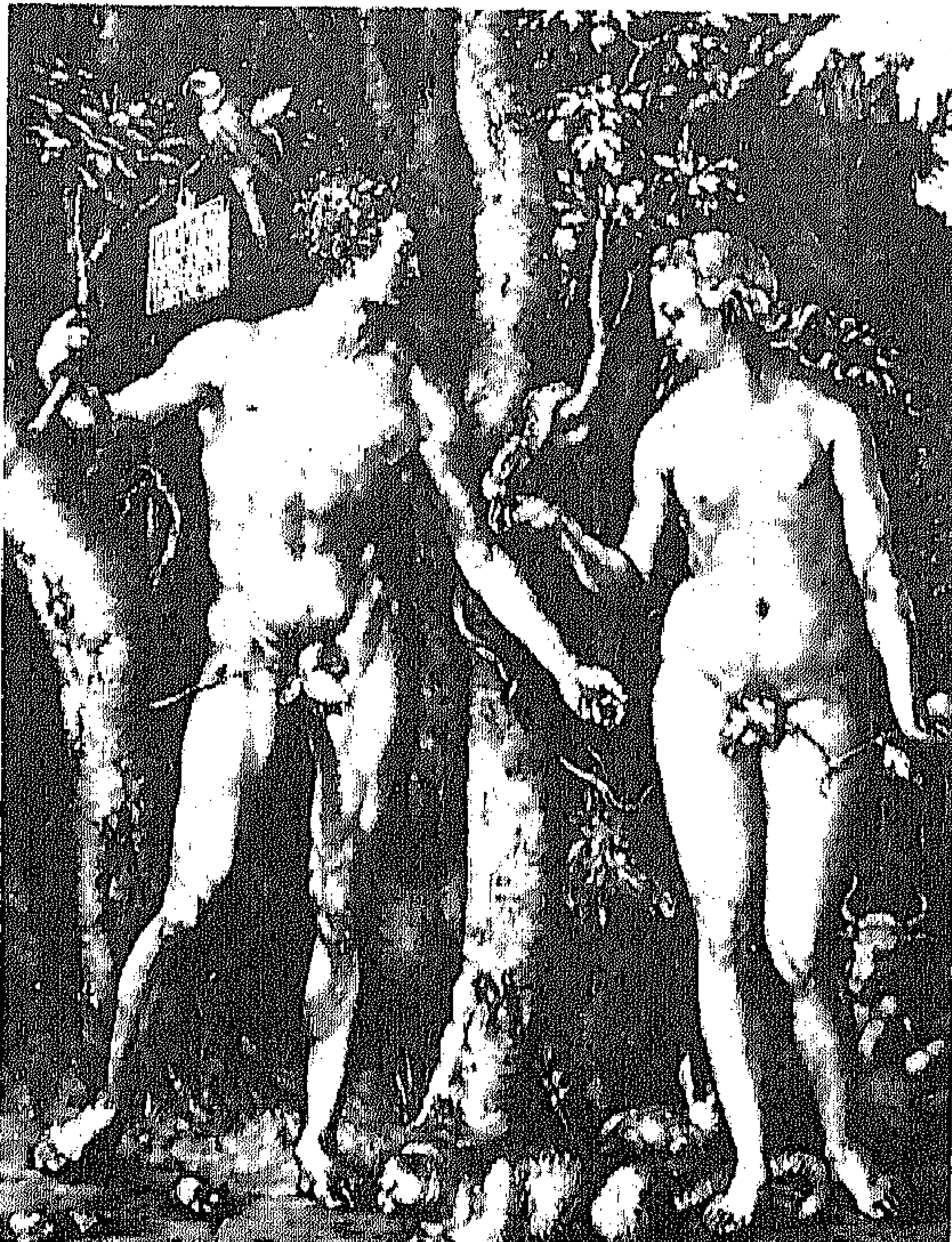
إلا أننا لا يمكن أن ننكر مقدرة ومهارة دورير فى فن التصوير بالألوان ، ويتضح ذلك



(شكل ١٠٩) ماتياس جرونيفالد ، « صلب المسيح » لوحة من مذبح ١٥١٠ – ١٥١٥ .

(شكل ١١٠) ألبرت دورير ، « الفرسان الأربعة » ، ١٤٩٧ ، لوحة مطبوعة من قالب خشب .

(شكل ١١١) ألبرت دورير ، « آدم وحواء » ، ١٥٠٤ ، نقش مطبوع ، متحف الفنون بوسطون .







(شكل ١١٢) ألبرت دورير ، « فارس ، موت والشيطان » نقش مطبوع ، متحف الفنون بوسطون .



(شكل ١١٣) ألبرت دورير . « صورة شخصية بيد الفنان » ، ١٥٠٠ ، لوحة زيتية ، متحف بيناكوتيك ، ميونخ .

فى « صورة شخصية الفنان » (شكل ١١٣) رسمها عام ١٥٠٠ .

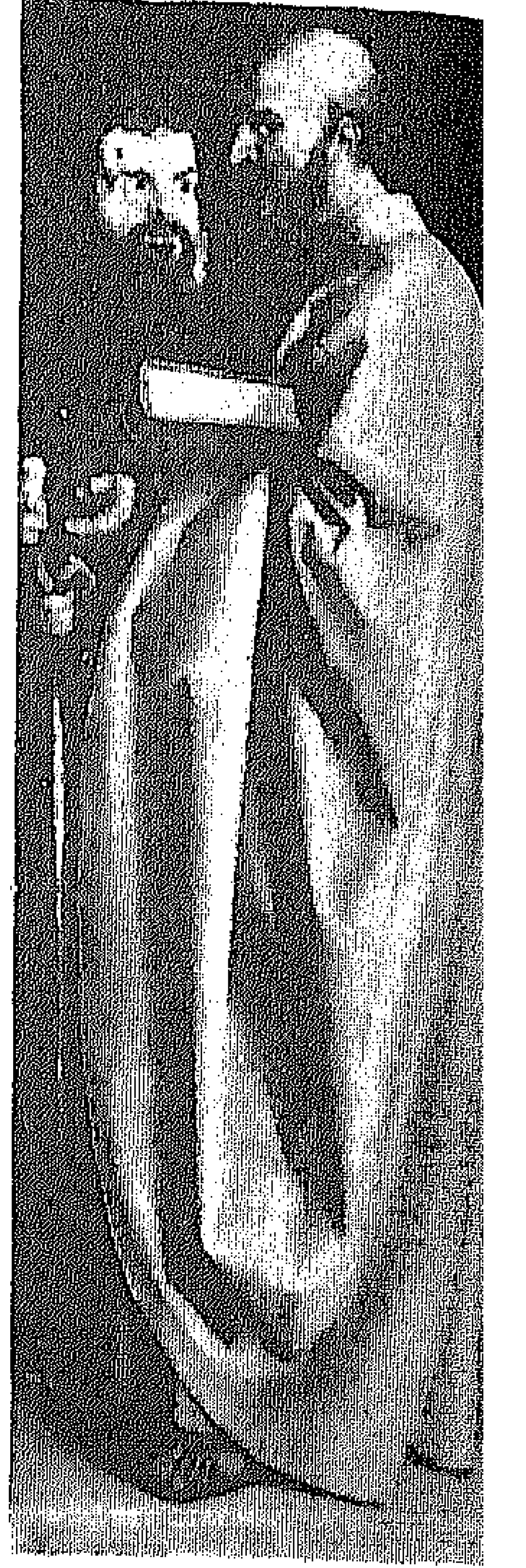
ولما كان دورير معجباً بالحركة الإنسانية التى ظهرت فى إيطاليا نجد أنه زار مرة أخرى البندقية فى الفترة من ١٥٠٥ - ١٥٠٧ . وكانت مهارته فى استخدام الفرشاة لتسجيل التفاصيل الدقيقة للشعر مثار إعجاب الفنان « يلليني »» . وبعد رجوعه إلى ألمانيا عكف على دراسة قواعد المنظور والرياضة . ولما ذاعت شهرته أصبح المصور الخاص للإمبراطور مكسميليان فى عام ١٥١٢ .

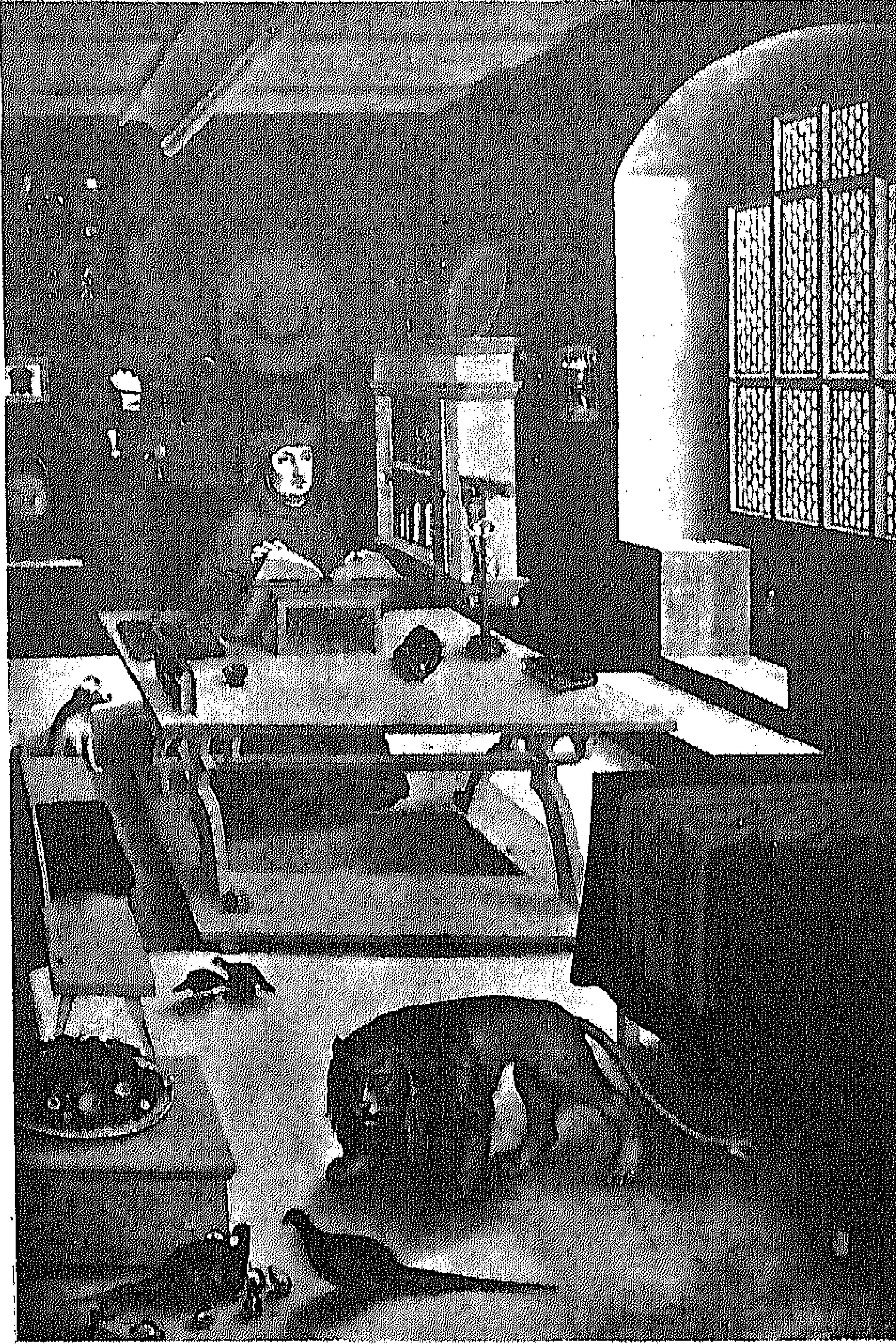
ولما كان دورير محبًّا لدراسة أساليب الفنون المختلفة التى ظهرت فى عصر النهضة ، نجد أنه ذهب إلى بلاد الفلاندر فى الفترة من ١٥٢٠ - ١٥٢١ للتعرف على أعمال مصوريها ، ولما عاد من بلاده صور لوحته المشهورة « الحواريون الأربعة » (شكل ١١٤) التى ترجع إلى الفترة ١٥٢٣ - ١٥٢٦ . ويتضح فى هذه اللوحة تأثره بأساليب مصورى الشمال فى معالجة ثنيات القماش .

وبالرغم من أن دورير لم يحقق ما كان يهدف إليه من التعبير عن آراء المصلح « مارتن لوثر» فى لوحاته ، إلا أننا نجد أن بعض المصورين الألمان حاولوا تحقيق ذلك فى أعمالهم وكان من أشهرهم الفنان كراناش الأب .

(شكل ١١٤) ألبرت دورير . « الحواريون الأربعة » . ١٥٢٣٠ — ١٥٢٦ ، لوحة زيتية ، متحف بيناكوتيك ، ميونخ .



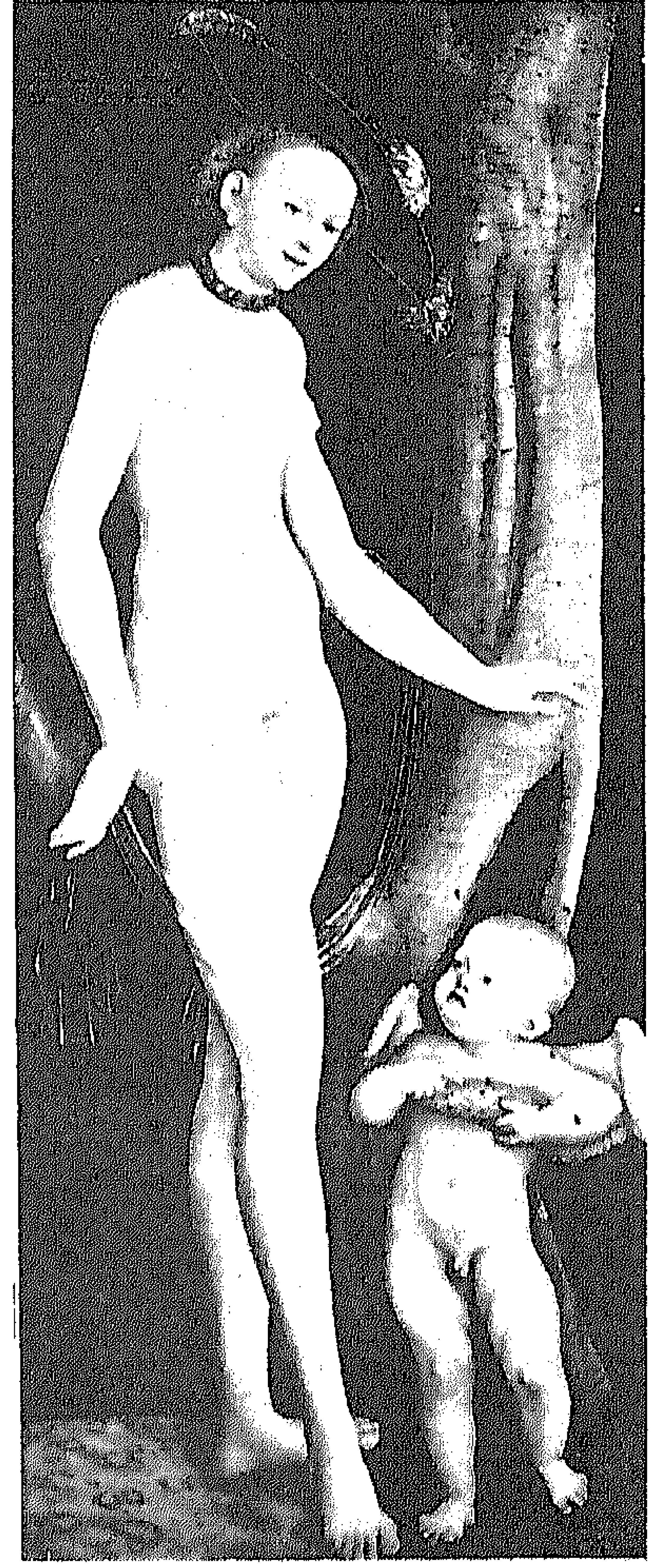




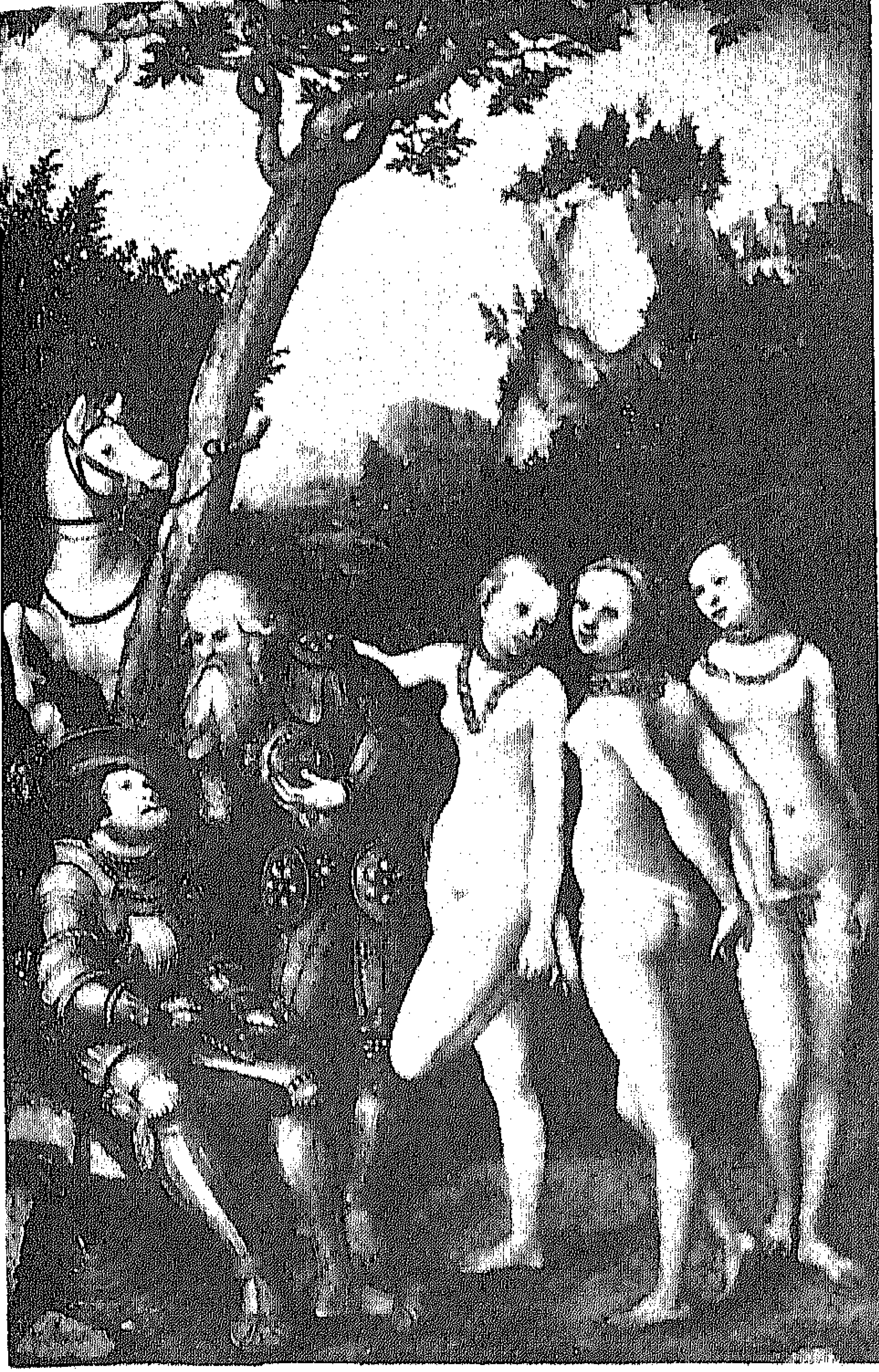
(شكل ١١٥) لوكاس كراناش الأب . « القديس جيروم فى مكتبه » .

لوكاس كراناش « L.Cranash » (١٤٧٢ - ١٥٥٣)

كان هذا الفنان من أتباع مارتن لوثر وصديقه المخلص نشأ فى إقليم ساكسونيا وحظى برعاية بلاط « المختارين » . واشتهر باهتمامه بالموضوعات الأسطورية الكلاسيكية بعد وضعها فى قالب ألمانى قومى ويوضح ذلك لوحة القديس جيروم فى مكتبة (شكل ١١٥) . كما قام برسم صور شخصية للحكام وكبار رجال الدولة . تميز كراناش بعمل لوحات خاصة للبيت



(شكل ١١٦) لوكاس كراناش الأب .
« الحورية » ١٥٢٩ ، لوحة زيتية .



(شكل ١١٧) لوكاس كراناش الأب . « حكم باريس » ،
١٥٣٠ . لوحة زيتية ، متحف الفنون بمدينة كارلزرو.

الحاكم اهتم فيها برسم الجسد العارى للمرأة ، ويتضح ذلك فى لوحة « الحورية » (شكل ١١٦) التى رسمها فى عام ١٥١٨ ولوحة حكم باريس إلى رسمها عام ١٥٣٠ (شكل ١١٧) . وتمثل اللوحة البطل باريس فى زى عسكرى مع ربات الجمال الإغريقى فى خلفية طبيعية ، وبالرغم من أن نساءه يتميزن بملامح صينية إلا أن رجاله والمناظر الطبيعية يبدو فيها الطابع الألمانى القومى .

وبالرغم من أن مهارة كراناش فى تصوير جسد المرأة العارى فاقت المصورين الألمان أمثال دورير الذى صور حواء ، إلا أن الألمان لم يصلوا إلى درجة التفوق التى وصل اليها الفنانون الفلمنكيون والإيطاليون . فى رسم الجسد العارى

« هانس هولبين الابن Hans Holbein » (١٤٩٧ - ١٥٤٣)

نشأ هولبين فى مدينة أوجزبرج أهم مركز تجارى عالمى فى جنوب ألمانيا . تعلم الفن على يد أبيه الفنان هانس هولبين ، إلا أنه تفوق عليه ، واشتهر بدقة أسلوبه التصويرى ، وتنقل بين البلاد السويسرية وفرنسا .

انتقل إلى بازل فى سويسرا فى سن الثانية عشرة فى عام ١٥١٥ وذاعت شهرته فى عام ١٥٢٠ كمصمم لقوالب الخشب ورسام للصور الشخصية . وتعرف فى هذه المدينة على « أرازموس Erasmus » عالم روتردام الذى كان من مؤيدى الحركة الإنسانية . ورسم له لوحة شخصية (إرازموس من روتردام) شكل ١١٨ فى عام ١٥٢٣ وتتميز هذه اللوحة بالتعبير عن شخصية صاحبها .

وبالرغم من نجاحه فى بازل إلا أنه تركها إلى فرنسا فى عام ١٥٢٤ طمعاً فى التقرب إلى الملك فرانسوا الأول حامى الفنون فى تلك الفترة . ولم يرغب فى الرجوع إلى بازل لقيام الحركة البروتستانتية فيها ، فذهب إلى إنجلترا فى عام ١٥٢٦ وأقام مع المصور السير « توماس مور » ورسم لأفراد عائلته عدة رسوم بالطباشير .



(شكل ١١٨) هانز هولبين الابن - « إرازموس » ، ١٥٢٣ ، لوحة زيتية ، متحف اللوفر ، باريس .

وعندما عاد إلى بازل فى عام ١٥٢٨ كانت الحركة البروتستاتية ضد التصوير على أشدها ، فعاد مرة ثانية إلى لندن فى عام ١٥٣٢ ، ورسم عدة لوحات شخصية لرجال البلاط نجح فيها نجاحـاً كبيراً مما ساعده على تولى منصب المصور الخاص للملك هنرى الثامن فى عام ١٥٣٦ . ورسم هناك عده صور شخصية للملك ولعائلته تميزت بدقة واضحة فى التفاصيل وتبين صورة الملك « هنرى الثامن » التى رسمها عام ١٥٤٢ (شكل ١١٩) مبلغ عناية الفنان بتسجيل زخرفة الزى والمصاغ الذى يتحلى به ، كما تمكن فى هذه اللوحة من التعبير عن عظمة وقوة هذا الحاكم .

وبوفاة هذا الفنان الألمانى تنتهى الفترة الأولى من فن عصر النهضة فى الجزء الشمالى من أوروبا حيث تمضى فترة طويلة قبل أن يظهر مصورون عظام هناك . وفى الواقع نلاحظ أن المدرسة الألمانية القومية قد بدأت فى الأفول فى عام ١٥٣٠ حيث سيطرت الأساليب الإيطالية على فن التصوير فى نورمبرج وظهر ذلك فى أعمال تلاميذ المصور « دورير » . كما ظهر تأثير البندقية فى مدينة أوجزيرج التى زارها « تيسيانو » وغيره من المصورين الإيطاليين . ونلاحظ منذ منتصف القرن السادس عشر وفى القرن السابع عشر أن حكام البلاد الألمانية يفضلون استخدام المصورين الذين يتبعون الطراز النهجى الدولى الذى انتشر فى إيطاليا .



(شكل ١١٩) هانز هولبين الإبن .
« الملك هنرى الثامن » ، ١٥٤٢ ،
لوحة زيتية . قصر هوارد . يوركشير .

الفصل الثانى

فرنسا

مقدمة تاريخية :

لم تتمتع فرنسا باستقرار سياسى لفترة طويلة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكان ذلك بسبب حرب المائة عام التى انتهت فى فترة حكم الملك شارل السابع (١٤٢٢ - ١٤٦١) ، وتخللت حكم شارل الثامن الذى توفى عام ١٤٩٨ غزوات لإيطاليا . كما قامت حروب بين فرنسا وإيطاليا فى الفترة ١٤٩٩ - ١٥١٣ أثناء حكم لويس الثانى عشر الذى توفى عام ١٥١٥ .

وتمتعت البلاد بفترة استقرار فى عصر الملك فرنسوا الأول ١٥١٥ - ١٥٤٧ حامى الفنون والآداب ، وفى عصر خليفته هنرى الثانى الذى توفى عام ١٥٥٩ . إلا أن البلاد مزقتها الحروب الدينية (١٥٦٠ - ١٥٩٨) فى فترة حكم شارل التاسع الذى توفى عام ١٥٧٤ . وخليفته هنرى الثالث الذى توفى عام ١٥٨٩ - إلا أن هنرى الرابع الذى توفى عام ١٦١٠ تمكن من توحيد مملكته وإعادة الرخاء والاستقرار لها .

وبالرغم من هذه الأحداث السياسية المضطربة إلا أن الفنون والآداب ازدهرت فى عصر فرنسوا الأول الذى أنشأ كلية فرنسا فى عام ١٥٣٠ والمكتبة الملكية فى ضاحية فونتينبلو . كما أنشأت أكاديمية للشعر والموسيقى فى قصر اللوفر فى عصر هنرى الثالث ١٥٧٠ . كما بدأ الاهتمام بالآثار منذ منتصف القرن السادس عشر وظهرت مؤلفات تبحث فى الزخارف والعمارة .

العمارة والنحت :

كان الطراز الغالب فى العمارة فى أوائل القرن السادس عشر هو النمط القوطى ، واستمر هذا الطراز القومى سائداً فى فرنسا حتى عام ١٥٣٠ . إلا أن صلة الفرنسيين بإيطاليا أثناء غزواتهم لها عرفتهم بأنماط العمارة الإيطالية فى عصر النهضة . وبدأ ظهور تأثيرات إيطالية فى العمارة الفرنسية عن طريق الفنانين الإيطاليين الذين دعاهم الحكام للعمل فى بلاطهم ،

وبذلك تسلل طراز النهضة فى فرنسا فى عهد فرنسوا الأول .

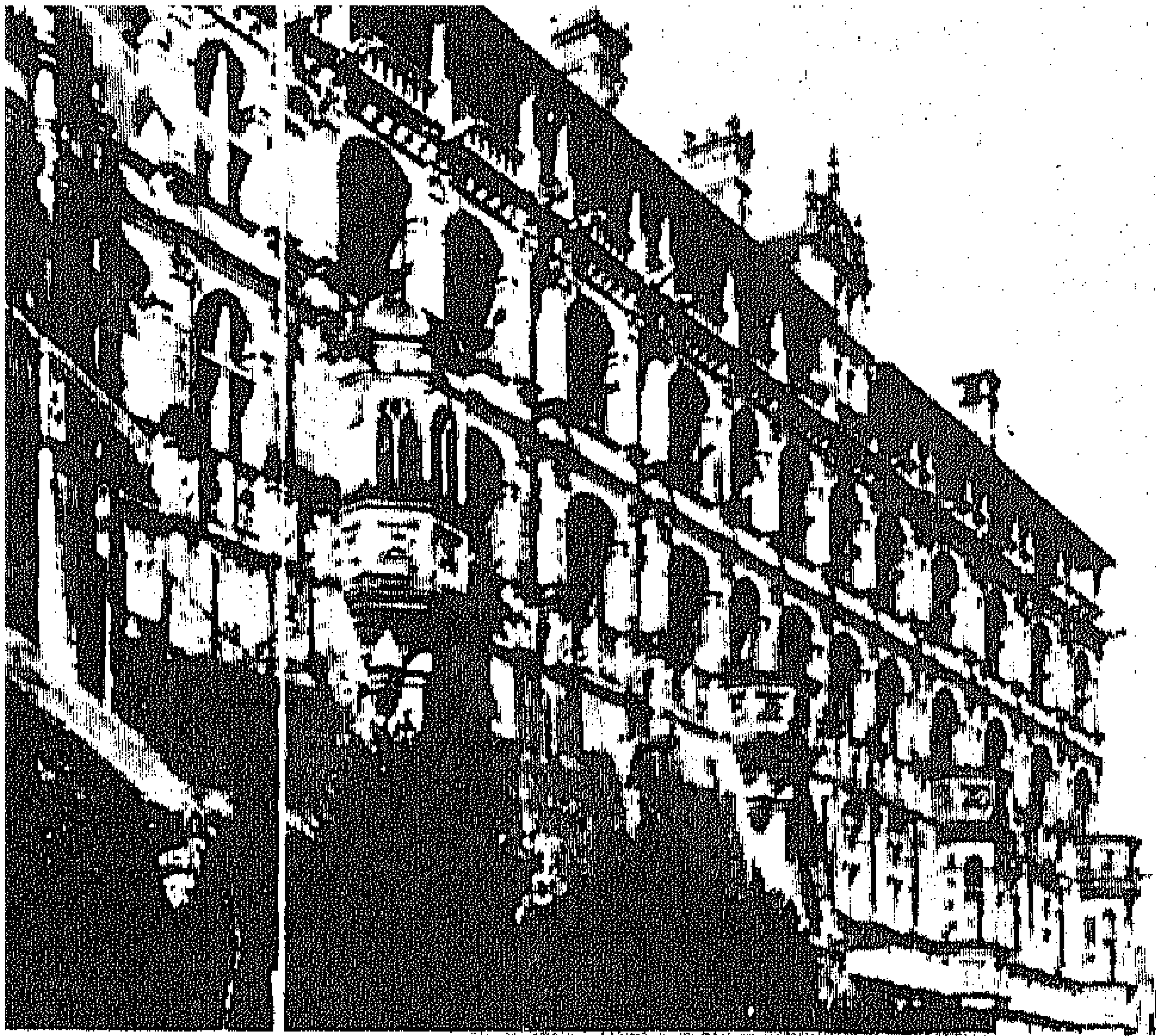
ونلاحظ فى تلك الفترة أن فن المعمار الفرنسى قد ازداد نشاطه فى عمارة قصور الملوك والأمراء التى شيدت بكثرة فى ضواحى المدن الفرنسية . ولقد احتفظت بعض القصور ببعض عناصر قوطية إلى جانب عناصر من العمارة الإيطالية فى عصر النهضة وبدأ ظهور الأسلوب الزخرفى للواجهات على الطريقة الإيطالية فى قصر اللوار الذى بدئ فى تشييده فى عام ١٤٩٥ فى فترة حكم الملك شارل الثامن .

إلا أن العناصر الايطالية تفرض شخصيتها أكثر فى قصر « بلوا » Blois » خاصة فى الجناح الذى أضافه فرنسوا الأول (شكل ١٢٠) فى الفترة (١٥١٥ - ١٥٢٥) عندما تولى الحكم ، ولقد قام بهذا المشروع المهندس الفرنسى « سورد » وبمعاونة فنان إيطالى . كما نقل التأثيرات القوطية وتبسيط الزخارف فى قصر « أزى Azay » الذى شيده فى الفترة (١٥١٨ — ١٥٢٧).

ويتضح فى قصر « شامبور Shambord » (شكل ١٢١) الذى شيد لفرنسوا الأول فى الفترة من ١٥٢٦ - ١٥٣٦ تأثر المعماريين الفرنسيين بعمارة العصر المبكر للنهضة فى إيطاليا ، حيث استخدمت الزخارف المنقوشة على الجدران كعنصر أساسى فى العمارة . ولقد قرر فرنسوا الأول فى عام ١٥٤٦ أن يشيد قصراً يحل محل قصر اللوفر القديم ، وكلف المهندس الفرنسى « بيير ليسكوت Pierre Lescot بعمل التصميم وتنفيذه ، إلا أن فرنسوا توفى عند البدء فى المشروع . ولقد تمكن « ليسكوت » من إتمام جزء من المشروع فى عصر خليفته « هنرى الثانى » ويتضح التأثر بالنمط الكلاسيكى الذى عرف فى عصر النهضة الذهبى الإيطالى ، فى الواجهة الغربية للقصر (شكل ١٢٢) . حيث ناحظ أنها مزخرفة بأعمدة إغريقية متصلة بالجدار موضوعة فوق بعضها فى صفين أفقيين فى الدور الأول كما يبدو التأثير الايطالى فى العقود المستديرة .

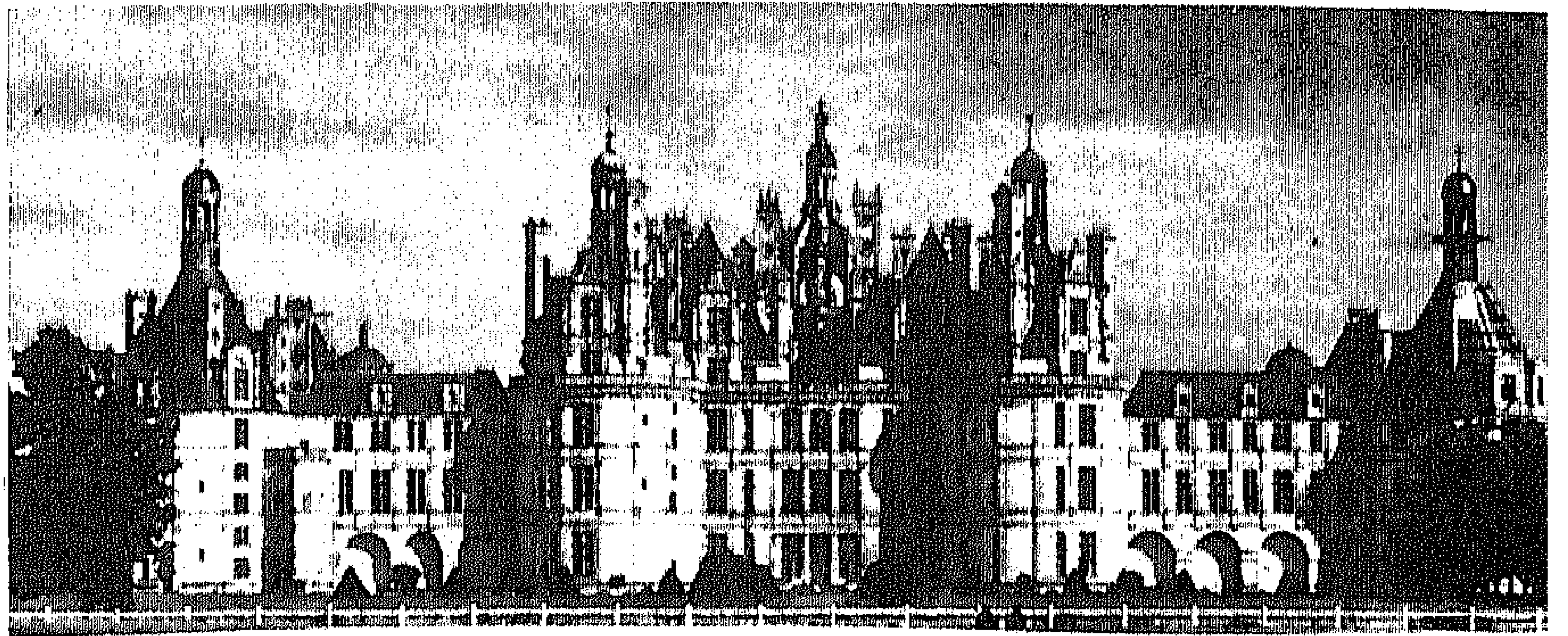
إلا أن الحليات والعناصر الزخرفية المنقوشة فى الدور الأعلى من المبنى لا تمت بصلة إلى الفن الإيطالى ، ويرجع هذا الأسلوب الفنى إلى أشهر مثالى فرنسا فى تلك الفترة جان جوجون Jean Goujon » (١٥١٠ - ١٥٦٦) الذى نشأ فى إقليم نورماندى . وكان الملك هنرى الثانى يفضل تكليف الفنانين الفرنسيين عن المزخرفين الايطاليين . وكان الفرنسيون قد تعلموا فنونهم وهضموها . ويتضح أسلوبه الذى يجمع بين نبل الكلاسكية مع الرشاقة فى نقوش « نافورة الأبرياء » (شكل ١٢٣) التى ترجع إلى الفترة ١٥٤٨ - ١٥٤٩ .

وتذكرنا خطوط الفتيات بالأسلوب النهجى الذى اتبعه الفنان « شيلليني » الذى أقام

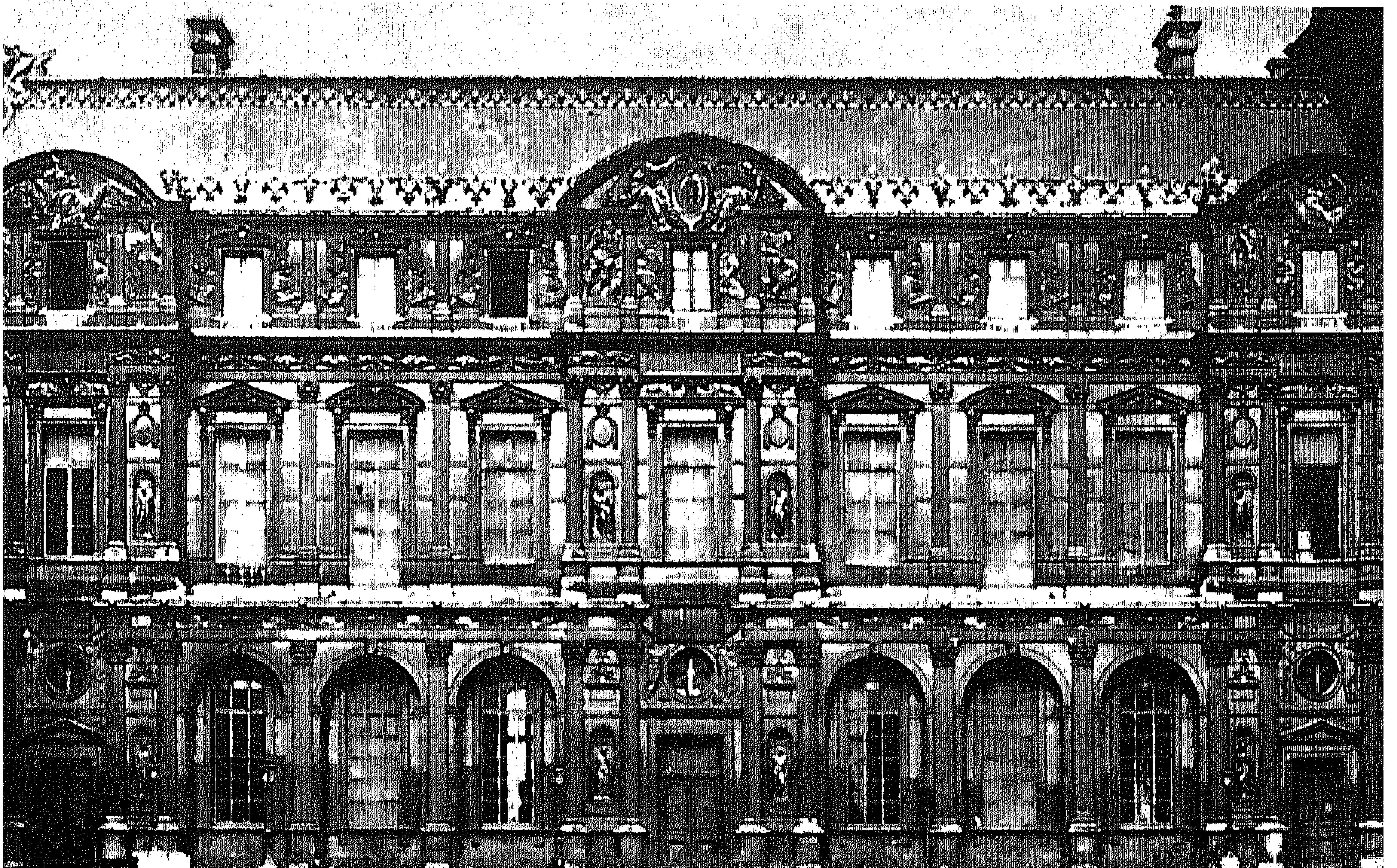


(شكل ١٢٠) سورد . « قصر بلوا »
١٥١٥ — ١٥٢٥ .

(شكل ١٢١) «قصر شامبورد» ،
الواجهة الشمالية بدئ فيه عام ١٥١٩ .

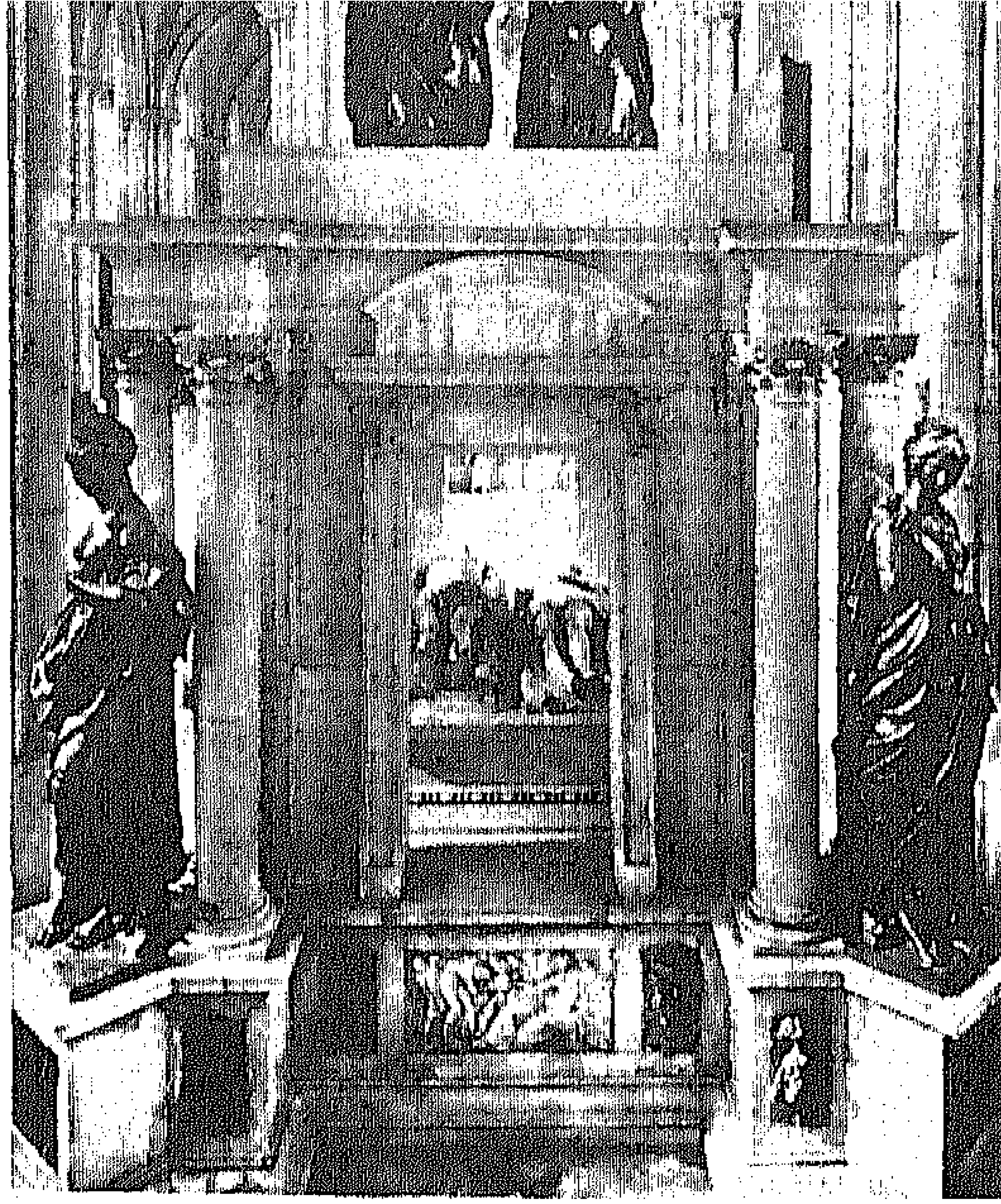


(شكل ١٢٢) بيير ليسكوت
واجهة قصر اللوفر الغربية » ،
١٥٤٦ ، باريس .





(شكل ١٢٣) جان جوجون ، نقش بارز من نافورة الأبرياء ، ١٥٥٠ ، باريس .



(شكل ١٢٤) جرمين بيلون . مقبرة الملك هنرى الثانى ، ١٥٦٣ - ١٥٧٠ . باريس .



(شكل ١٢٥) جان كلـــويه . « فرانسوا الأول » لوحة زيتية . ١٥٢٥ - ١٥٣٠ ، اللوفر ، باريس

فى فرنسا للفترة ١٥٤٠ - ١٥٤٥ ، وبالزخارف البارزة التى قام بها « برماتيتشيو » فى قصر فونتينبلو اثناء تولية إدارة المدرسة .

وفى أواخر القرن السادس عشر اشتهر المثال « جبرمين بيلون » G. Pilon (١٥٣٥ - ١٥٩٠) بنحت تماثيل دينية ، وكان هذا المثال يحظى برعاية كاترين دى ميدتشى ، وقام بإعداد مشروع قبر هنرى الثانى (شكل ١٢٤) بمعاونة برماتتشيو فى الفترة من ١٥٦٣ - ١٥٧٠ كما قام بنحت تمثالين جنائزيين فوق ضريح الملك والملكة .

التصوير :

بالرغم من أن عدداً كبيراً من الفنانين(١) قام بزيارة فرنسا فى أوائل القرن السادس عشر . إلا أن تأثير الفن الإيطالى لا يظهر فى التصوير الفرنسى قبل عام ١٥٣٠ عند ما بدأ الملكان فرنسوا الأول وهنرى الثانى برعاية مدرسة فونتينبلو حيث تولى شئونها المصور الفلورنسى روسو ، والمصور البولونى برماتتشنيو . وتكون من مجموعة المصورين الإيطاليين والفلمنكيين والفرنسيين الموجودين فى المدرسة « مدرسة فونتينبلو » الأولى إحدى مراكز الطراز النهجى الدولى . ويتضح ذلك فى لوحة « فرنسوا الأول » (شكل ١٢٥) التى رسمها المصور الفرنسى چان كلويه « J. clouet » (١٤٨٥ - ١٥٤١) .

---

(١) زار ليوناردو وتلاميذه فرنسا فى الفترة ١٥١٦ - ١٥٢٧ كما عمل ديل سارتو لفترة قصيرة فى البلاط الملكى .

الفصل الثالث

البلاد المنخفضة

مقدمة تاريخية :

ظهر رخاء اقتصادى فى هذه البلاد مع ازدهار الصناعة فيها . وكانت أنتورب .أهم ميناء فى البلاد المنخفضة ، وفى الوقت الذى قلت فيه أهمية مدينة بروج ، بدأ ازدهار مدينة أمستردام . وكانت البلاد فى تلك الفترة تابعة لعائلة هايسبرج تحت حكم الملك النمساوى شارل الخامس ١٥٠٦ - ١٥٥٥ الذى كان ملكاً على أسبانيا أيضاً . ·

وفى عام ١٥٤٨ تأسس فى البلاد اتحاد يضم سبع عشرة ولاية عاصمتها بروكسل فى فترة حكم فيليب الثانى ملك اسبانيا . وعندما حاول البيت المالك الكاثوليكى كبت حركة المذهب البروتستانتى الذى انتشر بقوة فى الولايات الشمالية ، قامت ثورة دموية عنيفة فى هذه الولايات ضد الحاكم الأجنبى ، ونتج عن ذلك انفصال الولايات السبع الشمالية فى عام ١٥٨٤ – ١٥٨٥ وتكوين جمهورية مستقلة عرفت فيما بعد باسم (هولندا) بينما ظلت الولايات العشر الجنوبية كاثوليكية تابعة للتاج الأسبانى وعرفت فيما بعد باسم بلجيكا .

وبالرغم من أن الثورات الدينية والسياسية كان من الممكن أن تؤدى إلى كوارث على الفنون إلا أننا نجد أن النهضة الفنية لم تتوقف فى هولندا فى الفترة العصيبة التى تقع بين (١٥٥٠ - ١٦٠٠) ونجد أن هولندا وبلجيكا ظهر بها فنانون عظام فى فن التصوير امثال « باتنييه » « وفان ليدين » « ومابيوز » وعائلة « بروجل » . . . . . إلخ ولقد مهد هؤلاء المصورون الطريق لعمالقة الفن الهولندى والفلمنكى الذين ظهروا بعد ذلك .

التصوير فى هولندا :

كان التصوير فى الولايات الشمالية مزيجاً من اسلوبين مختلفين ، اسلوب فن النهضة الذهبى ، وأسلوب إخبارى شعبى حل محل الموضوعات الدينية .وتعتبر الفترة الزمنية ١٥٠٠ – ١٦٠٠ هى الحقبة الحاسمة فى الموضوعات الدنيوية (الطبيعة – طبيعة ساكنة – موضوعات

شعبية) التى ازدهرت هناك فى عصر الباروك وكانت هذه العملية المتطورة تتم بانتظام تسلسلى بفضل براعة المصورين الذين ظهروا فى تلك الفترة . وكانت المناظر الطبيعية والشعبية الواقعية تظهر كعنصر مساند للموضوع الرئيسى عند مصورى الشمال فى القرن الخامس عشر . إلا أننا نجد أنها صارت الموضوع الرئيسى عند المصورين فى القرن السادس عشر . ويتضح ذلك فى أعمال بروجل أشهر مصورى بلاده .

« **بيتر بروجل الأب** P. Brugel The Elder » (١٥٢٥ - ١٥٦٩)

نشأ هذا الفنان فى بلدة صغيرة على الحدود الهولندية البلجيكية ، وتعلم فى أنتورب ثم رحل منها إلى روما ونابولى فى عام ١٥٥٢ ليتعرف على الفنون بها . وهناك اتصل بفلاسفة المذهب الإنسانى وبالعلماء والكتاب ، ثم رجع مرة ثانية إلى أنتورب مصطحباً مجموعة من رسوم المناظر الطبيعية الخاصة بمنطقة جبال الألب . وكانت أسرته التى تتكون من ابنه وحفيده يمارسون التصوير فى مرسمه الذى أقامه فى أنتورب . إلا أننا نجد أنه انتقل إلى بروكسل فى عام ١٥٦٣ .

ويظهر تأثير هذه المناظر الطبيعية فى لوحة « عودة الصائدين » (شكل ١٢٦) التى رسمها عام ١٥٦٥ ، وهى إحدى صور مجموعة فصول السنة . وتصور هذه اللوحة مجموعة من الصائدين عائدين إلى قريتهم المغطاة بالثلوج .

وبالرغم من أنه كان على درجة عالية من التعليم وصديق الإنسانيين ويحظى برعاية عائلة هابسبورج ، إلا أننا نجد أنه كان يميل بصفة خاصة إلى تسجيل مناظر من الحياة الريفية المرحة ويوضح ذلك لوحة « رواج ريفى » [**لوحه ملونه رقم ١٤**] التى رسمها فى عام ١٥٦٥ .

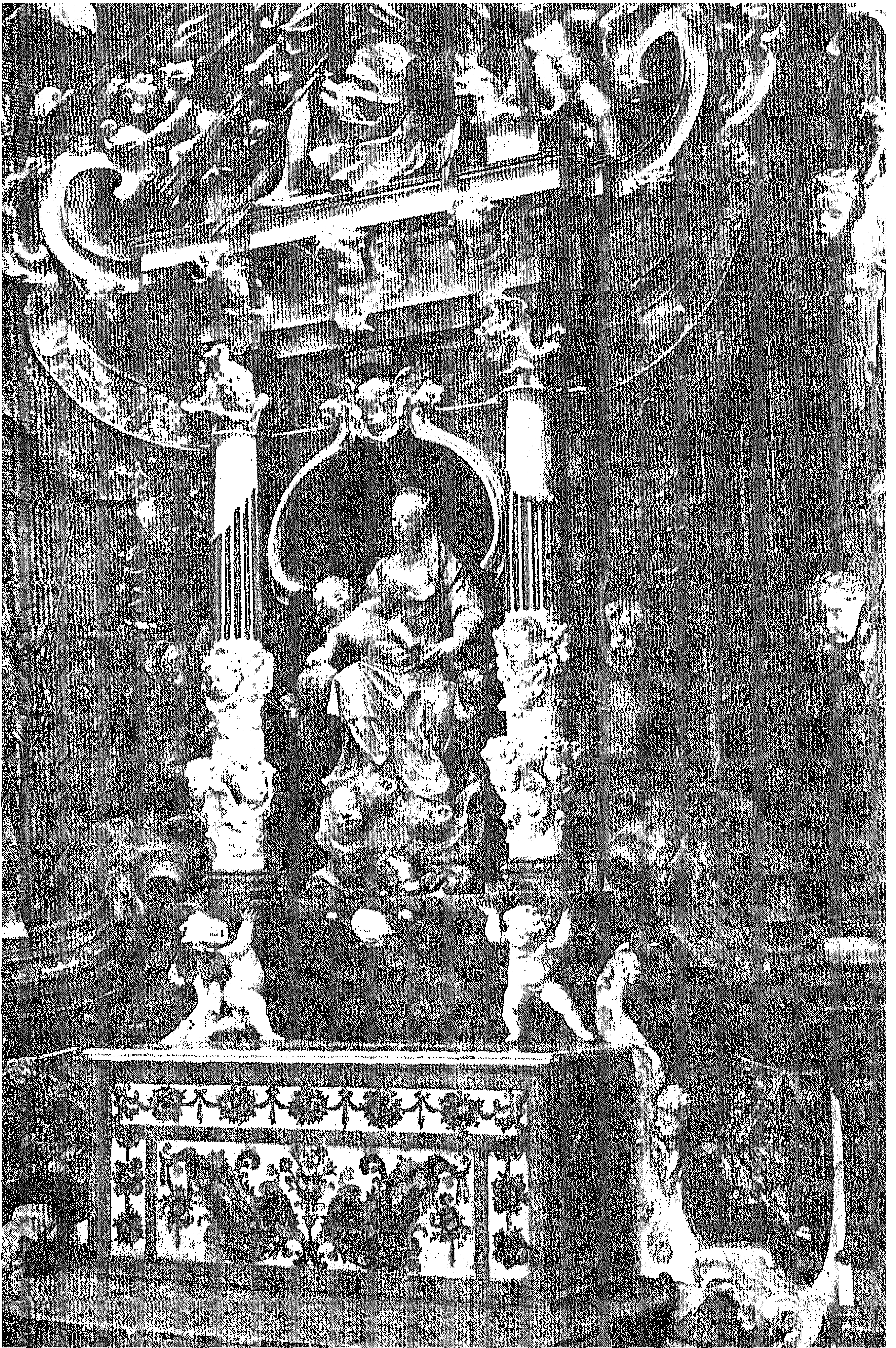
ولقد تأثر « بروجل » بالمصور « بوش » فى اللوحات التى توضح موضوعات فلسفية ، ويتضح ذلك فى إحدى اللوحات التى رسمها فى آخر حياته وهى لوحة « الأعمى يقود الأعمى » (شكل ١٢٧) التى رسمها عام ١٥٦٨ مستلهماً فكرتها من الكتاب المقدس . وتوضح هذه اللوحة مجموعة من الأشخاص فاقدى البصر يقود أحدهم الآخر . وتعبر هذه اللوحة عن الناحية الهزلية التى كان المصور يسعى إليها أحياناً .



(شكل ١٢٦) بيتر بروجل الأب . «عودة الصائدين» لوحة زيتية ١٥٦٥ ، متحف الفنون التاريخية فيينا .

(شكل ١٢٧) بيتر بروجل الأب . «الأعمى يقود الأعمى» لوحة زيتية ١٥٦٨ ، المتحف الأهلى ، نابولى





الباب الرابع



طراز الباروك



القرن السابع عشر

تمهيد :

يطلق مؤرخو الفنون كلمة « باروك Baroque » على الطراز الفنى الذى ساد فى أوربا فى الفترة ١٦٠٠ - ١٧٥٠ والمعنى الأصلى لهذه التسمية مصدرها إسبانى فى الغالب « Barruco » وتطلق على اللؤلؤ المشوه غير المنتظم الاستدارة . ولقد استمد هذا الوصف للتعبير عن الفنون المخالفة للتقاليد السائدة والمناهضة لمفهوم الفن الكلاسيكى

وهذا الطراز الذى نشأ فى روما فى نهاية القرن السادس عشر يعتبره بعض المؤرخين نهاية المرحلة الأخيرة لعصر النهضة أو مرحلة مستقلة ، منفصلة تماماً عن عصر النهضة الذى سبق ، وعن العصر الحديث الذى يليه .

ويعبر هذا الطراز عن الروح التى ظهرت كرد فعل لحركة الإصلاح البروتستنتى ، حيث اهتم المشرفون على الكنائس الذين شجعوا هذا الطراز بالأمور الدنيوية أكثر من الأمور الدينية . لذلك نجد ان مجال هذا الفن الذى تحرر من سيطرة الكنيسة كان فى القصور والكنائس .

ويبدو أن فن الباروك لم يكن فقط نتيجة مجموعة تطورات دينية وسياسية وفكرية ، حيث إنــه من الواضح أن ازدهاره كان نتيجة القوة الكاثوليكية الجديدة ، وزيادة قوة العائلات الحاكمة فى أوربا ، كما كان للعلم الذى تميزت به البلاد فى الفترة ١٦٠٠ – ١٧٥٠ دَوْرٌ مُهِمّ فى نشأة هذا الفن .

الفصل الأول

إيطاليا

مقدمة تاريخية :

كانت إيطاليا فى خلال القرن السابع عشر تابعة لاسبانيا ولعائلة هابسبرج الذين امتلكوا ميلانو ، نابولى ، صقلية وسردينا . وكما امتد نفوذ فرنسا على دوقيات مانتوا بارما ، مونت فيرات ، بيشنزا - مودينا وبيديمونت .

إلا أن البابوية احتفظت بمركزها فى روما حيث سيطرت الكنيسة الكاثوليكية على أوربا جميعها نتيجة لحرب المائة عام* التى قامت بين فرنسا وإنجلترا واستمرت قوة الآباء اليسوعيين فى منتصف القرن . وكان حكام روما فى القرن السابع عشر البابا بولس الخامس (١٦٠٥ - ١٦٢١) ، اوريان الثامن (١٦٢٣ - ١٦٤٤) اينوسنت العاشر « ١٦٤٤ - ١٦٥٥ » واسكندر السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧) .

ولقد اهتم باباوات روما وعلى رأسهم « أوريان » بجعل مدينتهم عاصمة المسيحيين أجمل المدن الأوربية وزعيمة للنفوذ الكاثوليكى فى العالم المسيحى . واستقدموا الفنانين من أنحاء إيطاليا للقيام بالأعمال الفنية المختلفة . لذلك نجد أن روما فى القرن السابع عشر كانت . المركز الرئيسى لنشاط كبير فنى فى ميادين الفنون جميعها من عمارة إلى نحت إلى تصوير . كما كانت أهم مصدر للفنون فى أوربا . .

ابتكر هؤلاء الفنانين الشبان البارعون طرازاً جديداً فى الأعمال التى كلفوا بها كان مناهضاً لطراز النهجية الذى ظهر فى أواخر عصر النهضة الذهبى عرف باسم الباروك وكانت روما مركز هذا الطراز ، ويبدأ نشاط طراز الباروك فى عام ١٦٠٠ وتظهر أولى آثاره فى فن التصوير .

التصوير :

لبى نداء باباوات روما مجموعة من الفنانين الشبان الطموحين وكانوا بصفة خاصة من شمال

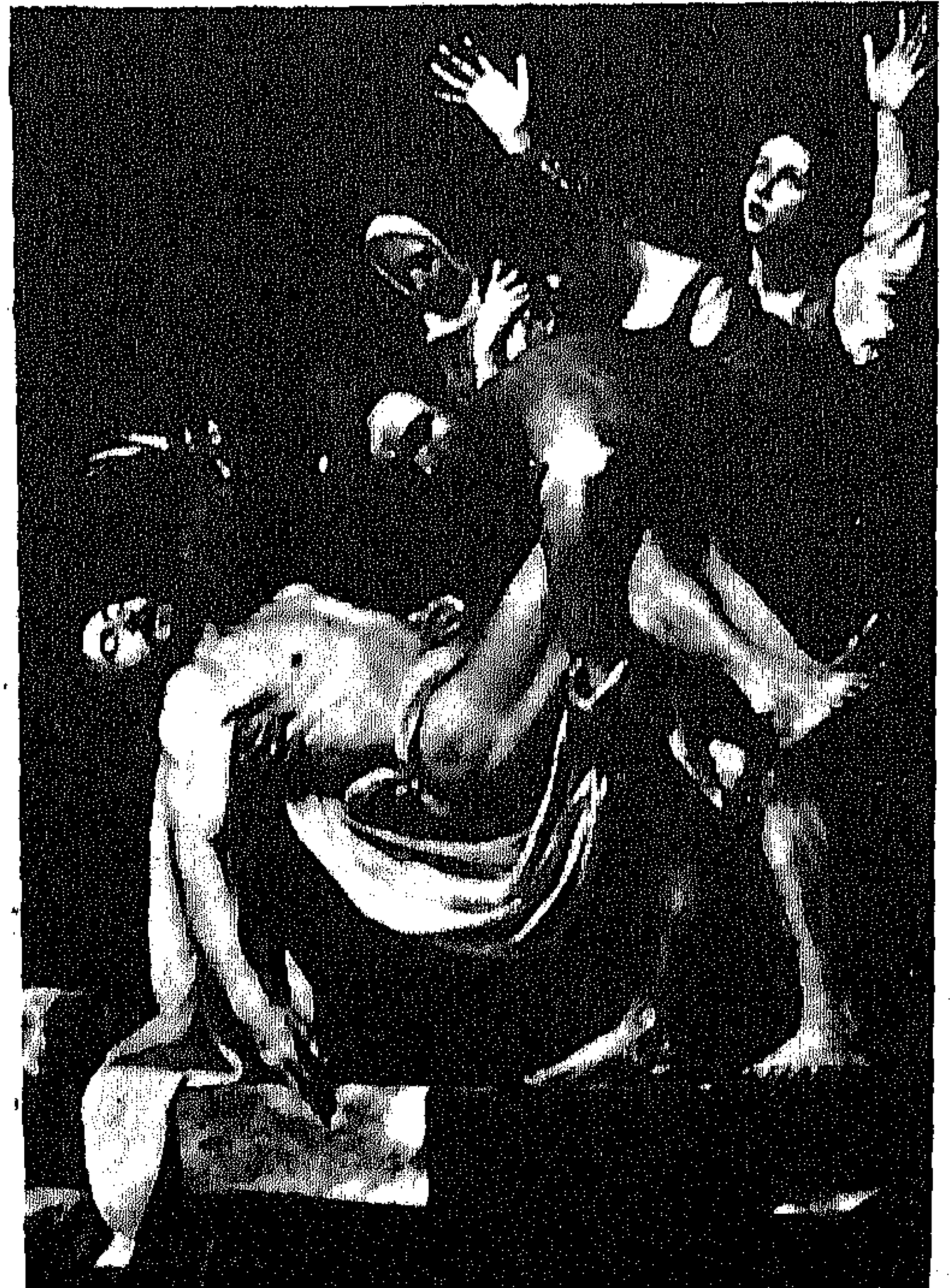
إيطاليا . وكان نتيجة الاتجاهات المناهضة لحركة الإصلاح الدينى أن بدأ الفنانون يشعرون بمسئوليتهم تجاه الدين .

لذلك ظهر تيار مناهض للجماليات التى سعى إليها النهجيون فى فنونهم . فبدأوا يهتمون بالبحث عن الحقيقة فى الفن ، وأوصلهم هذا الاهتمام إلى اتجاهين مختلفين الأول واقعى شعبى يمثله المصور كارافچيو والثانى صوفى زخرفى يميل نحو الكلاسكية وتزعمه « كاراتشى » .

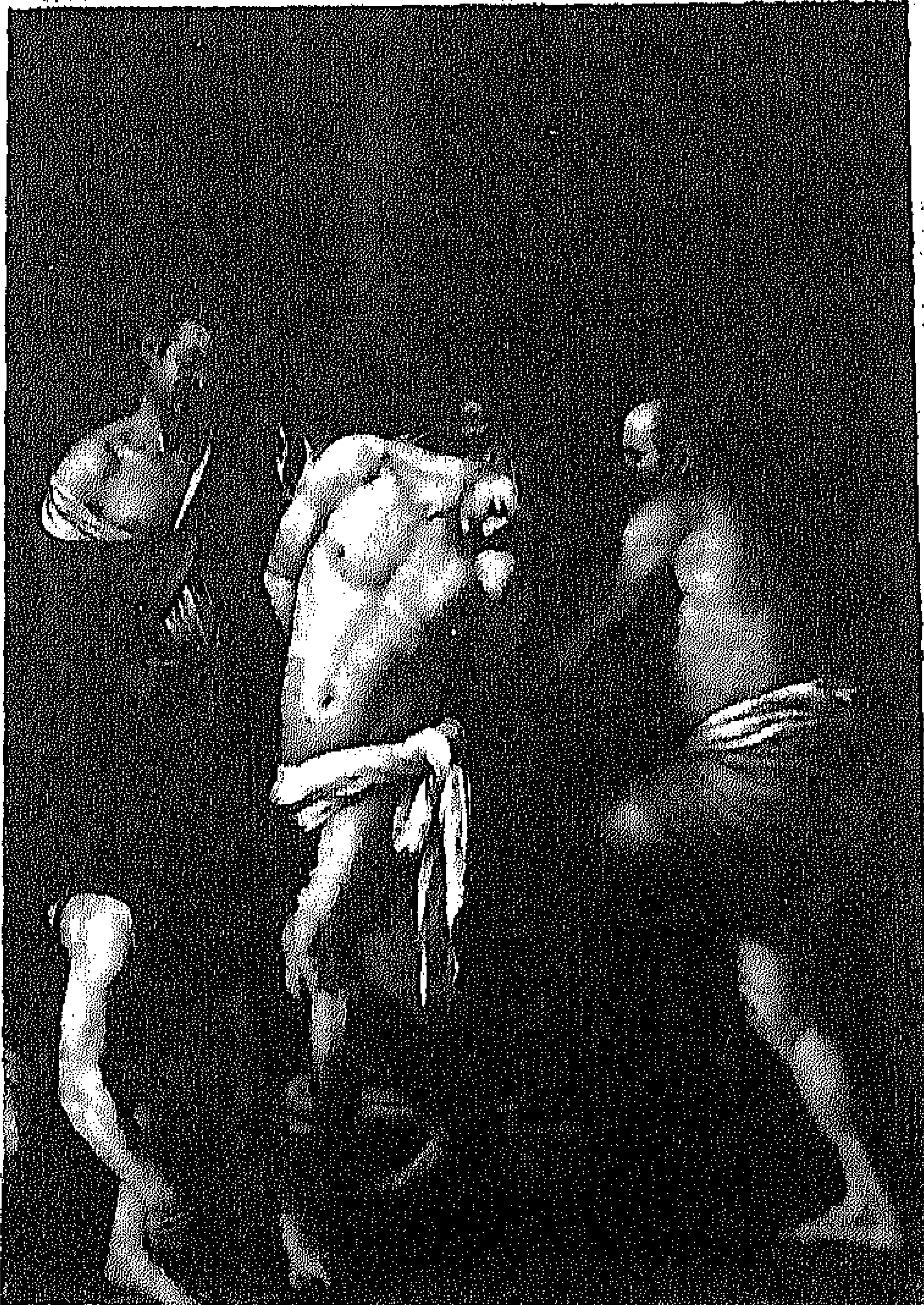
ميكل أنجلو ميريزى الشهير بكارافاجيو Caravagio » (١٥٧٣ – ١٦١٠)

نشأ كارافچيو بالقرب من ميلانو بإقليم لومبارديا . وتعلم فن التصوير فى مرسم الفنان بتريزانو بميلانو فى الفترة (١٥٨٤ – ١٥٨٨) ، ثم ذهب إلى روما فى عام ١٥٩٢ . وترجع إلى تلك الفترة لوحات صغيرة لموضوعات من الحياة اليومية ودراسات للطبيعة الصامتة تميزت بألوان هادئة وضوء واضح .

ولما دعت الكنيسة الكاثوليكية إلى العودة إلى تصوير الموضوعات الدينية ، لبى كاراڤاجيو الدعوة برسم لوحات دينية ذات أسلوب واقعى . ومن أبرز أعماله فى تلك الفترة « مراحل من حياة القديس ماتيوس » (١٥٩٧ – ١٦٠١) ، « توبة القديس بولس » ، « اعدام القديس



(شكل ١٢٨) كارافاجيو « دفن المسيح » ١٦٠٢ – ١٦٠٤ . متحف الفاتيكان .



(شكل ١٢٩) كارافاجيو « جلد المسيح » ١٦٠٦ . كنيسة القديس دومينيكو . نابولى .

بطرس » بكنيسة القديسة ماريا « (١٦٠٠ – ١٦٠١) ، دفن المسيح « شكل ١٢٨ » (١٦٠٢ – ١٦٠٤) و « موت العذراء « (١٦٠٥ – ١٦٠٦) .

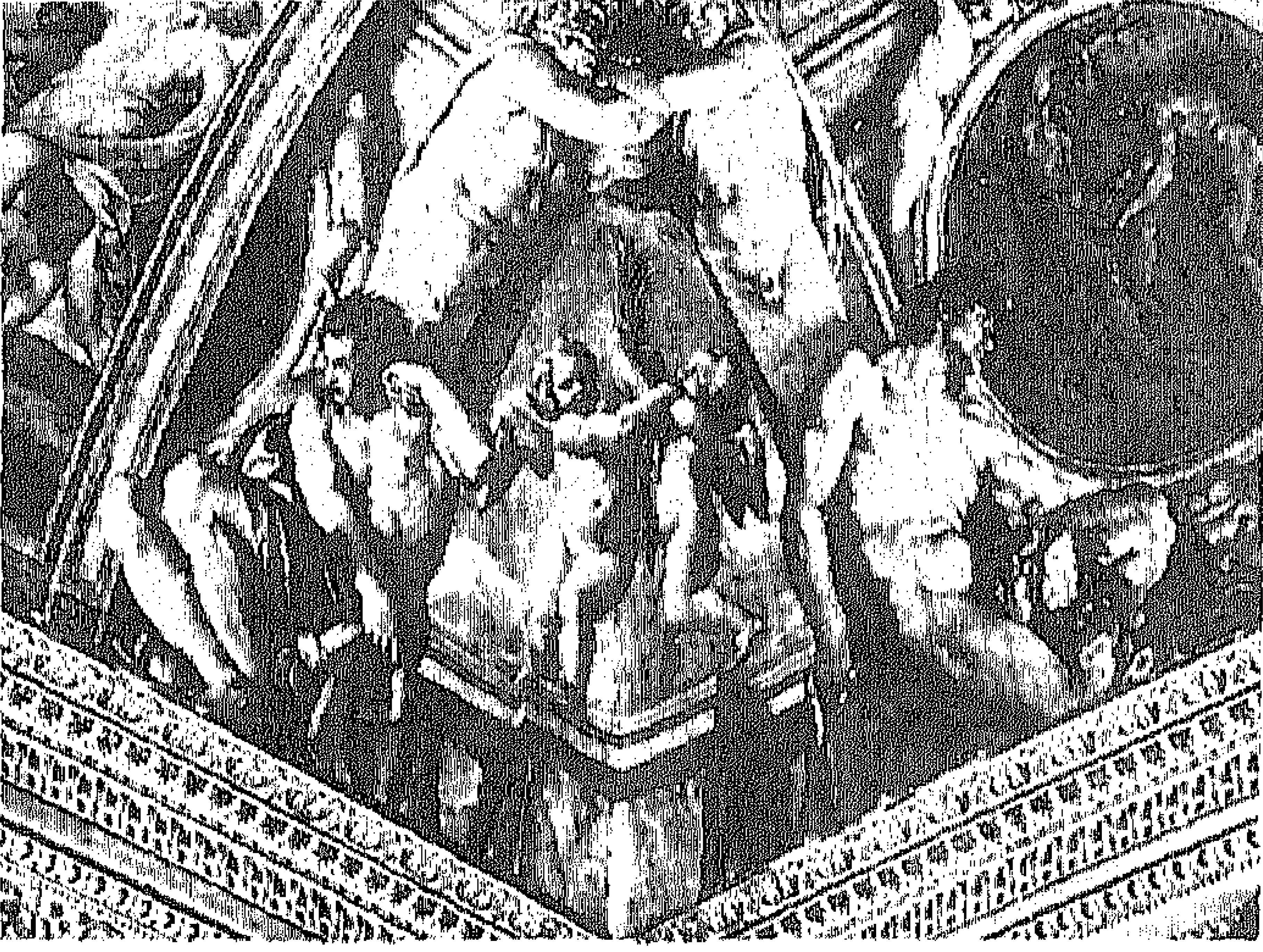
وتتميز هذه اللوحات باتخاذ الفنان لأسلوب واقعي أكثر جرأة وصراحة ، وباستخدام النور المنبعث من الجانب استخداماً مسرحياً . ولقد وصفت مثالية كارافاجيو بالسوقية .

هرب « كارا فاچيو » من روما فى عام ١٦٠٦ إثر مشاجرة مع بعض الأشخاص ، وتنقل بين نابولى ومالطة وصقلية ومسينا ورسم فى تلك الفترة عدة لوحات . ولقد أثارت واقعيته الجريئة فى معالجة الموضوعات الدينية مثل « جلد المسيح » (١٦٠٦ – ١٦١٠) (شكل ١٢٩) ضجة واستياء بين الأوساط الشعبية التى قدست الموضوعات الدينية بينما أثارت إعجاباً شديداً بين الفنانين والمثقفين فى إيطاليا وفى خارجها . وانتشر أسلوبه وصار له أتباع كثيرون فى إيطاليا أمثال : بورجيانى ، ما نفريدى ساراسينى . . إلخ .

(أنبيال كاراتشى) « Annibale Carracci » ١٥٦٠ – ١٦٠٩

بدأ بعض مصورى تلك الفترة يبحثون عن اتجاهات جديدة مناهضة للنزعة النهجية ، يضيفونها إلى فن التصوير ، وكان مبتكرو هذا الاتجاه الباروكى الجديد عائلة كاراتشى Carracci ، لودفيكو « luduvico (١٥٥٦ – ١٦٠٢) وأبناء عمه أجوستينو « Agustino (١٥٥٧ – ١٦٠٢) وأخاه انيبال . وكونت هذه المجموعة فى عام ١٥٨٠ مدرسة فنية فى بولونيا ، تميزت بطراز مبتكر مناهض للنزعة النهجية . وأسسوا فى عام ١٥٨٥ أكاديمية يدرس فيها الفنانون المعاصرون أصول الفن على أسس علمية جديدة تقوم على الاستفادة من مواهب فنانى عصر النهضة الذهبي ، مثل مهارة رافائيل « فى الرسم ، براعة دافنشى » فى الألوان ، قوة أسلوب « ميكل أنجلو » ، مقدرة مدرسة البندقة على التعبير بالألوان . وتمكن هؤلاء الفنانون من إدماج هذه المزايا المتعددة بمهارة وأخرجو منها أسلوباً موحداً جديداً .

كان انبيال أبرز من اشتهر فى هذه العائلة ، درس الفن فى مرسم الفنان تيبالدى ، وانتقل بين بولونيا وبارما لزخرفة جدران مبانيها بأسلوبه الجديد الذى أعجب الحكام الإيطاليين . إلا أن أبرع أعماله ظهرت بعد ذهابه إلى روما فى عام ١٥٩٥ ، ومشاهدته لأعمال عمالقة عصر النهضة الذهبي ، حيث نادى مثل زميله « كاراڤاجيو الذى تعرف عليه هناك ، بأن الفن يجب أن يعالج من وحى الطبيعة ، إلا أن « كاراتشى » فى معالجته لتلك الفكرة اهتم بإحياء الكلاسكية التى كانت تعنى لديه الفن القديم . وفنون رافائيل ، ميكل أنجلو ، دافنشى ،





(شكل ١٣٠) أنيبال كاراتش .
أفرسكو بسقف فارنيزى ، ١٥٩٧ -
١٦٠١ بروما ، ١٣٠أ جزء تفصيلى.

(شكل ١٣٠ أ) أنيبال كاراتش
أفرسكو بسقف فارنيزى ، ١٥٩٧-
١٦٠١ بروما ، ١٣٠أ جزء تفصيلى.



(شكل ١٣١) أنيبال كاراتش .
«الهروب إلى مصر» ١٦٠٣ ،
قاعة دوريا بامفيلى ، روما .

تيسيانو ، وكوريجيو .

ويتضح أسلوبه المبتكر الزخرفى فى أشهر أعماله التى زين بها قصر فارنيزى (شكل ١٣٠) فى الفترة (١٥٩٧ - ١٦٠١) . وذاعت شهرة هذا العمل الفنى ووضع فى المرتبة الثانية بعد التصاوير الجدارية التى قام بزخرفتها ميكل أنجلو ورافائيل لمصلى كنيسة سستينا . ولقد قام برسم عدد من الدراسات (شكل ١٣٠أ) لأشخاصه المرسومة على السقف ، وبذلك أحى أساليب ميكل أنجلو ودافنشى .

واهتم «كاراتشى» بتصوير المناظر الطبيعية وأبدع فيها ويتضح ذلك فى اللوحة الدينية «الهروب إلى مصر» (شكل ١٣١) التى رسمها فى عام ١٦٠٣ . ونلاحظ أن الأشخاص المرسومة فى اللوحة لا نشعر بأهميتها بالمقارنة مع المنظر الخلوى .

أثر انيبال على كثير من أتباعه خاصة فى بولونيا ، وكان من أبرز هؤلاء المزخرفين

« جويدو رينى Guido Reni » (١٥٧٥ – ١٦٤٢)

درس فى أكاديمية « كارتشى » فى الفترة ١٥٩٤ – ١٥٩٥ وقام بعدة زيارات لروما فى الفترة ١٦٠٠ – ١٦٠٣ . ولما ذاعت شهرته قام بزخرفة عدد من المبانى أشهرها لوحة « الفجر » (شكل ١٣٢) التى زخرف بها سقف قصر روسبيليوزى بروما فى الفترة ١٦٠٣ – ١٦١٤ .

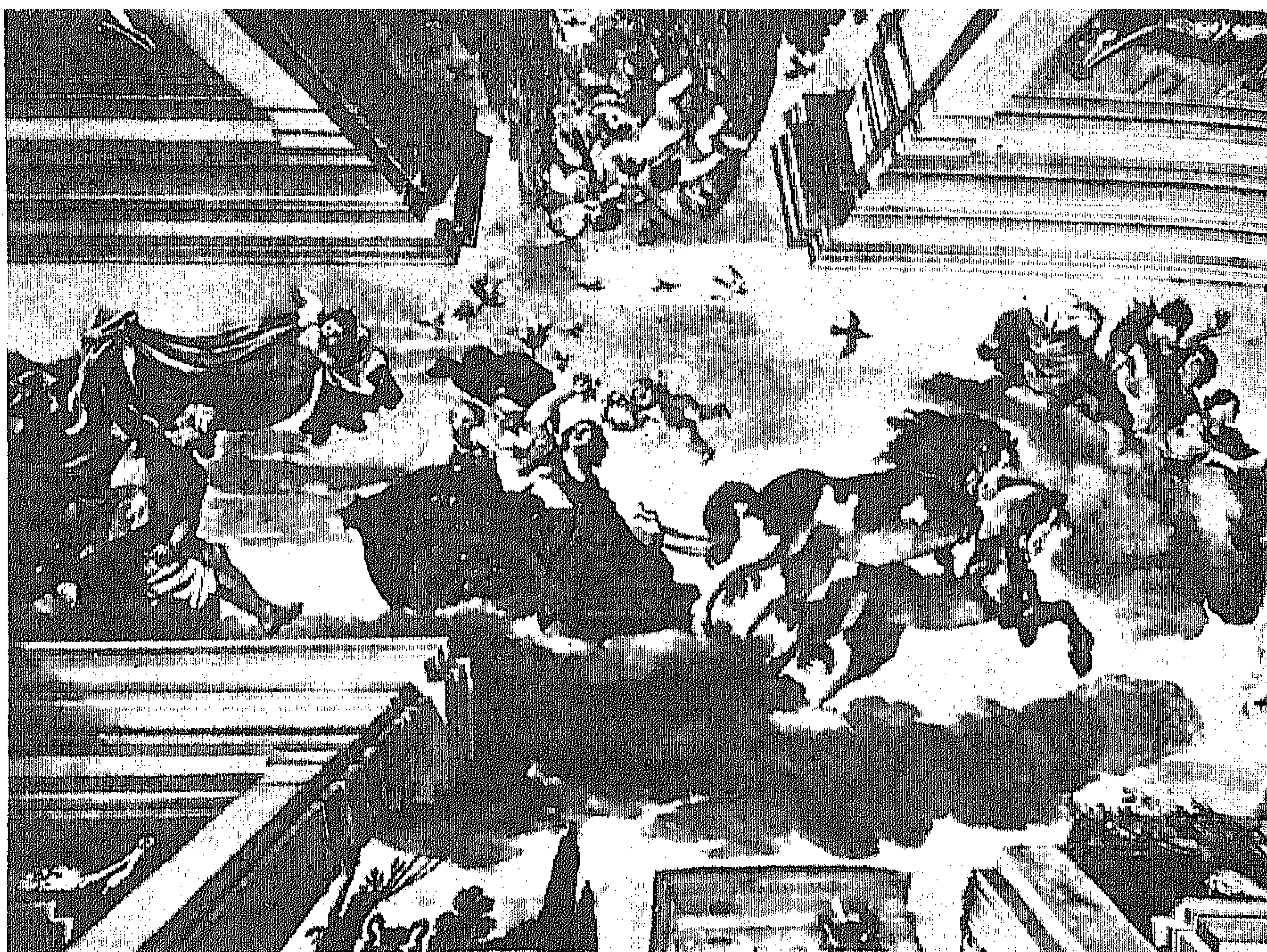
ومن أشهر المزخرفين الذى اتبع أسلوب انيبال ، المصور « جرسينو Guircino » (١٥٩١ – ١٦٦٦) وكان متأثراً فى أول الأمر بأسلوب كارافاچيو . ولقد قام بزخرفة سقف إحدى حجرات فارنيزى فى الفترة (١٦٢١ – ١٦٢٣) بموضوع الفجر (شكل ١٣٣) .

واستخدم فن التصوير الزخرفى الباروكى كوسيلة لزخرفة أسقف وقاعات القصور والكنائس ، وكانت الموضوعات أسطورية أو تاريخية قديمة مما كان سبباً فى تخصص عدد كبير من المصورين فى هذا النوع من التصوير ، وكان من أبرزهم المصور « باتستا جوالى B . Gwali » الذى زخرف سقف كنيسة اليسوع (شكل ١٣٤) فى الفترة (١٦٧٢ – ١٦٨٥) .

لقد وصل هذا النوع من التصوير الزخرفى ذو النزعة الباروكية إلى درجة كبيرة من البراعة فى القرن الثامن عشر وكان ذلك على يد المصور جيوفانى « باتسياتيبولو G . b . tipolo » (١٦٩٦ – ١٧٧٠) الذى تمكن فى لوحاته من التغلب على جميع المشاكل التى صادفها مزخرفى السقوف من قبل . ويتضح ذلك فى زخارف قصر القيصر بمدينة روزنبرج (شكل ١٣٥) التى رسمها فى عام ١٧٥١ .

(شكل ١٣٢) جويدو رينى . « الفجر » . أفرسكو بسقف قصر روسبيليوزى ١٦١٣ ، روما .

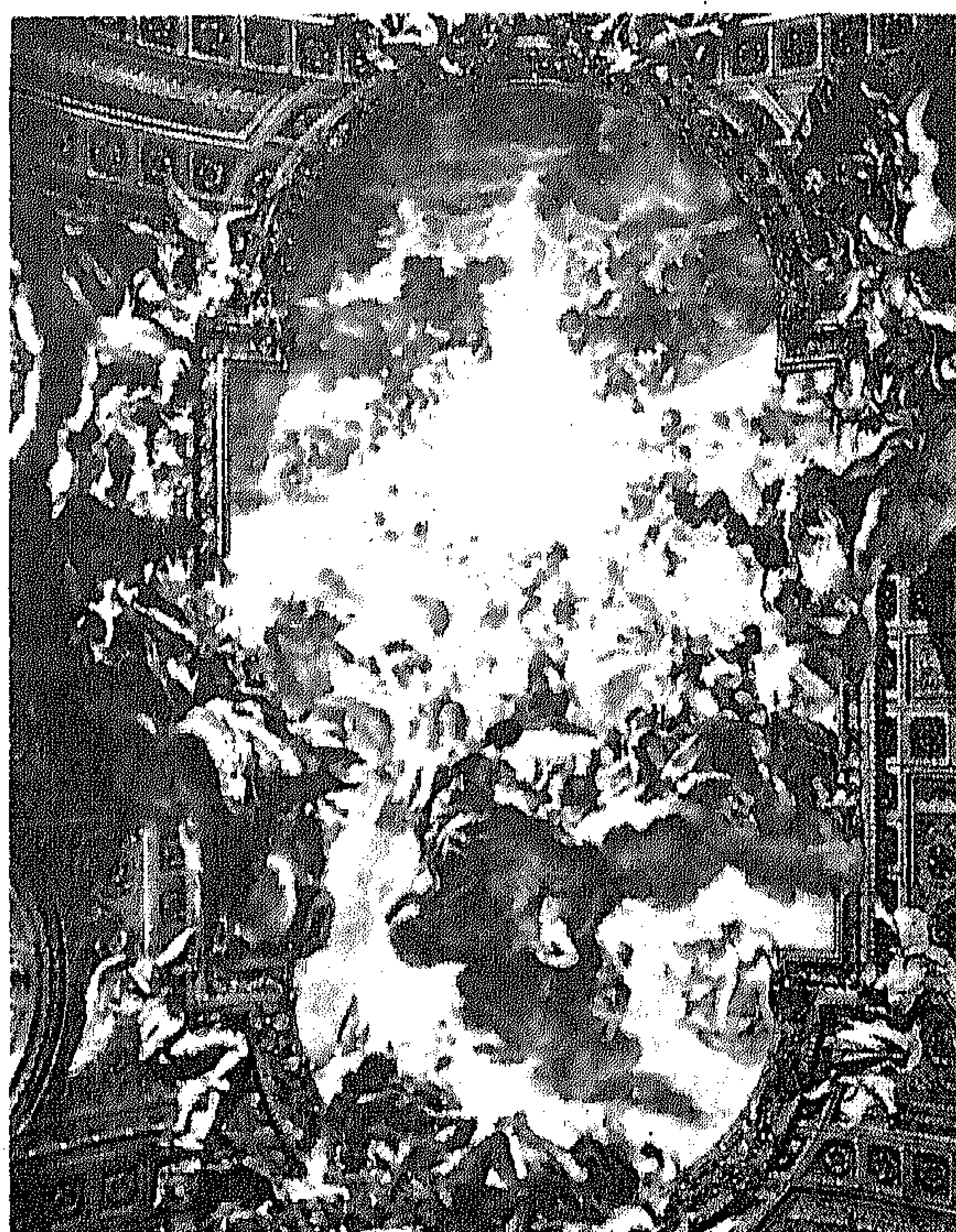




(شكل ١٣٣) الجرسينو. « الفجر »
إفرسكو بسقف فيلا لودوفيزى ،
١٦٢١ – ١٦٢٣ ، روما .



(شكل ١٣٤) باتستا جـوالى .
« إنتصار المسيح » إفرسكو بسقف
كنيسة اليسوع ١٦٧٢ – ١٦٨٥ ،
روما .



(شكل ١٣٥) باتستا تيبولو إفرسكو
بسقف قاعة القيصر ، ١٧٥١ ،
قصر مدينة فورزبرج .

العمارة :

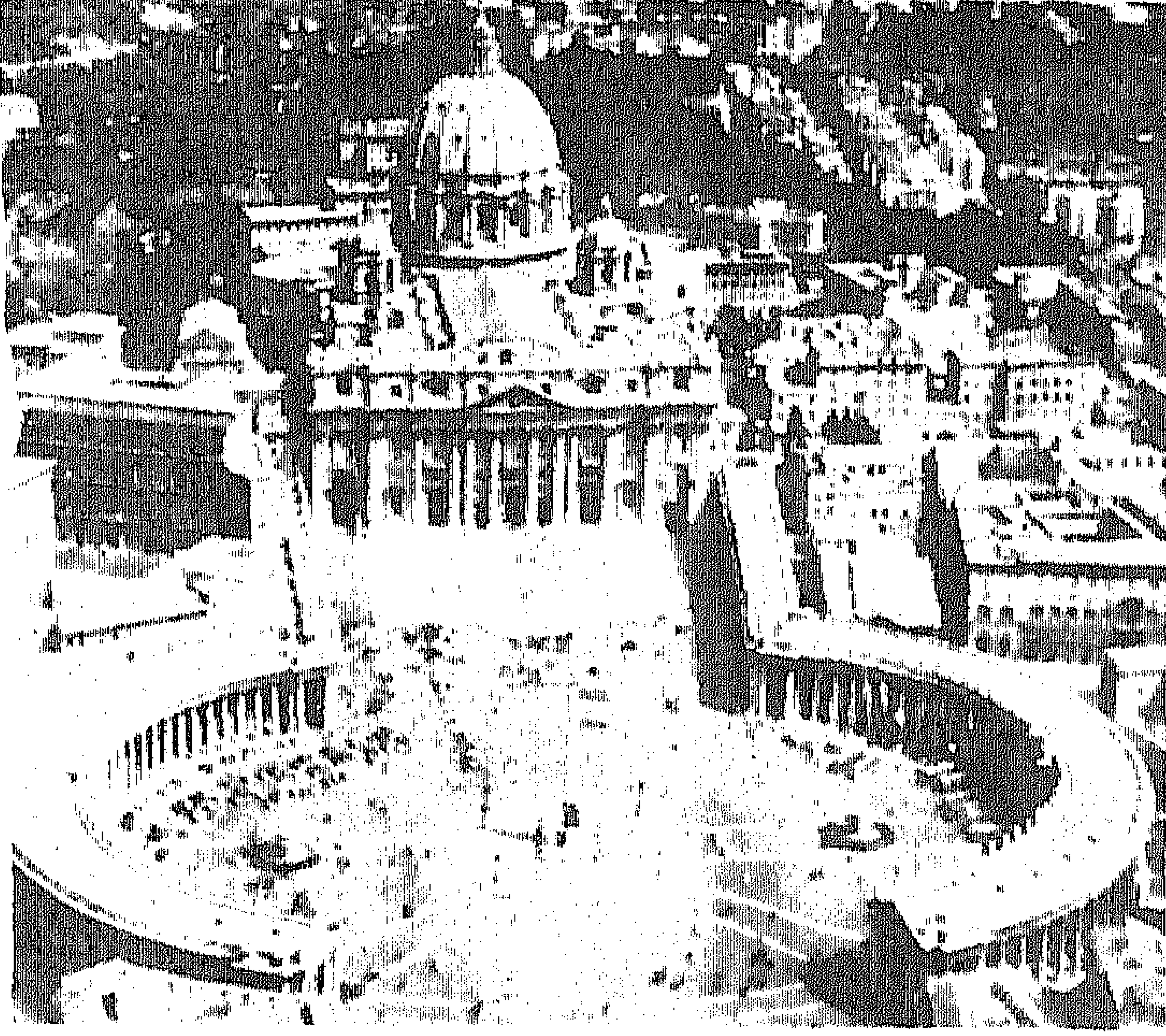
كانت روما مركز نشاط معمارى كبير بعد ظهور الحركة المناهضة للإصلاح الدينى . حيث شيد باباواتها كنائس وقصوراً لهم أمثال بول بورجيزى الخامس ، أوربان الثامن بربرينى ، انوسنت العاشر بامفيلى . كما كثر توافد المهندسين الشبان على روما للاشتراك فى تشييد الكنائس للحركات المسيحية (جماعة اليسوعيين وغيرهم) . وكان هدف هؤلاء المهندسين هو المبالغة فى العناصر الزخرفية المجملة للواجهات مع الاحتفاظ بالقوة والفخامة التى ابتدعها « ميكل أنجلو » « وفينيولا » فى القرن السادس عشر ، وعرف هذا الطراز المركب بالباروك وكان أول من قدم هذا الطراز المهندس مادرنا .

« **كارلوماديرنا** C . Maderna » (١٥٥٦ – ١٦٢٩)

تمرن على فن العمارة مع عمه « فونتانا » ، وظهر أسلوبه الجديد فى واجهة كنيسة القديسة سوزانا ١٦٠٣ ، التى استمد فكرتها من كنيسة اليسوع (ش ١٠٨) التى شيدها فينيولا لجماعة اليسوعيين فى روما فى القرن السادس عشر .

ويتضح تحول النزعة النهجية إلى طراز الباروك فى مشروع توسيع كنيسة القديس بطرس التى صممها ميكل أنجلو . حيث أسند البابا بولس الخامس هذه المهمة إلى المهندس ماديرنا فزاد من طول الصحن من ناحية الجهة الغربية مما حولها إلى كنيسة بازيليكية (شكل ١٣٦) وأقام واجهة ضخمة لهذا الجزء من الكنيسة تتفق مع ضخامة قبة ميكل أنجلو (شكل ٧٨) ولقد ساعد هذا التغير على وصل الكنيسة بقصر الفاتيكان .

ومن الفنانين الذين اشتركوا فى توسيع مشروع كنيسة القديس بطرس المهندس المثال « برنينى » الذى يعتبر أحد أقطاب الطراز الباروكى فى فن المعمار ، بالإضافة إلى كونه أكبر ممثل لهذا الطراز فى فن النحت أيضاً . فإليه يرجع الفضل فى تخطيط ساحة كنيسة القديس بطرس فى عهد الكسندر الرابع حيث صمم مبنى دائرياً ضخماً يحيط بمدخل الكنيسة ، ويتكون هذا المبنى من رواق مفتوح من الجهتين (شكل ١٣٧) ، ويحمل السقف جداراً من عقود مستديرة وأعمدة ضخمة يبلغ عددها ٢٨٤ عموداً موضوعة فى أربعة صفوف ويقف فوق الصف الداخلى مجموعة من التماثيل نحتها « بيرنينى » تصور القديسين مرحبين بالداخلين إلى الكنيسة .



(شكل ١٣٦) واجهة كنيسة القديس بطرس التى أقامها المهندس كارلو ماديرنو ١٦٠٧ - ١٦١٥ ، روما .

(شكل ١٣٧) الرواق الذى أقامه المهندس المثالى برنينى ليحيط بمدخل كنيسة القديس بطرس ١٦٢٤ - ١٦٣٣ . روما .





(شكل ١٣٨) فرنشسكو بوردمينى . كنيسة النافورات الأربع ١٦٣٨٠- ١٦٤١ . روما .

اشترك « برنينى » فى مشروعات هندسية كثيرة مثل كنيسة « كاستل جندلفو » (١٦٥٨ - ١٦٦١) أريشيا (١٦٦٢ - ١٦٦٤) والقديس أندريا (١٦٥٨ - ١٦٧٠) ولما ذاعت شهرته استدعاه الملوك الفرنسيون شارل الأول ولويس الثالث عشر والرابع عشر لتصميم الواجهة الشرقية لقصر اللوفر .

« فرنشسكو بورومينى » « F . Borromini » « ١٥٩٩ – ١٦٦٧ »

ومن أقطاب النزعة الباروكية المهندس « فرنشسكو بورومينى » بدأ حياته فى ميلانو، وكان أبوه مهندساً ، كما كان قريباً للمهندس ماديرنا ، ونافس برنينى .

ومن مشروعاته الضخمة المعقدة التى صممها ونفذها فى روما ، كنيسة القديس كارلو (شكـل ١٣٨) ذات النافورات الأربع التى نفذت فى الفترة (١٦٣٨ – ١٦٤١) . وتتميز هذه الواجهة بتصميم مبتكر كما أن تصميم الواجهة التى أقامها بعد مرور ثلاثون عاماً من بدئه فى الكنيسة ، يتميز بكثرة الزخارف المنحوتة بها .

ذاعت شهرة « بورومينى » محلياً وعالمياً بعد تشييده لهذه الكنيسة ، وصار أشهر أقطاب الطراز الباروكى الذى يعتمد على الضخامة والعناصر الزخرفية . ومن أشهر أعماله كنيسة إيقو بروما التى شيدت عام ١٦٤٢ (شكل ١٣٩) ، وواجهة كنيسة القديسة انييس « Agnese » فى ساحة نافونا شيدت فى الفترة (١٦٥٣ – ١٦٦٣) (شكل ١٤٠) . ولقد تنبه بورومينى إلى عظمة القبة الموجودة بالكنيسة ، فخفض الجزء المقابل لها بالواجهة . وجمع فى هذا المشروع بين طراز النهضة الممثل فى القبة وبين الطراز القوطى الممثـــل فى الأبراج التى تحف بالمدخل .

قوبلت الابتكارات التى أدخلها بورومينى بالإعجاب فى أنحاء إيطاليا وانتشر طراز الباروك فى مدينة تورينو عاصمة مقاطعة سافويا بصفة خاصة فى أواخر القرن السابع عشر . ومن أشهر أتباع هذا المهندس الراهب « جوارينوجوارى » .

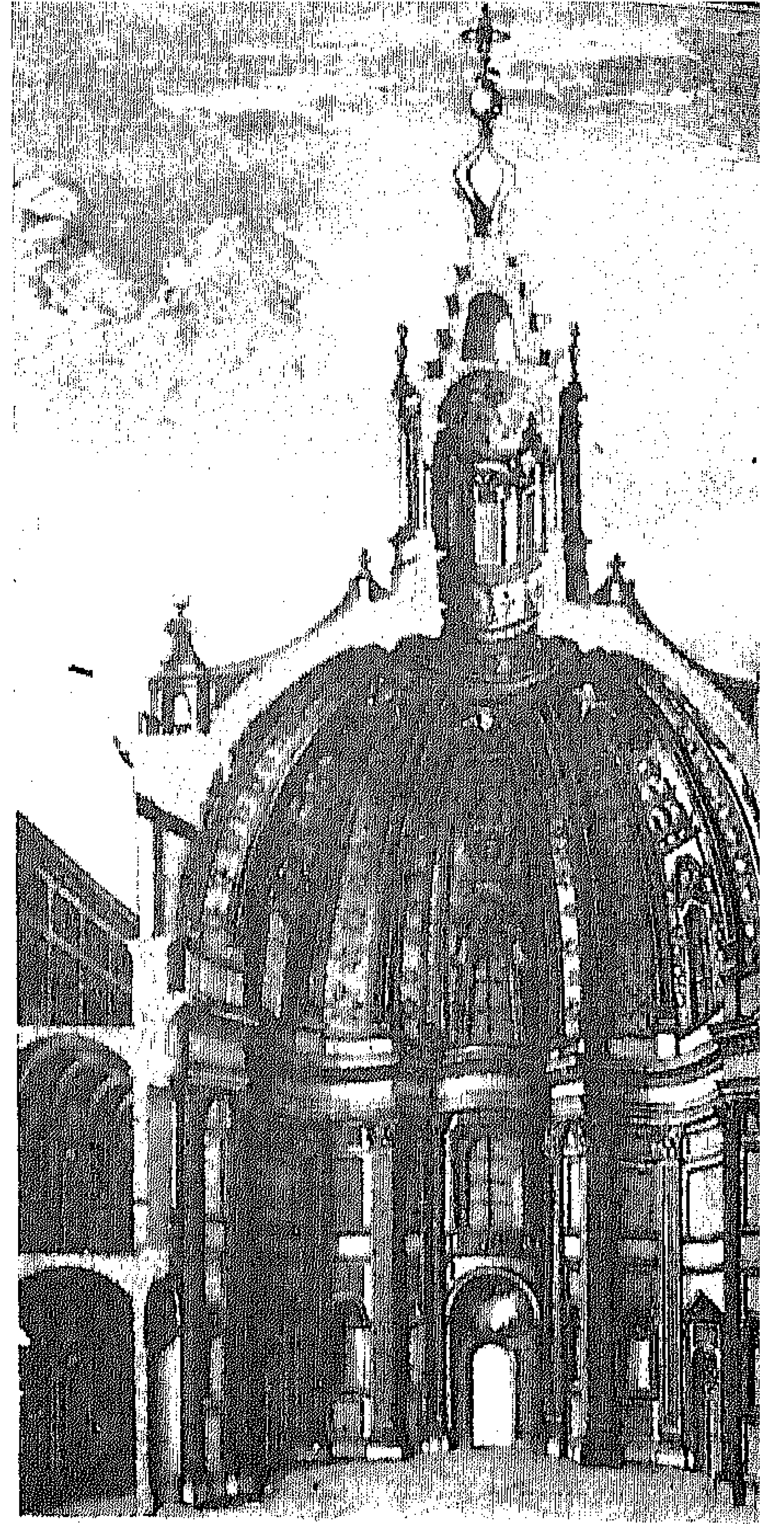
ولا تتعجب إذا وجدنا أن طراز الباروك الذى ابتدعه بورمينى ورعاه جوارينى قد قوبل بترحاب كبير من الأقطار الشمالية فى أوربا فى القرن الثامن عشر وذلك لأن هذا الطراز الضخم كان مزيجاً من مجموعة عناصر من الفن القوطى وفن عصر النهضة ، وإشتمل على عناصر زخرفية جذابة أعجبت الحكام الذين يرغبون فى تخليد ذكراهم بمبان ضخمة جميلة .

النحت :

ارتبطت العمارة فى عصر الباروك بنشاط كبير فى فن النحت . وكان هذا الفن كالعمارة قد تحول إلى الأخذ بطراز الباروك الذى يعتمد على المبالغة والإنفعال والتكلف بفضل أساليب عبقرى روما المثال المهندس « برنيى »



(شكل ١٤٠) فرنشسكو بورومينى .
كنيسة القديسة آنييس فى ساحة
نافونا ١٦٥٣ - ١٦٦٣ ، روما .



(شكل ١٣٩) فرنشسكو بورومينى .
قطاع رأس كنيسة إيفو ١٦٤٢ ،
روما .

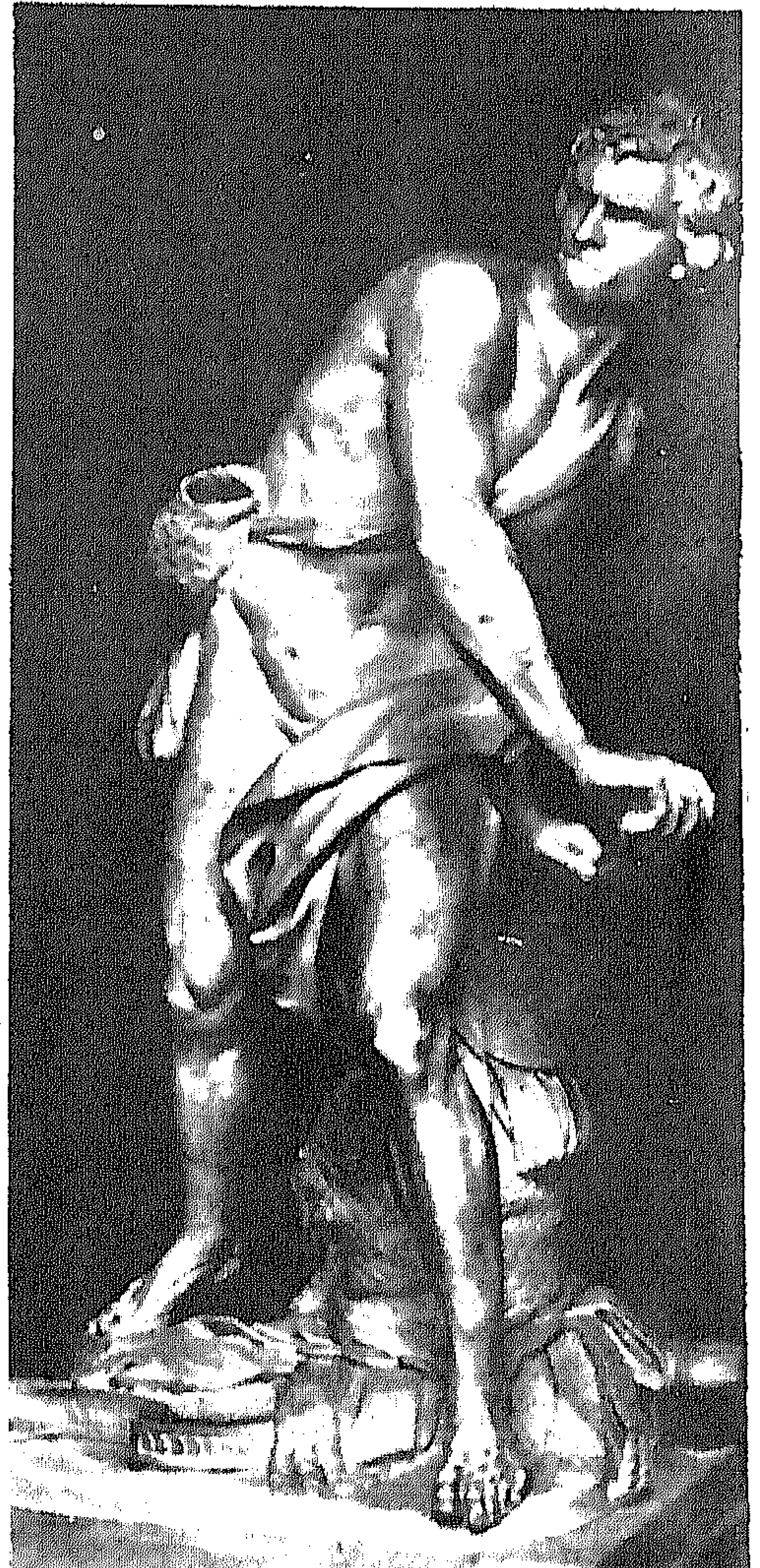
جان لورنز و برنينى « G . L . Bernini » ١٥٩٨ - ١٦٨٠

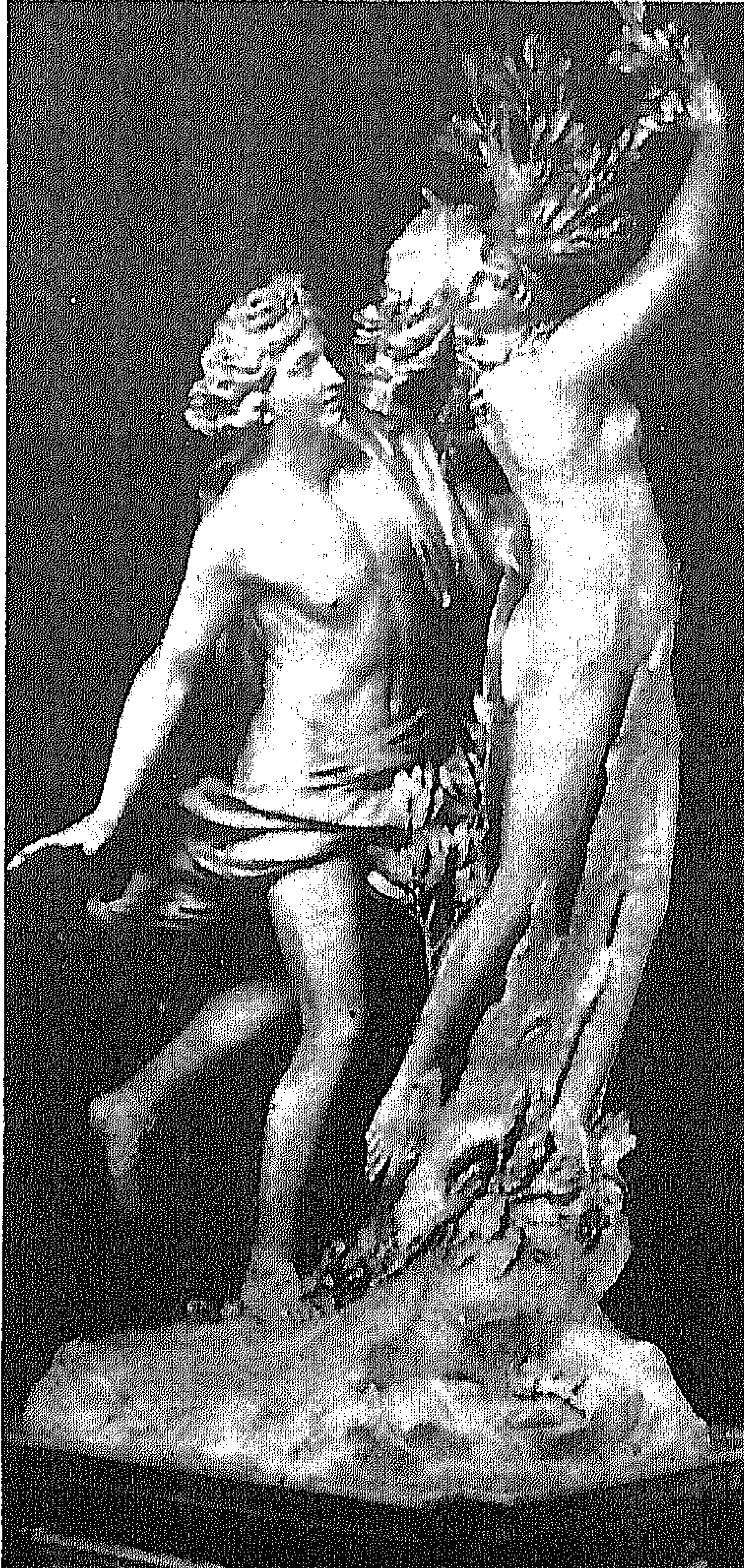
كان والده بطرس مثالا معروفاً فى روما واشترك معه فى عدة أعمال للكنائس ، وظهرت مواهبه فى سن مبكرة لدرجة أنه سيطر على فن النحت فى روما وهو فى سن العشرين وصار النحات الأول فيها ، فكلفه الكاردينال سيبيون بورجيزى ابن أخو البابا بتزيين فيلا بورجيزى التى شيدها فى الفترة ١٦١٣ - ١٦١٥ بمجموعة من التماثيل .

وتوضح الأعمال التى قام بنحتها برنينى للكردينال ، بأن أسلوبه تطور وابتعد عن طراز النهجية الذى كان يتبعه أبوه . حيث تحكم الفنان فى الحركة والإشارة . وكان التغيير الذى طرأ على أسلوب المثال قد استمده من فن التصوير الذى رآه فى سقف قصر فرنيزى المزخرف بواسطة المصور « أنيبال كاراتشى » . كما استفاد من دراسة الأعمال الهيلينية التى رآها فى روما مثل مجموعة « اللاوكون » وتمثال « الجندى المحتضر » .

ويتضح هذا الأسلوب المعبر الذى يتميز بالحركة العنيفة فى تمثال داوود الذى نحته عام ١٦٢٣ (شكل ١٤١) حيث اعتمد المثال على حركة الجسم العنيفة فى التعبير عن المعركة بين البطل وعدوه الذى لا نراه . كما يلاحظ الانفعال فى مجموعة « ابوللو و دافنى » التى نحتها فى الفترة ١٦٢٢ – ١٦٢٥ (شكل ١٤٢) وتصور هذه المجموعة مطاردة ابوللو للآلهة دافنى الخائفة عندما بدأت تتحول إلى شجرة .

وعندما انتهت مشروعات فيلا بورجيزى ابتعد برنينى عن هذا الوسط الارستقراطى ليلتحق فى خدمة مشروعات البابوات أُربان الثامن واسكندر السابع الدينية . فكلفه أُربان بزخرفة كنيسة القديس بطرس من الداخل . ويتضح طراز الباروك فى أعماله فى هذه الكنيسة مثل البلدكان الذهبي والمنبر الذى قام بعملها فى عام ١٦٢٣ . ولم يكن من السهل زخرفة الكنيسة من الداخل لاتساعها . الا أن برنينى قام بهذه المهمة خير قيام إذ أقام فى صدر الكنيسة فى الفترة (١٦٥٧ – ١٦٦٦) عرشاً من البرنز المذهب والرخام والجص (شكل ١٤٣) للقديس بطرس .



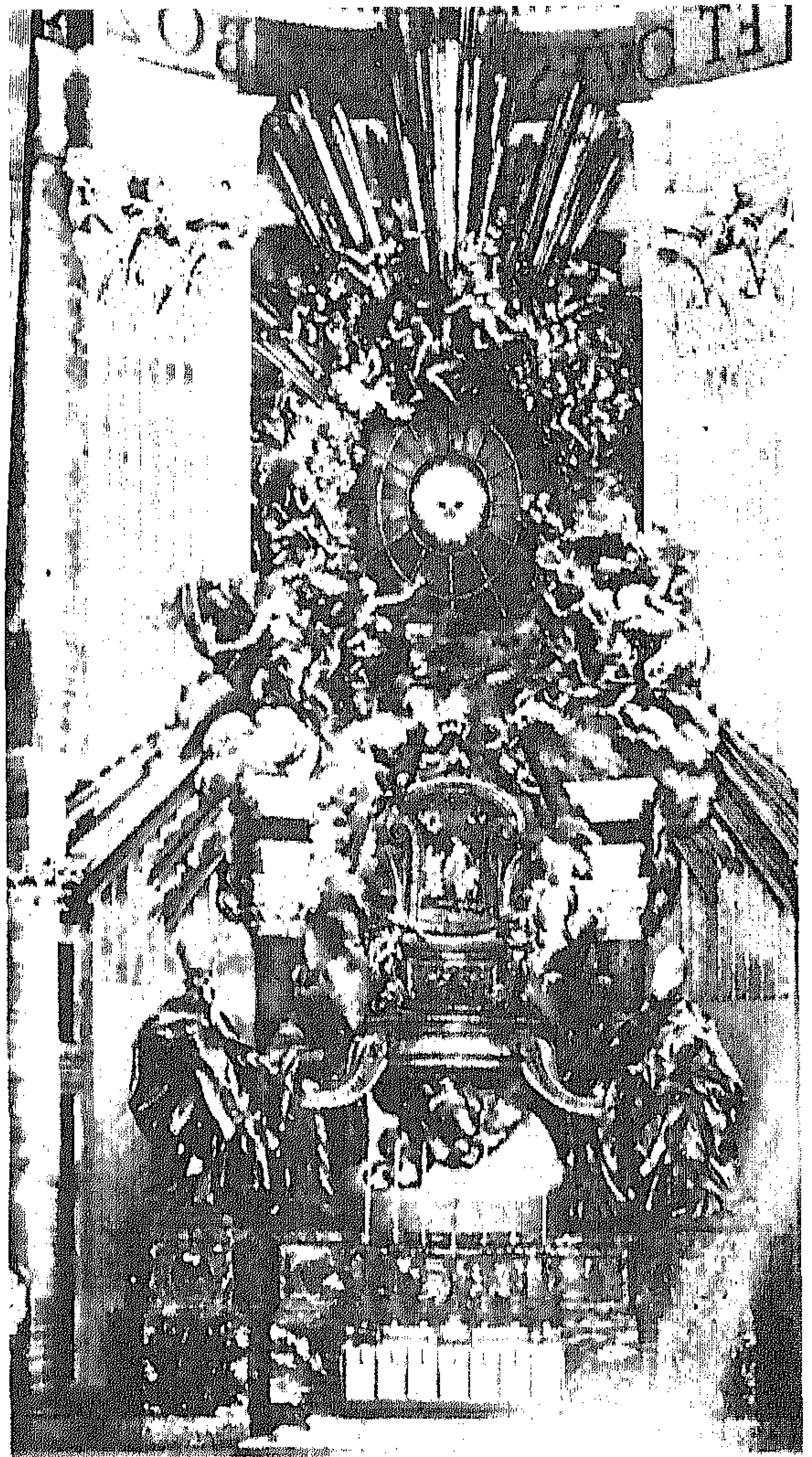


(شكل ١٤١)
لورنزو برنينى . « داوود » تمثال من الرخام ، ١٦٢٣ ، متحف بورجيزى ، روما

(شكل ١٤٢)
لورنزو برنينى . « أبو للو و دافنى » تمثال من الرخام ، ١٦٢٢ – ١٦٢٥ ، متحف بورجيزى ، روما .



(شكل ١٤٤) لورنزو برنيني . « نشوة القديسة تيريز » ١٦٤٥ - ١٦٥٢ ، تمثال من الرخام . كنيسة القديسة ماريا ديلا فيتوريا ، روما .



(شكل ١٤٣) لورنزو برنيني . « عرش من البرنز المذهب » ١٦٥٧- ١٦٦٦ ، كنيسة القديس بطرس ، روما .

على أن النهج الباروكى الذى تميز به يتضح فى أبجح أعماله « نشوة » القديسة تيريز (شكل ١٤٤) الذى أقامه فى الفترة (١٦٤٥ - ١٦٥٢) لكنيسة القديسة ماريا ديلا فيتوريا ونلاحظ فى هـذا العمل الفنى الحركة المسرحية والإثارة الموضح فى شعور القديسة بالنشوة بعد أن لمسها الملاك .

ولقد قام برينينى بأعمال كثيرة لتجميل روما فزخرف أضرحة أوربان الثامن واسكندر السابع بتماثيل خالدة كما قام بنحت تماثيل تصور أربعة أنهر لنافورة ساحة نافونا. ولقد تعدت شهرته إيطاليا فاستدعاه الملك لويس الرابع عشر فى عام ١٦٦٥ لعمل تمثال له .

الفصل الثانى

طراز الباروك فى بلاد الشمال

مقدمة تاريخية :

احتوت بلاد الشمال على منطقتين مختلفتين . الأولى الولايات الجنوبية –وكايت تابعة لاسبانيا واحتفظت بتقاليدها السياسية والدينية كما كانت ميداناً لعدة حروب قبل ان تصير تابعة للنمسا فى عام ١٧١٥ ، والثانية الولايات الشمالية التى اتحدت بعد اعتراف أسبانيا بذلك فى عام ١٦٠٩ ، وكان الدين السائد بها البروتستنى لذلك قل ظهور الفن الدينى بها بينما ازدهرت موضوعات الحياة اليومية .

إقليم الفلمنك (بلجيكا)

فى الوقت الذى شعرت فيه الولايات الجنوبية بنوع من الاستقلال بعد أن ترك فيليب الثانى حكمها لابنته ايزابيلا وزوجها البرت إلا أن البلاد لم تسلم من مشاركة أسبانيا فى حروبها . وقد شجعت العائلة المالكة الفنون وساعدت على ازدهارها . وكانت الموجة الباروكية التى سادت إيطاليا قد امتدت إلى بلاد الشمال فى القرن السابع عشر ، ولم يظهر فى ميادين العمارة والنحت تغيير يذكر عما عرفناه فى إيطاليا ، لذلك ستقتصر دراستنا على فن التصوير الذى ازدهر فى تلك البلاد .

التصوير :

تأثر فن التصوير فى الولايات الجنوبية بالابتكارات التى قام بها المصورون الإيطاليون . وساعد على إزالة الحواجز الفنية بين الشمال والجنوب الفنان العبقرى روبنز الذى كان أبرز مصورى عصره

بول روبنز P . Rubens » (١٥٧٧ – ١٦٤٠)

يعتبر روبنز أهم شخصية فنية فى عصره فى إقليم الفلمنك ولم تقتصر زعامته على فن التصوير فقط بل عمت الفنون كلها .

نشا روبنز فى مدينة أنتورب ، إلا أنه صاحب والده البروتستنتى إلى ألمانيا عندما هرب من اضطهاد الأسبان فى حرب التحرير . وبعد وفاة والده رجعت العائلة إلى أنتورب وكانت سنه عشر سنوات ، واعتنق بعدها المذهب الكاثوليكى .

درس مبادئ فن التصوير مع مصورين محليين ، ڤان نورت وڤان ڤين ، وظهرت براعته ومهارته فى حوالى عام ١٥٩٨ .ولما أراد أن يتعرف على أساليب فنانى إيطاليا العباقرة ذهب إلى روما فى عام ١٦٠٠ ومكث هناك ست سنوات تقريباً تعرف خلالها على أعمال الفنانين « دافنشى » « وكارافجيو» « وكاراتشى » ونافست أعماله فى تلك الفترة أعمال الإيطاليين المعاصرين .

اضطر روبنز إلى الرجوع إلى أنتورب عندما مرضت والدته ،وهناك عُين المصور الخاص « لإيزابيلا » وزوجها الأمير ألبرت كما استخدمته العائلة الحاكمة كمبعوث ديبلوماسى فى مهام خاصة . وأنشأ مرسماً خاصاً به التحق به بعض تلاميذه ، ووهب وقته لإنتاج الكثير من الأعمال الفنية ، فصارت أنتورب مركزاً فنياً هاماً مثلما كانت البندقية فى القرن السابق . وتزوج فى تلك الفترة من « ايزابيلا براندت » التى خلدها فى كثير من لوحاته .

كان روبنز غزير الإنتاج ، بلغ عدد لوحاته الفاً وخمسمائة ، ولقد بدأت شهرته تنتشر عالمياً بعد استقراره فى أنتورب حيث كلف بتصوير بعض الموضوعات الدينية لكتدرائية المدينة . ويتضح تأثره بطراز الباروك الذى ابتدعه فنانو إيطاليا فى لوحتى رفع الصليب (١٦١٠) – « وإنزال المسيح من الصليب » (شكل ١٤٥) (١٦١٢) ، حيث تذكرنا طريقة رسم الأشخاص ذوى العضلات بأعمال « ميكل انجلو » فى مصلى «سستينا» ،وتصاوير قصر فرنيزى التى رسمها « كاراتشى » . كما أن تأثير الضوء المنبعث من خارج اللوحة يذكرنا بأسلوب كارافچيو .

ولما كثر عملاؤه من رجال الكنيسة والحكام ورجال المال ، استعان بعدد كبير من تلاميذه فى هذه الأعمال كان من أشهرهم فان دايك « ودى فوس» . ومن هذه الأعمال اللوحات التى صورها على جدران قصر لوكسمبورج بفرنسا فى الفترة (١٦٢٢ – ١٦٢٥) لتخليد « ماريادى ميدتشى » (شكل ١٤٦) أرملة هنرى الرابع ووالده لويس الثالث عشر .

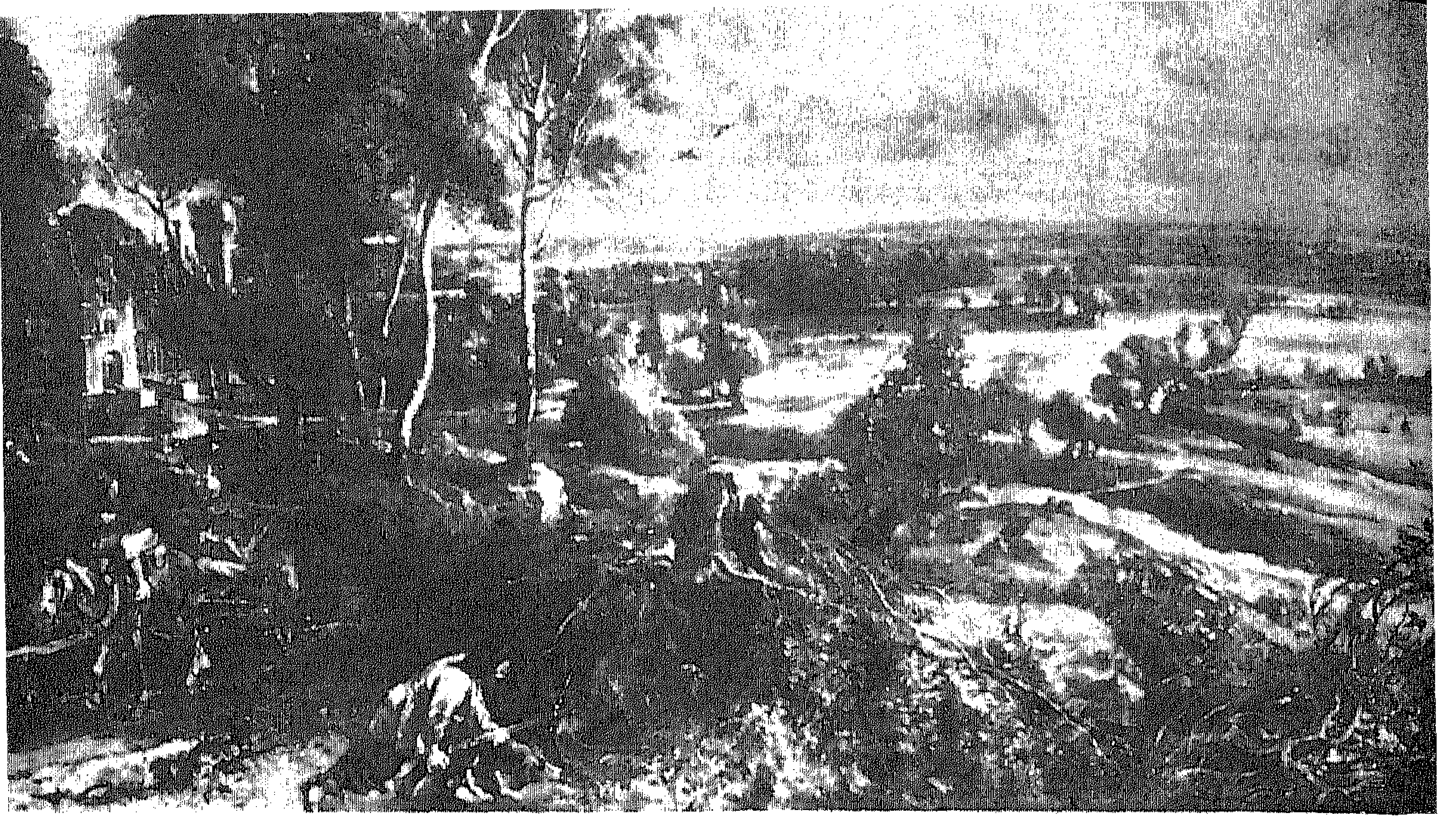
(شكل ١٤٥) بيتر بول روبنز .
« إنزال المسيح » ١٦١٢ ، كتدرائية أنتورب .



(شكل ١٤٦) بيتر بول روبنز .
« تتويج ماريا ميدتشي » ١٦٢٢ ،
متحف اللوفر .



(شكل ١٤٧) بيتر بول روبنز .
هيلين فورمنت وابنها ١٦٣٧ .



(شكل ١٤٨) بيتر بول روبنز ، « منظر خلوى يحيط بقصر ستين » لوحة زيتية ، ١٦٣٦ ، المتحف الأهلى . لندن .

أتاحت المهام السياسية التى قام بها الفنان فى عام ١٦٢٨ فى أسبانيا ، الفرصة للإطلاع على اتجاهات مصورى أسبانيا . ونلاحظ أنه تناول فى تلك الفترة موضوعات أسطورية نفذها بأسلوب يختلف عن أسلوب لوحاته السابقة ، ويتضح ذلك فى اللوحات التى صورها للملك فيليب الرابع مثل لوحة « حكم باريس » [**لوحة ملونة رقم ١٥**] التى رسمها عام ١٦٣٨ . ومن الواضح أنه تأثر بلوحات تيسيانو التى رآها فى متحف البرادو بمدريد .

تعددت زوجات روبنز ، فبعد وفاة زوجته الأولى فى عام ١٦٢٦ م . تزوج هيلين الصبية ذات الست عشرة سنة ، وكان عمره ثلاثة وخمسين عاماً . واتخذ من زوجاته وأولاده نماذج لكثير من لوحاته (شكل ١٤٧) . ولقد اهتم روبنز – برسم المناظر الطبيعية بعد أن اشترى قصراً فى الريف ليقيم به مع زوجته . فعكف على رسم المناظر المحيطة بالقصر ، مثل لوحة منظر خلاء بجوار قصر ستين (شكل ١٤٨) ١٦٣٦ . كما رسم عدد من الموضوعات التى تظهر فى خلفيات طبيعية .

وبالإضافة إلى مهارته السابقة أظهر روبنز براعة فى اللوحات الشخصية التى رسمها للملك شارل ملك إنجلترا عندما ذهب إلى هناك عام ١٦٢٩ ، كما رسم عدداً كبيراً من الشخصيات البارزة هناك ، ولقد برع روبنز فى التعبير عن بشرة الجسم الإنسانى فى لوحاته . ومن بين المعاونين الذين تمرنوا فى مرسمه لم ينل هذه الشهرة العالمية التى وصل إليها روبنز إلا واحد فقط من تلاميذه هو المصور ڤان دايك .

ڤان دايك « Van Dyck » (١٥٩٩ – ١٦٤١)

نشأ ڤان دايك فى مدينة أنتورب وتعلم التصوير على يد المصور ڤان بالين واشتهر بسرعة ، وقبل أن يبلغ العشرين صار المساعد الأول « لروبنز » وعمل معه لفترة (١٦١٧ – ١٦٢١). ثم تنقل فى الفترة ١٦٢١ – ١٦٢٦ بين المدن الإيطالية جنوا – البندقية – روما – باليرمو لعمل صور شخصية لكبار القوم.وكان معجباً بأسلوب كارافاچيو .

بزغت شهرة هذا المصور فى التصوير الشخصى عندما ذهب إلى إنجلترا وعين المصور الخاص لبلاط الملك شارل الأول فى الفترة ١٦٣٢ – ١٦٤١ . ويتضح طراز الباروك فى لوحة « الملك شارل يصطاد » (شكل ١٤٩) التى رسمها عام ١٦٣٥ . فنلاحظ وقفة الحاكم الارستقراطية فى خلفية طبيعة مليئة بالحركة ، كما توضح هذه الصورة تأثره بالمصور « كارافاچو » فى الضوء المنبعث من خارج اللوحة . إلا أن شهرته أصابها الخمول فى نهاية القرن حيث أنفق أمواله وانغمس فى الملذات .

إقليم هولندا

بالرغم من الصراع الذى كان قائماً بين الأحزاب السياسية . الجمهوريين الذين يمثلون الطبقة المتوسطة ، والديمقراطيين الذين يمثلون الجيش والحكام ، ظهر انتعاش فى التجارة فى المدن الهولندية . واتصلت هولندا بأنحاء العالم عن طريق سفنها التجارية ، ولما كانت هولندا منطقة تجار ومزارعين ورجال بحر نجد أن الفن لم يحظ برعاية الدولة والكنيسة كما كان الحال فى الحكم الكاثوليكى .

التصوير :

شجعت الطبقة المتوسطة التى نعمت برخاء اقتصادى الفنانين على تقديم لوحات من الحياة العادية إلى جانب اللوحات الدينية . ولأول مرة فى تاريخ الفنون نجد أن الأشخاص العاديين هم الذين يكلفون المصورين بالأعمال الفنية . وبالرغم من أن هذا التقليد قد بدأ من قبل فى هولندا ، إلا أن مفعوله ظهر منذ عام ١٦٠٠ م . فبدأ المصورون يرسمون لوحاتهم وينتظرون المشترى بدلا من تنفيذ أعمال يكلفون بها .

وبعكس إقليم الفلمنك التى بزغ فن التصوير فيه من مركز واحد هو أنتورب ، نجد أن الولايات الشمالية تزدهر فيها عدة مراكز فنية فى « هارلم » « أوترخت » ، « ليون » « ودلفت »



(شكل ١٤٩) "فان دايك ،
« الملك شارل الأول فى الصيد » .
١٦٣٥ ، متحف اللوفر . باريس .



(شكل ١٥٠) فان هونتموست ،
« عبادة الرعاة » ، ١٦٢٤ . متحف
الافتزى . فلورنس .

وبالرغم من أن أوترخت لم تخرج عدداً كبيراً من المصورين ، إلا أننا نلاحظ أنهم نقلوا أسلوب كارافچيو إلى المراكز الأخرى . ولقد زار روما بعض مصورى أوترخت الكاثوليكية ، وشاهدوا أعمال كارافاچيو ذات الموضوعات المسيحية الواقعية ، وأعجبوا بها أكثر من إعجابهم بموضوعات « كاراتشى » الكلاسكية . ويتضح ذلك فى أعمال المصوران تربروجين « Terbrughen » (١٥٨٨ – ١٦٢٩) وفان هونتهرست « Van hontherst » (١٥٩٠ – ١٦٥٦) الذى مارس أساليب كارافاچيو فى استخدام الضوء بعد عودته من روما فى عام ١٦٢٤ . ويتضح ذلك فى لوحة « عبادة الرعاة » (شكل ١٥٠) .

ولقد انتقل طراز الباروك إلى هولاندا عن طريق بلجيكا من خلال أعمال « روبنز » وبدأ الاهتمام برسم الصور الشخصية مفردة أو فى مجموعات ، ومن أبرز مصورى هذه الموضوعات المصور هالس

« فرانز هالس F . Hals » (١٥٨٠ / ٨٥ – ١٦٦٦

ولد هذا الفنان فى أنتورب ، وتعلم التصوير على يد المصور « ڤان فاندر » . ويتضح من أعماله القليلة الأولى أنه كان متأثراً بالمصور « روبنز » ، إلا أن أسلوبه المنفرد يتضح فى الأعمال التى قام بها بعد انتقاله إلى هارلم . ومن أجمل لوحاته « الجندى المرح » (شكل ١٥١) التى رسمها عام ١٦٢٧ حيث تجمع هذه اللوحة بين أسلوب « روبنز» القوى مع التركيز على اللحظة المسرحية المستمدة من أسلوب كاراڤاچيو المعروف فى أوترخت .

تخصص فرانز فى رسم لوحات شخصية لمجموعات من : الحكام ، زوجاتهم ، الجنود . . إلخ . وبرع فى تسجيل المشاعر الداخلية لكل منهم ويظهر ذلك فى لوحة مديرات منزل الرجل العجوز (شكل ١٥٢) التى رسمها عام ١٦٦٤ . وهو المكان الذى أمضى آخر أيام حياته فيه . ونلاحظ أن المصور فى هذه اللوحة وضّح فى وجوه هؤلاء المشرفات شعور الشخص الذى رأى مأسى كثيرة داخل المؤسسة فانتابه إحساس باللا مبلاة .

تكون لفرانز فى هارلم أتباع كثيرون جعلوا من بلدهم أحد مراكز التصوير الهامة فى هولاندا ومن أشهرهم أخوه « ديرك » والفنان بيتركودى وعلينا أن نبحث الآن فى أعمال فنانى المراكز الأخرى .

« رمبرانت Rembrant Van Rijn » (١٦٠٦ – ١٦٦٩)

يعتبر هذا الفنان أعظم فنانى هولندا ، ولد فى لايدن وتعلم التصوير على يد المصور « فان سوارنبرج ، وبعد أن ذهب إلى امستردام لفترة قصيرة (١٦٢٤ – ١٦٢٥) التحق فيها بمرسم المصور لاستمان ، إلا أنه رجع ثانية إلى مسقط رأسه .

وتلوح فى الأعمال الأولى التى رسمها رمبرانت فى ليدن (١٦٢٥ – ١٦٣١) ، إنه كان متأثراً بالفنان كارافاجيو بطريق غير مباشر ، حيث يبدو بها ضوء شديد ينبعث من إحدى جوانب اللوحة . ويوضح ذلك لوحة « توبى وأنّا مع الصغير » (شكل ١٥٣) وهى إحدى موضوعات العهد القديم التى فضلها المصور لفترة طويلة . ولقد عالج رمبرانت هذه الموضوعات بالروح المسيحية التى سيطرت على كارافاجيو فى معالجته لهذا النوع من الموضوعات . وتعرض هذه اللوحة الموضوع داخل حجرة فى خلفية ريفية واقعيه تتميز بقوة الملاحظة الشديدة .



(شكل ١٥١) فرانز هالس ، « الجندى المرح » ، ١٦٢٧ ، متحف ريكس ، أمستردام .



(شكل ١٥٣) ومبرانت ، « توبيت وآنا والعنزة » ، ١٦٢٦ ، مجموعة خاصة ، باريس .

(شكل ١٥٢) فرانز هالس ، « مديرات منزل الرجل العجوز فى هارلم » ، ١٦٦٤ ، متحف فرانز هالس ، هارلم.

استقر رمبرانت فى امستردام فى عام ١٥٣٢ وتزوج من « ساسكياً » فى عام ١٥٣٤ ورسمها فى عدة لوحات أشهرها « أنا وساسكياً » ، وذاع صيته كأبرع مصور للوحة الشخصية فى أمستردام وانهالت عليه الطلبات وصار ثرياً .

إلا أن رمبرنت يبدأ فى تطوير أسلوبه بعد ذلك ، ويبدو طراز الباروك واضحاً فى لوحة « فقأ عين سامسون » (شكل ١٥٤) ١٣٣٦ المستوحاة من العهد القديم . حيث نلاحظ أن الضوء المتدفق من جهة واحدة على المجموعة المغلفة فى ظلام الخيمة هو أسلوب مسرحى انفعالى .

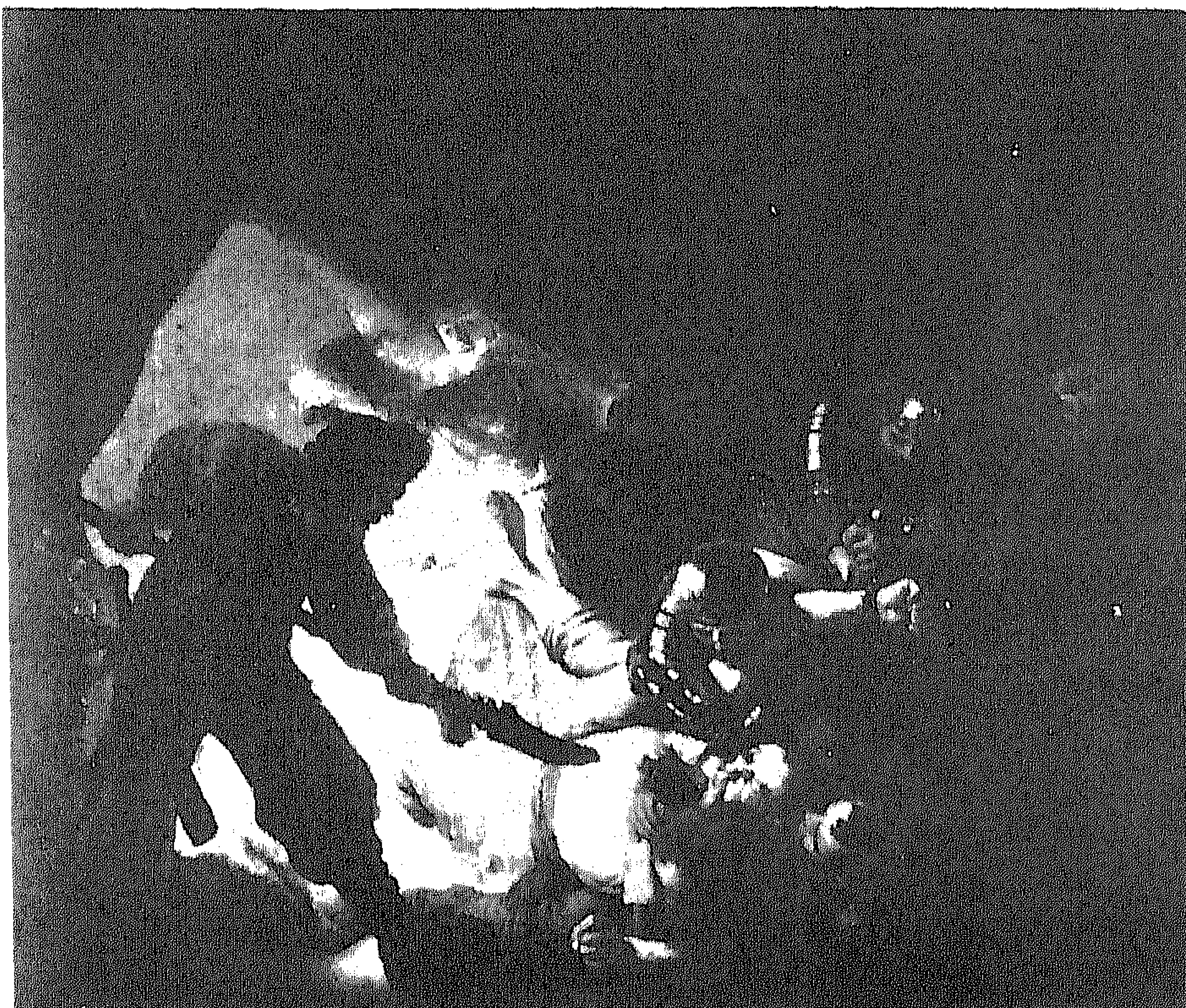
كانت تلك اللوحات المتقنة الواقعية من أسباب تحقيقه لمزيد من الشهرة . إلا أن المصائب بدأت تقترب منه بعد رسمه لوحته الشهيرة « دورية الليل » (شكل ١٥٥) التى رسمها عام ١٦٤٢ . حيث تصور هذه اللوحة بعض الضباط والجنود ، أخفت الظلال أشكال معظمهم . ولما كان المرسومون فى هذه اللوحة قد اشتركوا جميعاً فى دفع ثمنها ، لذلك نجد أنهم ثاروا عليه واتهموه بالفشل . وأدى ذلك إلى خرابه فى عام ١٦٥٦ . على أننا يمكن أن نقرر أن الظلال الموجودة باللوحة لا تحجب كلية أشكال الأشخاص ، ولا تخفى الظلال الخافتة حركة الجنود التى توحى بموضوع الصورة .

ولم يمنع هذا التشهير من تكليف بعض الشخصيات المهمة فى امستردام له للقيام ببعض الأعمال فى الخمسينيات والستينيات ، وترجع إلى تلك الفترة الأخيرة من حياته بعض الأعمال الدينية التى اختيار لأبطالها بعض الشخصيات اليهودية الفقيرة مثل لوحة « عودة الأبن الضال » التى رسمها عام ١٦٦٥ ولوحة « عشاء عند اماوس » (شكل ١٥٦) التى رسمها عام ١٦٦٨ .

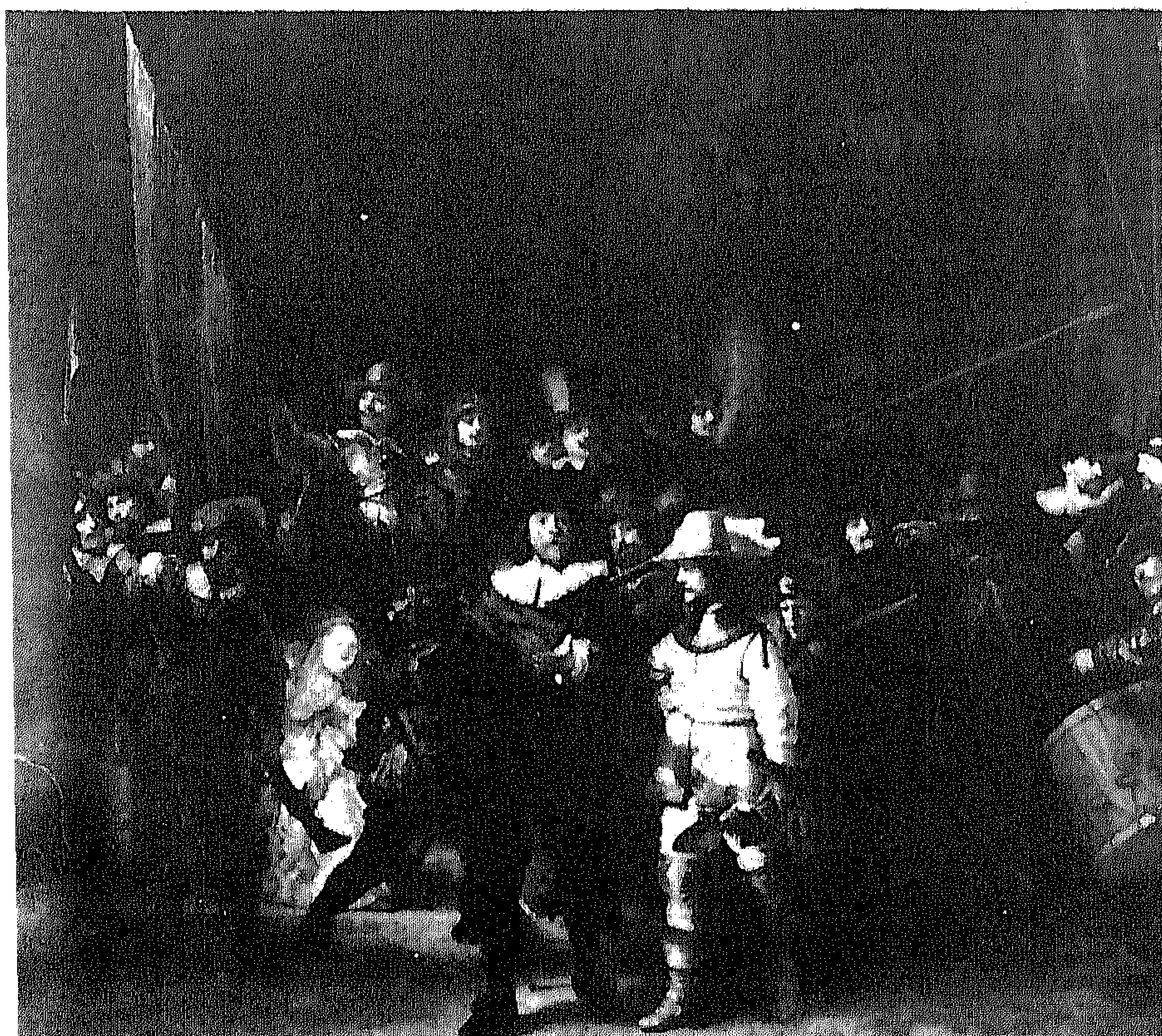
وضح رمبرانت فى هذه اللوحات الجمال الروحانى واختار أبطاله من بين الشخصيات الشعبية بدلا من النبلاء الذين كانوا يظهرون فى الموضوعات المماثلة فى عصر النهضة . ويظهر أسلوبه الباروك فى الضوء الذى ينبعث من مكان خارج اللوحة ليغمر الأشخاص والمنضدة المجتمعين حولها .

صور رمبرانت نفسه فى لوحات متعددة (١٦٢٦ – ١٦٦٨) تعبر عن شخصيته فى مراحل حياته الطويلة ، وقد استطاع فى هذه اللوحات أن يعبر عن التغيرات التى مرت بحياته مجربا فى لايدن ، منفعلا مسرحياً فى عام ١٦٣٠ ، صريحاً ومحللا لنفسه فى آخر حياته ، ويتضح ذلك فى لوحة « صورتى » التى رسمها عام ١٦٦٠ (شكل ١٥٧) .

كان رمبراند غزيراً فى فنه ، وصل عدد لوحاته إلى ٦٥٠ ، بالإضافة إلى ٣٠٠ حفر و ١٥٠٠



(شكل ١٥٤)
رمبرانت ، « تعمية سمسون » ، ١٦٣٦ ، معهد ستيدل ، فرانكفورت .



(شكل ١٥٥)
رمبرانت ، « دورية الليل » ، ١٦٤٢ ، متحف ريكس أمستردام .
كويزوولوبران ،



(شكل ١٥٧) رمبرانت ، « صورتى » ، ١٦٦٠ ، مجموعة خاصة فى كينوود ، لندن .

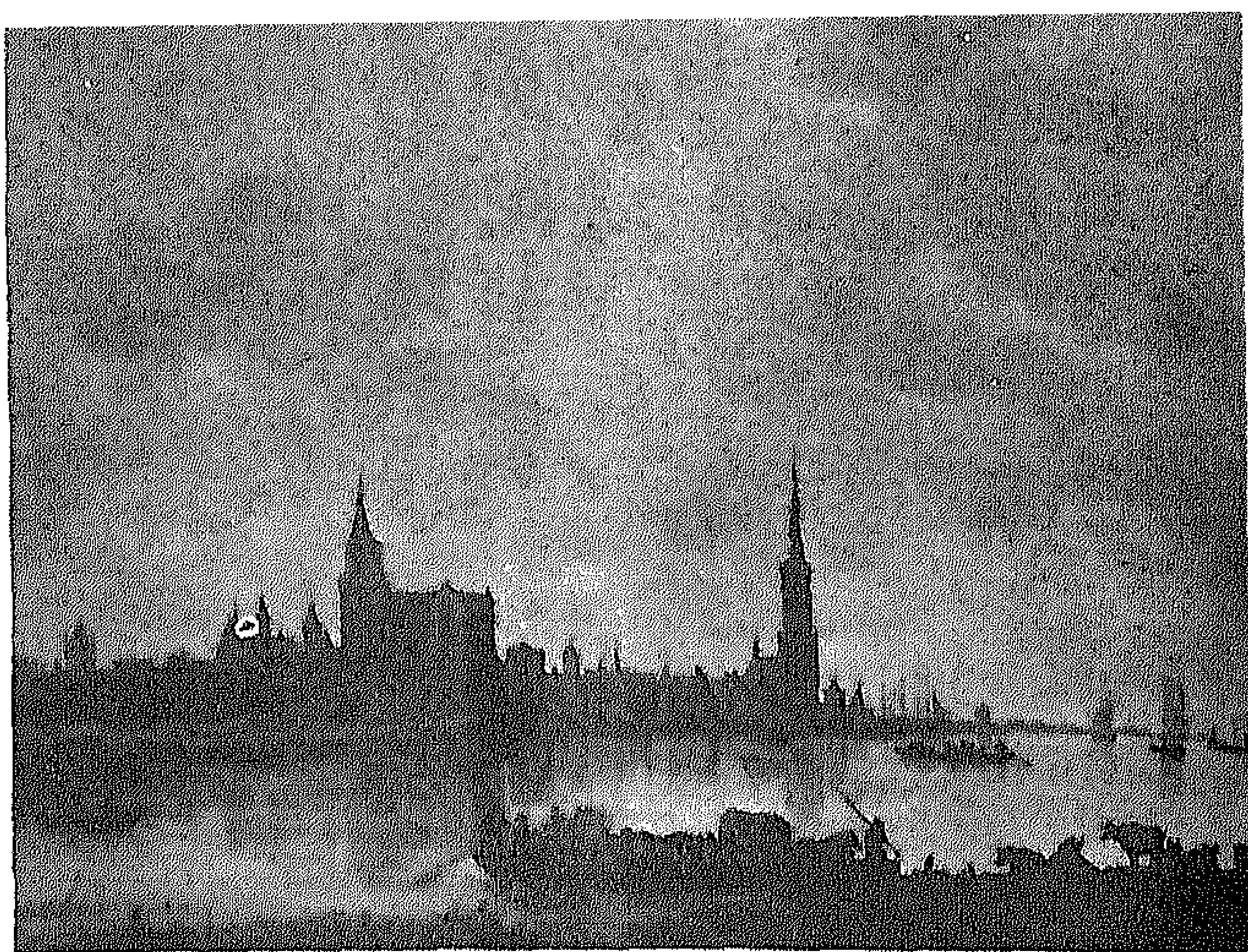


(شكل ١٥٦) رمبرانت ، « عشاء عند إيماوس » ، ١٦٦٨ ، رسم خطى للوحة موجودة فى باريس .

رسم ، وتميزت لوحاته بلون أصفر قاتم خاص به . ولقد أثر على كثير من مصورى هولندا ، فمن هارلم تأثر به فان أوستيد تربرخ « Terborch » ومن لايدن « جيراردو Girardou الذى أثر بدوره على « جان ستين » « Jan STeen » ومن دلفت « فابريتوس » « Fabritus » أستاذ المصور الشهير « فيرمير » وكذلك تأثر به دى هوخ « De Hooch »

ولم يقبل الهولنديون كثيراً على إقتناء اللوحات الدينية التى كان يصورها رمبرانت . وكان أغلب المقتنين فى هولندا يفضلون موضوعات مفهومة مستمدة من واقع حياتهم كالمناظر الطبيعية ، والطبيعة الجامدة ، ومن حياة الأسرة اليومية . لذلك تميز التصوير الهولندى فى تلك الفترة بفنانين ذوى ميول متعددة .

ومن أشهر مصورو الطبيعة جان فان جوين «J.V.Goen» (١٥٩٦ — ١٦٥٦ (شكل ١٥٨) ، « هوبيما «Hobema» (١٦٢٨ - ١٧٠٩) (شكل ١٥٩) ورويزديل «Ruisdale» (١٦٠٠ - ١٦٧٠) الذى استخدم الظلال والضوء فى لوحاته (شكل ١٦٠) وغيرهم أما مصورو الطبيعة الجامدة فاشتهر منهم وليام كلايز « W . Claesz » (شكل ١٦١ وجان دافيدز « J . Dairds » .



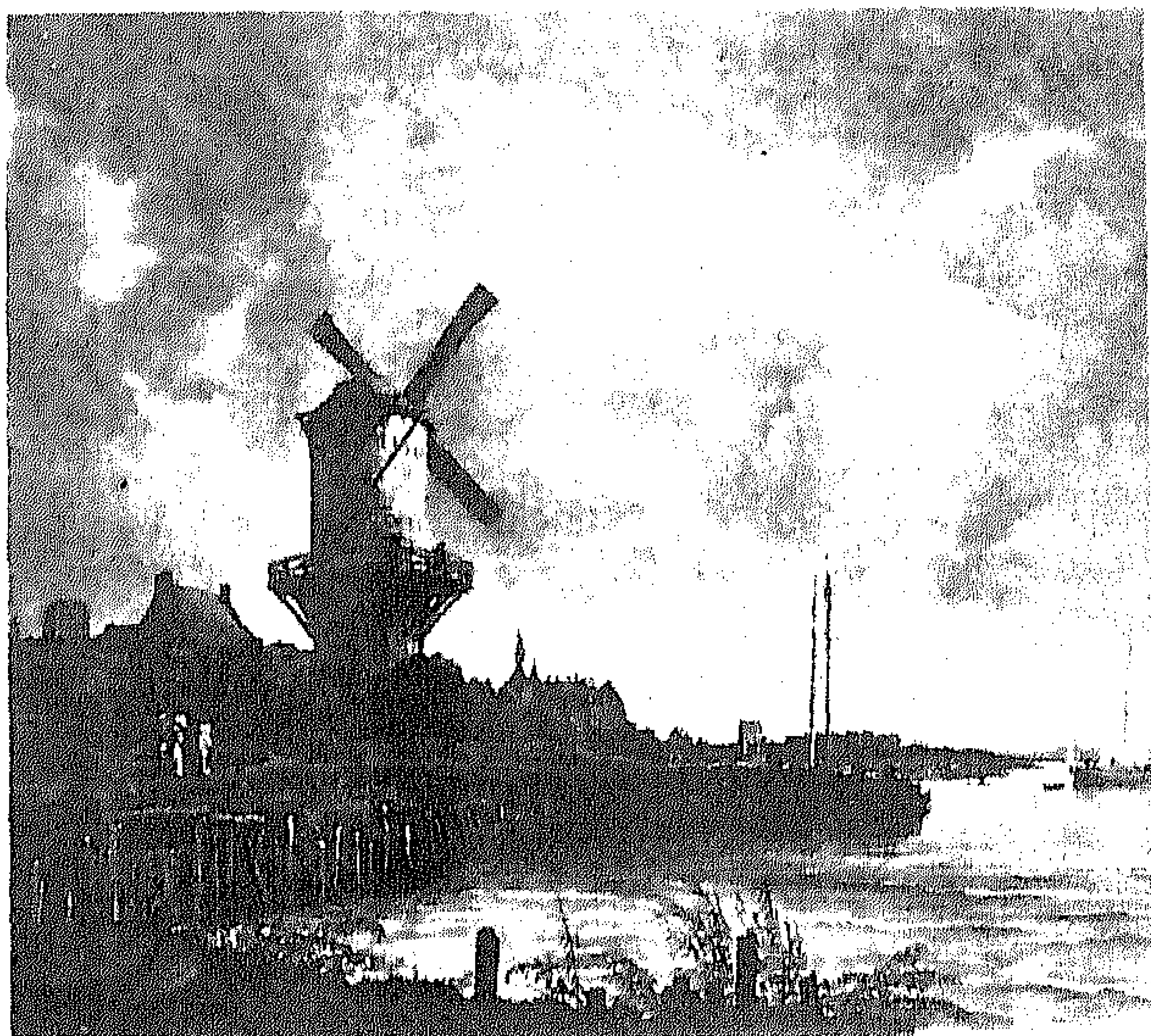
(شكل ١٥٨) جان فان جوين ،
« منظر خلوى » ، المتحف الأهلى
بلندن .



(شكل ١٥٩) هوبيما ، « الطريق »



(شكل ١٦١) وليم كلايز ، « طبيعة
صامتة » ، ١٦٣٤ ، متحف
بويمانز ، روتردام .



(شكل ١٦٠) رويزديل ، منظر
خلوى به طاحونة .

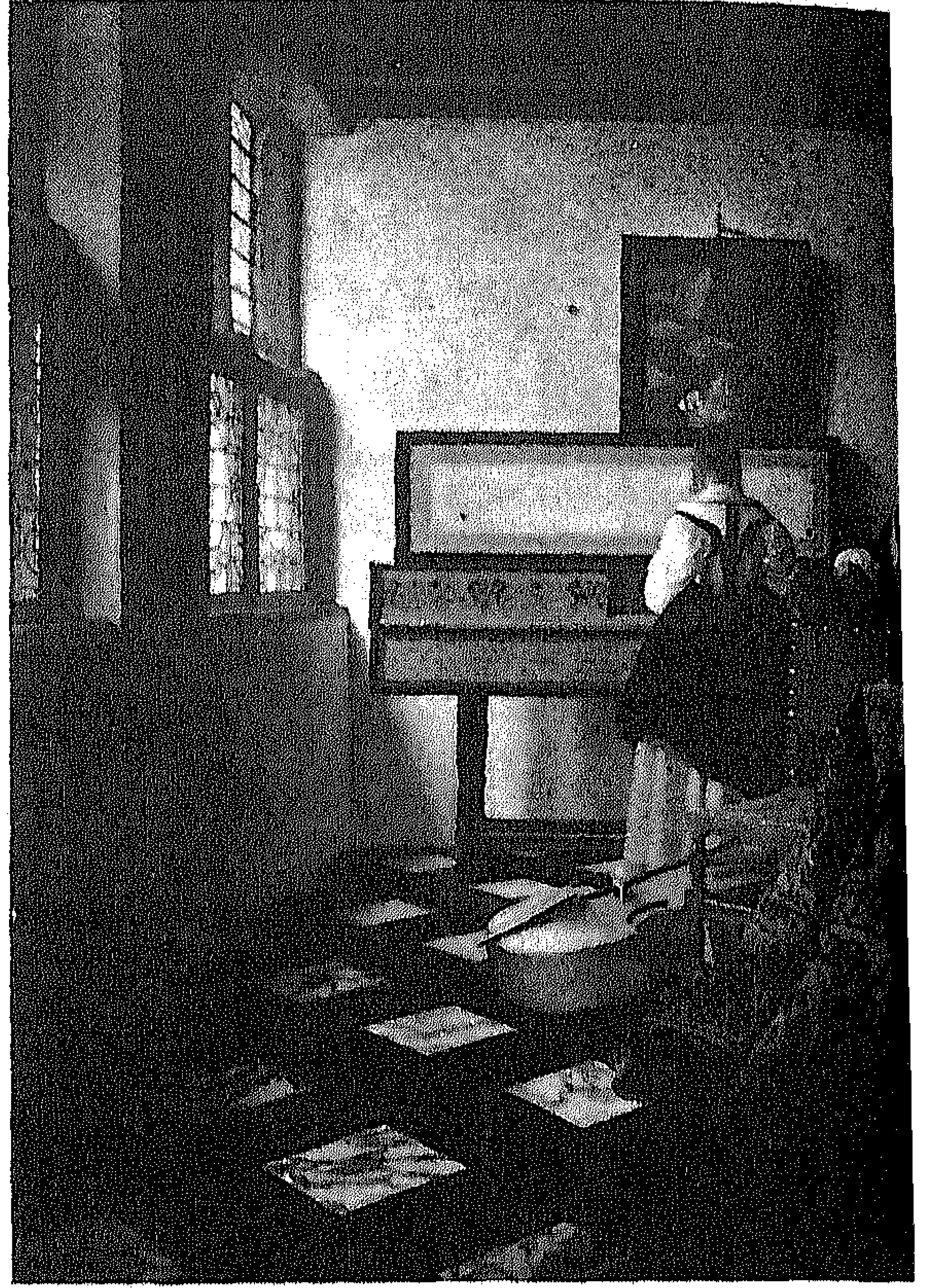


(شكل ١٦٢) جان ستين ، « العالم بالمقلوب » ،
١٦٦٣ ، متحف الفنون التاريخية ، ميونيخ .

ومن أبرع المصورين الذين اهتموا بتصوير الحياة اليومية الأسرية فى هولندا المصور « **جان ستين** » ، قام برسم عدد كبير من اللوحات استعرض فيها الحياة اليومية داخل البيت وخارجه ، كما صور الحانات الهولندية وما تحتويه من مظاهر المرح والنشاط . ويتضح ذلك فى لوحة (العالم بالمقلوب) (شكل ١٦٢) التى رسمها عام (١٦٦٣) على أن أشهر مصورى الحياه داخل المنزل كان المصور « فيرمير » .

يوهان فيرمير «J.Vermeev» (١٦٣٢ - ١٦٧٥)

نشأ فى دلفت وتلقى فيها فن التصوير على يد المصور فابريتيوس، جمع فى أسلوبه بين تقاليد فن التصوير الهولندى الذى يهتم بتسجيل الأشياء الدقيقة ، وبين المزايا التعبيرية التى نقلتها مدرسة اوترخت عن فن مصورى روما . ونلاحظ فى لوحاته التى تعرض لحياة الأسرة داخل المنزل ، أنه يكتفى فيها برسم شخص أو شخصين فى حالة سكون يتبادلان الإشارة بنظرة



(شكل ١٦٣) جان فرمير ، « درس الموسيقى » ، ١٦٦٢ ، قصر وندسور . لندن .



(شكل ١٦٤) بيتر دى هوخ ، « فناء منزل هولندى » ، ١٦٥٨ ، المتحف الأهلى ، لندن .

هادئة معبرة . كما تنعكس أشعة الضوء غالباً من نافذة فى إحدى جدران الحجرة . ويتضح ذلك فى أجمل لوحاته : لاعبة الجيتار ، المصور فى مرسمه ، الخطاب او ودرس الموسيقى (شكل ١٦٣) . إلا أن هذا الأسلوب التصويرى الهولندى ينتهى فى نهاية القرن السابع عشر بتأثير الفن الفرنسى والإنجليزى .

« بيتر دى هوخ Pieter De Hooch » ١٦٢٩ – ١٦٨٤

نشأ فى مدينة دلفت وأشتهر برسم موضوعات بها تكوينات معمارية من الداخل أو من الخارج .

واستخدم الضوء المنبعث من جانب اللوحه أحسن استخدام ، ويتضح ذلك فى لوحه فناء فى منزل هولندى (شكل ١٦٤) التى رسمها عام ١٦٥٨ .

الفصل الثالث

طراز الباروك فى اسبانيا

مقدمة تاريخية :

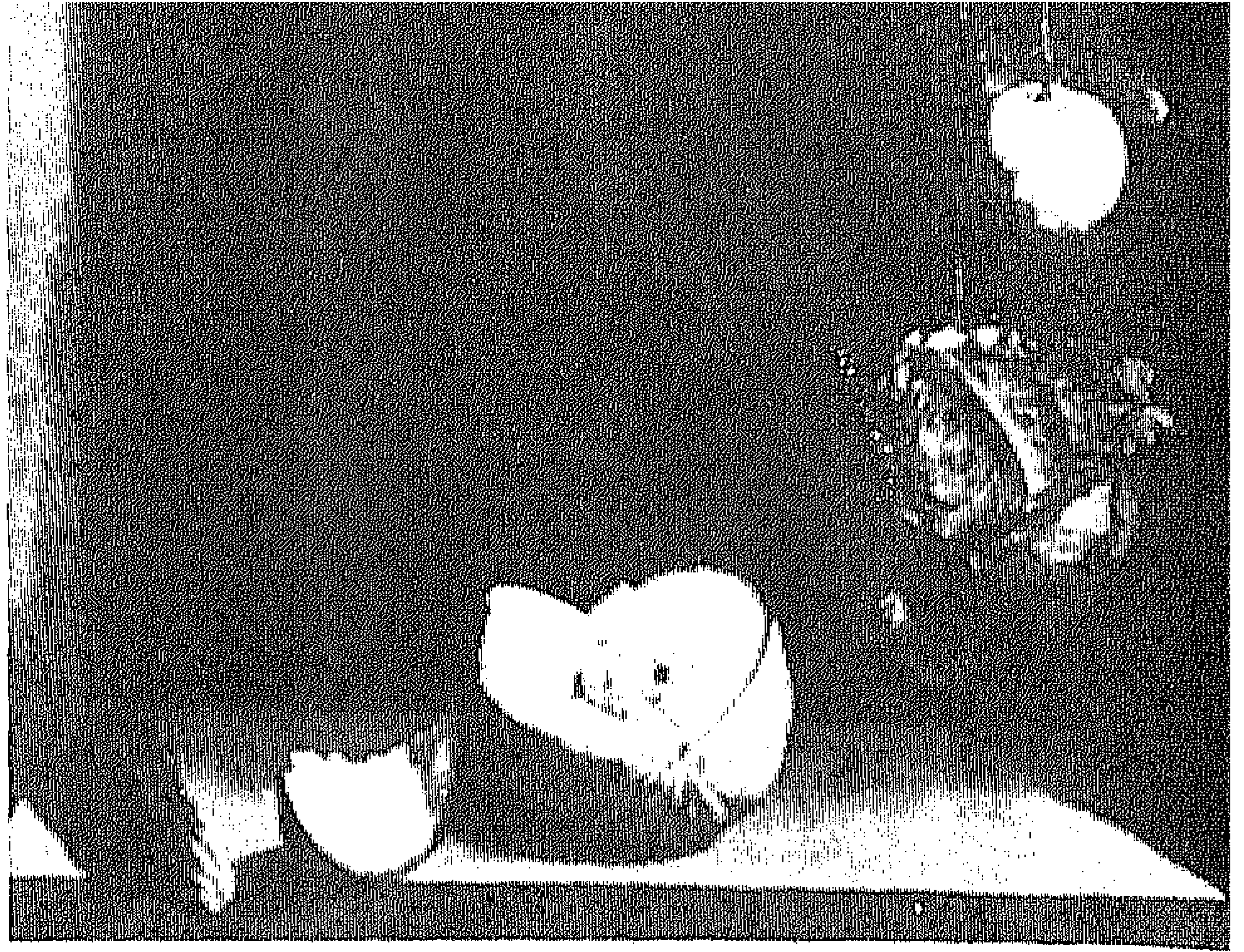
وصلت اسبانيا فى القرن السادس عشر إلى كونها قوة عظيمة سياسيًّا وإقتصاديًّا ، وظهر بها رجال عظام فى الدين والآداب ، إلا أن إنتاجها فى الفن لم يصل إلى هذه الدرجة ، ولم يساعد وجود الفنان اليونانى الجريكو أشهر مصورى النزعة النهجية بينهم على ظهور فنانين محليين .

إلا أن القوة الدافعة جاءت من الخارج عن طريق فن كارافجيو - والفن الفلمنكى ، وبدأ الأسبان يعالجون موضوعاتهم بطريقتهم الخاصة التى استمدوها من هذه المصادر ، ومن أبرز المصورين فى أوائل القرن السابع عشر المصور **سانشى كوتان** «Sanchez Coton» (١٥٦١ - ١٦٢٧) الذى اشتهر بمعالجته لموضوعات الطبيعة الجامدة التى انتشرت فى بلاد الشمال (شكل ١٦٥) . ونلاحظ فى أعماله تأثره بكارافجيو فى استخدام الضوء والظل .

ظهر طراز الباروك فى أسبانيا فى آخر القرن السادس عشر - وازدهر بصفة خاصة فى مدينة اشبيلية على يد المصور زورباران وفيلاسكويس وساهم فى نشأة الأسلوب التعبيرى المصوران **دى ريبيرا** «De Ribera» (١٥٥٨ - ١٦٦٠) **وفرنشسكو هريرا** «F.Flerreva» الاب (١٥٩٠ - ١٦٥٦) .

« فرنشسكو زورباران F.Zovbaran » (١٦٩٨ - ١٦٦٤) :

نشأ فى مدينة أشبيله وتعلم التصوير على يد المصور دياز وربما أيضاً المصور روبلس . وفى عام ١٦٢٩ شارك هريرا فى تنفيذ بعض أعماله ، وصار أبرز فنانى أسبانيا فى تلك الفترة . اشتهر بتصوير الرهبان وبعمل لوحات كثيرة لكنائس أسبانيا وأديرتها ومن أجملها لوحة رسمها عام ١٦٣١ . فى كنيسة القديس توماس باشبيلية تصور « القديس سيرابيوم » (شكل ١٦٦) كما رسم لوحة عظيمة للقديس فرانسيس عام ١٦٤٠ . وتزخر هذه اللوحات بأضواء قوية مسلطة من خارج اللوحة تنعكس على الأشخاص المرسومين فى خلفية مظلمة . ونلاحظ أن زوربران قد اتجه فى بعض الحالات إلى رسم لوحات من الطبيعة الجامدة .



(شكل ١٦٥) سانشيس كوتان ، « طبيعة صامتة » ، ١٦٠٢ ، متحف مدينة جرانادا .



(شكل ١٦٦) فرانشيسكو دى زرباران ، « القديس سيرابيوم » ، ١٦٢٨ ، مجموعة خاصة بمدينة جوبلتيكت ، أمريكا .

« دييجو فيلا سكويس D.Velasques » (١٥٩٩ - ١٦٦٠)

كان فيلاسكويس من المصورين الذين عاصروا زورباران واتخذوا أسلوب كارا فيجيو نموزجاً لأعمالهم . نشأ فى مدينة أشبيلية وتتلمذ على يد هريرا الأب ثم انتقل إلى مرسم المصور الإيطالى فرنشسكو بانشيكو الذى تزوج بابنته ، ويتضح فى أعماله الأولى أنه كان يفضل الموضوعات اليومية والطبيعية الجامدة أكثر من الموضوعات اليومية .

وتوضح لوحة « حامل المياه » (شكل ١٦٧) التى رسمها عام ١٦٢٣ وعمره لا يزيد عن عشرين عـاماً ، على أن نبوغه ظهر فى سن مبكرة . حيث تمكن بمهارته من التعبير عن شخصية العامل الفقير الذى يتعكس عليه الضوء الكارافجسكى . .

انتقل فلاسكويس إلى مدريد فى عام ١٦٢٣ واستقر فى المدينة بعدما عينه الملك فيليب الرابع مصوراً خاصًّا به ، وأمضى بقية حياته فيها يرسم غالباً صور لشخصيات العائلة المالكة ، ونلاحظ فى أعماله الأولى التى رسمها فى مدريد ، الفاصل الواضح بين الضوء والظل الذى استمده من كارافاجيو ، كما نلاحظ الخط الخارجى الواضح الذى اشتهرت به مدينة اشبيلية .

إلا أن أسلوبه يتغير بعد ذلك تبعاً للصلات الوطيدة التى كونها مع المصور « روبنز » مبعوث بلاده إلى ملك أسبانيا فى عام ١٦٢٨ . وربما وجه فنان الشمال نظر المصور الأسبانى إلى دراسة أسلوب « تيسيانو » فى اللوحات الموجودة فى مجموعة الملك شارل الخامس . كما نصحه بزيارة إيطاليا ، فذهب إليها فى عام ١٦٢٩ وتنقل بين البندقية وفيرارا وروما ، ورسم بعد عودته عدة لوحات شخصية للملك فيليب وعائلته تدل على براعة فى التصوير . ومن أشهر هذه الأعمال لوحة « الملك فيليب الرابع فى الصيد » ١٦٣٤ (شكل ١٦٨) ولوحة أمرأة مع مروحتها » « ١٦٣٤ » .

أرسل الملك فيليب الفنان « فيلاسكويس » إلى روما ليعمل صورة شخصية للبابا اينوسنت العاشر فى عام ١٦٤٩م . واستقر الفنان هناك حتى عام ١٦٥١ ورسم أثناء إقامته هناك لوحة « فيلاميدتشى » . ويظهر استخدامه للضوء فى تلك الفترة ، المرحلة التحضيرية للمدرسة التأثيرية .

ولما قرر الملك فيليب الرابع الزواج من مارى تيريز النمساوية عينه حاكماً للقصر فى عام ١٦٥٢ ورسم لها لوحة وهى صغيرة كما رسم لها عدة لوحات فى مراحل مختلفة من عمرها .

على أن أسلوبه الناضج وعبقريته يتضحان فى لوحة وصيفات الشرف (شكل ١٦٩) التى رسمها عام ١٦٥٦ وتعرض هذه اللوحة الأميرة « مرجريتا » تتوسط مجموعة من وصيفاتها ، ويظهر الفنان فى الجهة اليسرى ممسكاً أدواته أمام اللوحة .

ومن مصورى أسبانيا المشهورين فى القرن السابع عشر الفنان موريللو (١٦١٨ - ١٦٨٢) وتأثر بلوحات روبنز وفان دايك الموجودة فى القصر الملكى ، إلا أنه اهتم فى أعماله برسم موضوعات للأطفال وللقديسين ، وأوضح فيها الجرأة فى الحالة الأولى ، والروحانية المقدسة فى الحالة الثانية (شكل ١٧٠)



(شكل ١٦٧) ديبجو فيلاسكونس « حامل المياه بمدينة أشبيلية » ، ١٦١٩ ، متحف ويلبمتون ، لندن .

(شكل ١٦٨) ديبجوفيلاسكوس ، « الملك فيليب الرابع فى الصيد » ، ١٦٣٤ .



(شكل ١٦٩) دييجو فيلاسكوس ، « وصيفات الشرف » ، ١٦٥٦ ، متحف برادو ، مدريد .



(شكل ١٧٠) موريو ، « العذراء وطفلها » .

الفصل الرابع

طراز الباروك فى فرنسا

مقدمة تاريخية :

تمكنت ماري ميدتشى بعد وفاة هنرى الرابع ملك فرنسا عام ١٦١٠ من المحافظة على قوة المملكة للفترة (١٦١٠ - ١٦١٧) بصفتها وصية على عرش ابنها لويس الثالث عشر ١٦١٠ – ١٦٦٢ ، ثم وأكمل هذه المهمة ريشيلو للفترة ١٦٢٤ – ١٦٦٢ .

وصارت فرنسا فى فترة حكم لويس الرابع عشر (١٦٦٠ - ١٦٨٥) أكبر قوة فى أوربا حربيًا وثقافيًا.حيث فكر الملك فى الاستيلاء على هولندا بعد وفاة ملك أسبانيا هنرى الرابع فغزاها فى عام ١٦٧٢. إلا أن نفوذها على الدول الغربية يقل فى أوائل القرن الثامن عشر حين تبدأ انجلترا فى الظهور كقوة .

حلت باريس محل روما منذ نهاية القرن السابع عشر كمركز عالمى للفنون التشكيلية . وتغير طراز الفن الفرنسى الذى كان سائداً فى عصر لويس الثالث عشر إلى طراز جديد يميل إلى الكلاسيكية ، فضل الفرنسيون تسميته طراز لويس الرابع عشر عن تسميته بطراز الباروك . وحيث إن طراز لويس الرابع عشر يعكس طراز الباروك الإيطالى بعد تطويره ، لذلك نجد أنه يجدر بنا تسميته الباروك الكلاسيكى .

كانت الكلاسيكية هى طراز البلاط الرسمى فى الفترة (١٦٦٠ - ١٦٨٥) إلا أن جذورها نشأت من التقاليد التى كانت منتشرة فى فن القرن السادس عشر . ومن الجدير بالذكر أن نذكر أنها كانت فى فرنسا أكثر اتصالا بعصر النهضة فى إيطاليا عنها فى بلاد الشمال .

العمارة :

سادت أساليب النهضة فى فرنسا لفترة ١٦٣٠ - ١٦٤٠ ثم أخذ طابع الباروك الإيطالى يظهر تأثيره فى المبانى الدينية .

ويرجع ذلك إلى نفوذ طائفة اليسوعيين الذين رجعوا إلى فرنسا فى عام ١٦٠٣ ، حيث

فضلوا استخدام فئة الرهبان المهندسين المتمرنين في روما ، فى تشييد كنائسهم ، فظهرت تأثيرات من كنيسة القديس بطرس وكنيسة اليسوع ، كما ظهرت عناصر معمارية تذكرنا بالكنائس الباروكية المتأخرة .

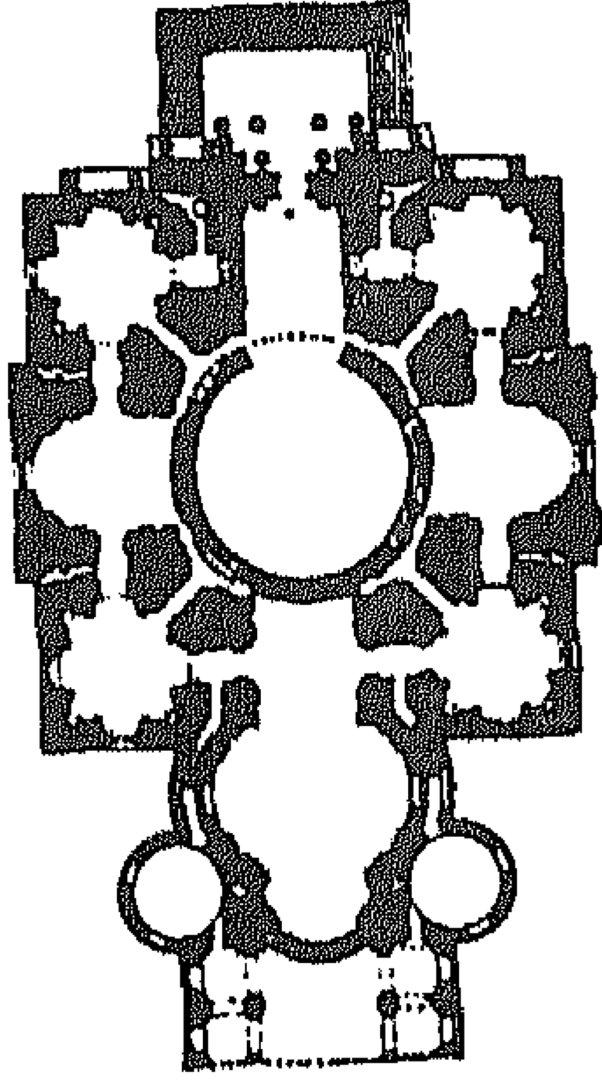
ومن المبانى الدينية التى تجمع بين طراز النهضة وطراز الباروك ، كنيسة الناقهين «Les Lnvalide» (شكل ١٧١) التى صممها « مانسارت «Hardoin Mansart» . وتذكرنا تصميم الكنيسة الذى يعتمد عل شكل الصليب الإغريقى (رسم ز) بتصميم كنيسة القديس بطرس الذى ابتكره « ميكل انجلو » ، كما يتضح التأثير أيضاً فى شكل القبة . إلا أننا نلاحظ أن الواجهة الخارجية يتضح فيها تأثر المهندس بطراز لباروك .

يقل التأثير الايطالى فى المبانى الدنيوية ، فبالرغم من استعانة الحكام الفرنسيين بمهندسين إيطاليين لتصميم مشروعاتهم ، إلا أنها لم تنفذ وأكملها المهندسون الفرنسيون أمثال ليفو « Levau » ، ليبران « Lebrun » وبيرو « Perrault » مما حفظ على فرنسا شخصيتها الوطنية المميزة فى فن المعمار .

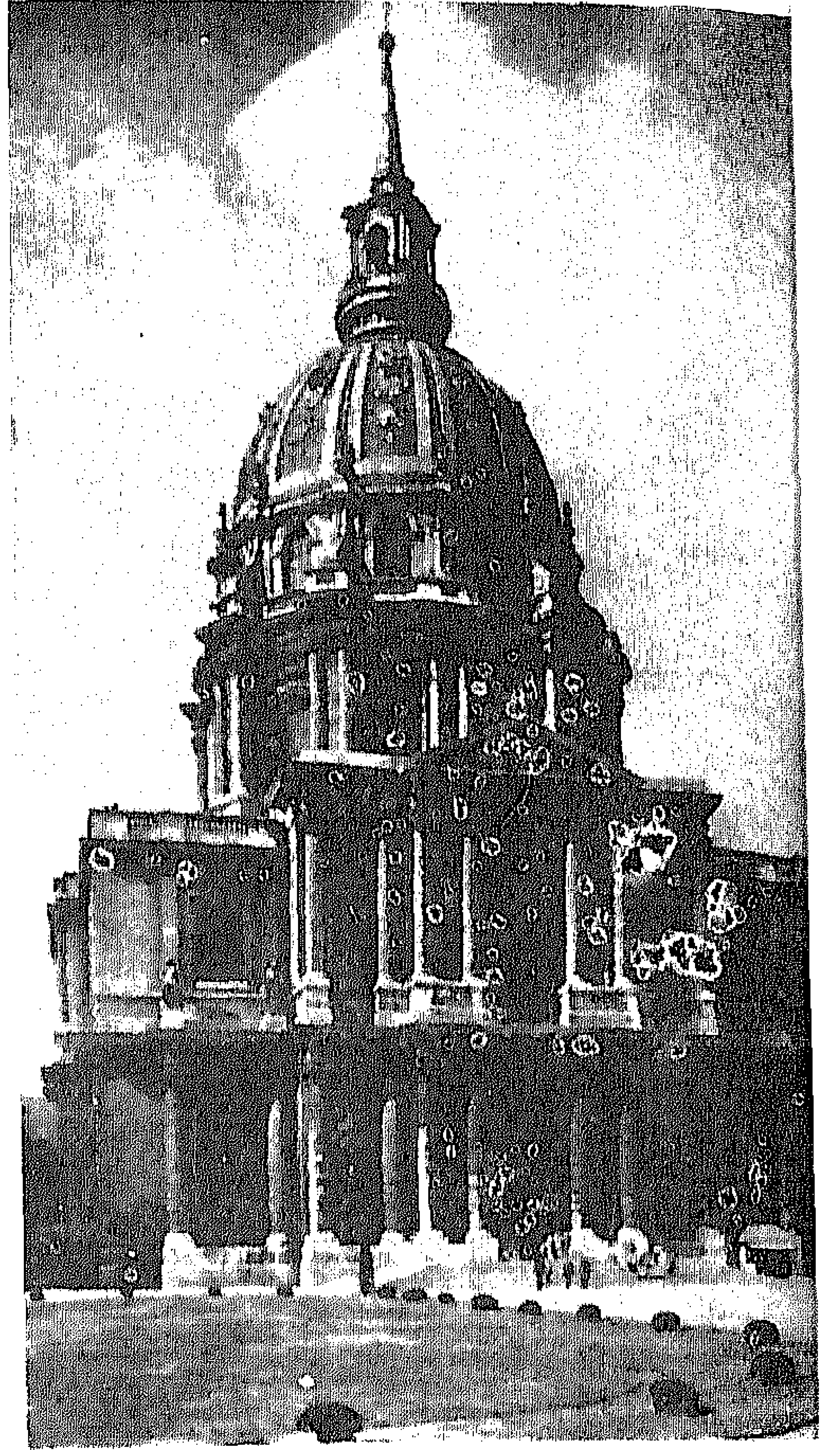
ويرجع الفضل فى كثرة القصور الجميلة الفخمة التى شيدت فى تلك الفترة إلى لويس الرابع عشر وإلى الوزراء ريشيلو ومازاران ، وإلى الثروات الضخمة التى تمتع بها الأفراد . وقام بهذه الأعمال عدد من المهندسين الفرنسيين من أشهرهم ميرسييه (Mercier) الذى شيد قصر ريشيليو فى الفترة (١٦٢٥ - ١٦٣٥) ، وفرنسوا مانسارت (١٥٩٨ - ١٦٦٦) الذى شيد قصر لافيت «Laffite» (شكل ١٧٢) فى الفترة ١٦٤٢ - ١٦٥٠ .

وبعد أن تسلم لويس الرابع عشر الحكم فى عام ١٦٦١ ظهرت فى البلاد نهضة معمارية تحت رعاية الوزير كولبرت «Colbert» ، فاستدعى الملك المثال والمهندس الإيطالى « برنينى » فى عام ١٦٦٥ لتكملة الواجهة الشرقية لقصر اللوفر ، إلا أن لويس الرابع عشر رفض مشروعاته الثلاثة ، وكلف لجنة من « ليڤو » مهندسه الخاص وشارل ليبران مصوره الخاص وكلود بيرو لاتمام هذا العمل . وكان هذا المهندس الأخير يدرس العمارة القديمة قبل البدء فى المشروع .

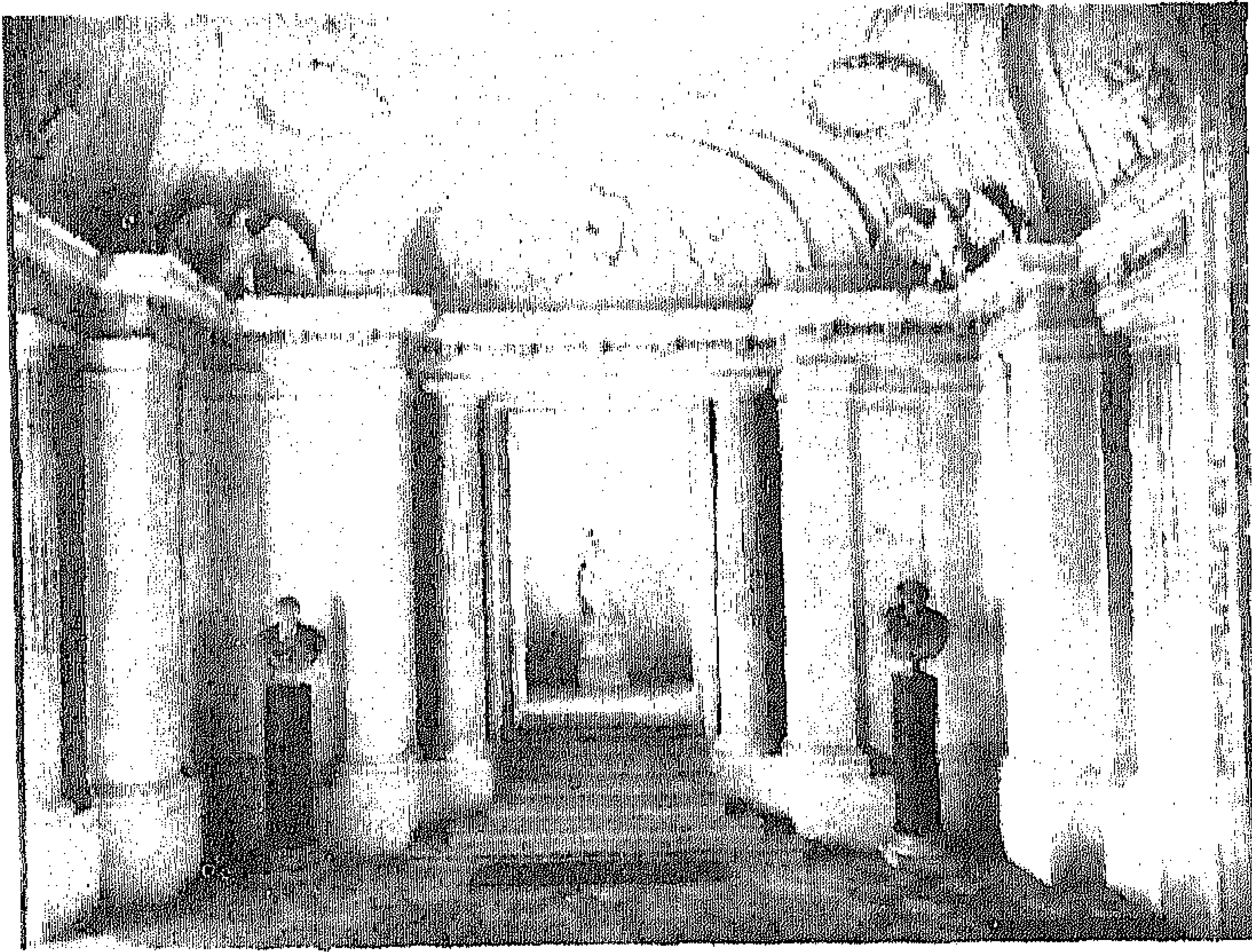
نجح المهندسون فى تكملة تشييد الواجهة فى الفترة (١٦٦٩ – ١٦٨٥) ويتضح فى الطابق الأخير (شكل ١٧٣) الذى صممه بيرو أن به تأثيرات رومانية كلاسيكية . ونتج عن هذا النجاح انتصار الكلاسيكية الفرنسية كطراز ملكى على الباروك الإيطالى . إلا أن هذا الاتجاه لم يستمر طويلا بعد اختفاء بيرو من ميدان العمارة الفرنسية ، حيث بدأت عناصر من فن



(رسم ز) تخطيط كنيسة المادلين
١٦٨٠ - ١٦٩١ .

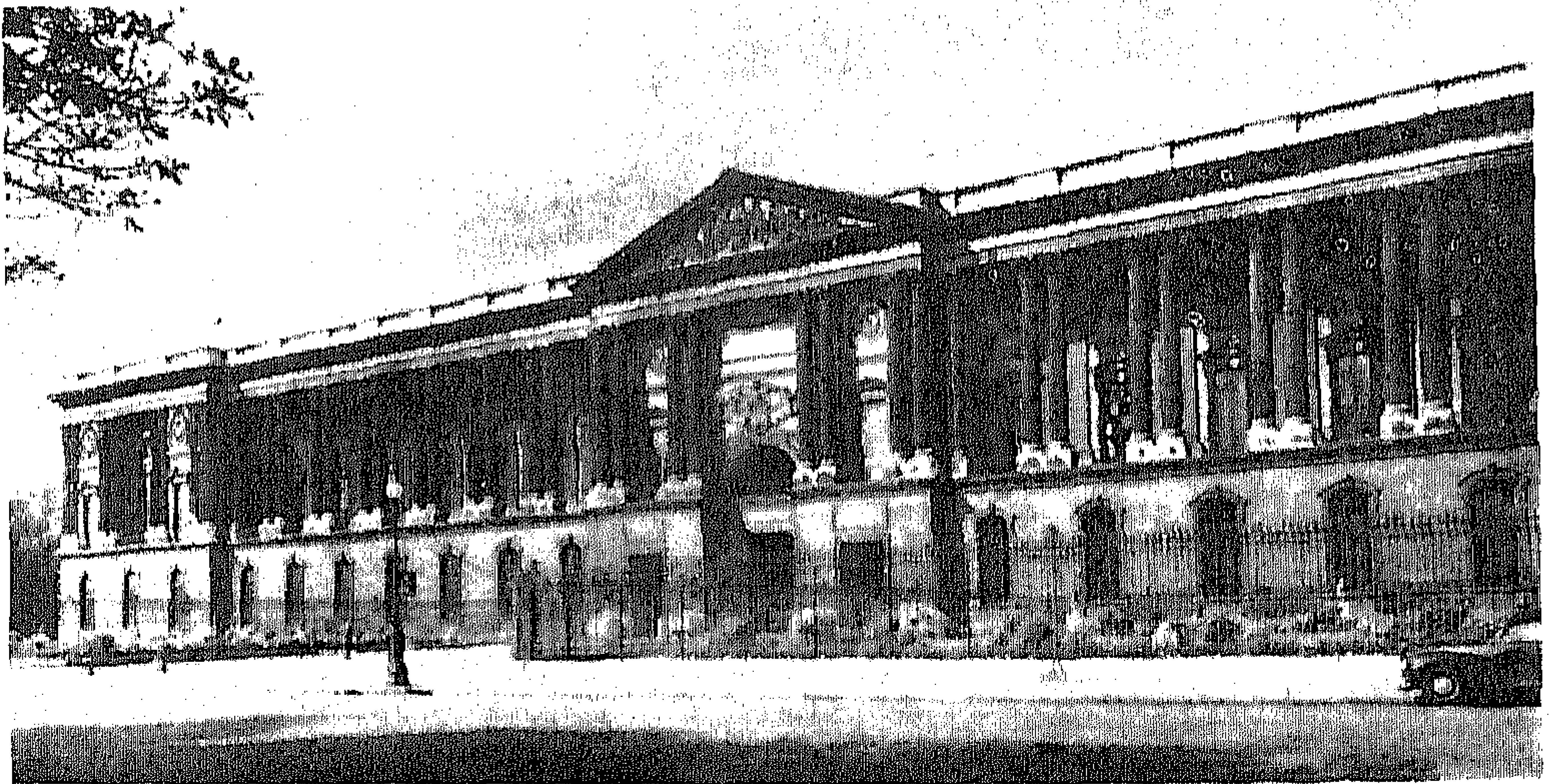


(شكل ١٧١) هاردون مانسار ،
«كنيسة الأنفاليد» ، ١٦٨٠ -
١٦٩١ ، باريس .



(شكل ١٧٢) فرانسوا مانستار ،
« قصرلافيث » ، ١٦٤٢ - ١٦٥٠
باريس .

(شكل ١٧٣) كلـــود بيرو ،
« الواجهة الشرقية لقصر اللوفر » ،
١٦٦٧ - ١٦٧٠ ، باريس .



الباروك تعود إلى الظهور فى قصر فرساى عندما كلف الملك لويس الرابع عشر المهندسين « ليفو » ومانسارت فى تشييد وزخرفة هذا القصر فى الفترة ١٦١٩ – ١٦٨٥ .

بدأ المهندس ليفو بتصميم واجهة القصر إلا أنه توفى بعد عام من تكليفه ، فأكمله المهندس ف مانسارت – قريب مانسارت الكبير – بعد توسيعه ليلائم احتياجات الملك . وكان لويس الرابع عشر لا يهتم بالمحافظة على التصميم الهندسى الكلاسيكى مثل اهتمامه بزخرفة القصر بالحليات الزخرفية الكثيرة والعناصر المعمارية الباهظة التكاليف ، مما نتج عنه ظهور طراز الباروك .

النحت :

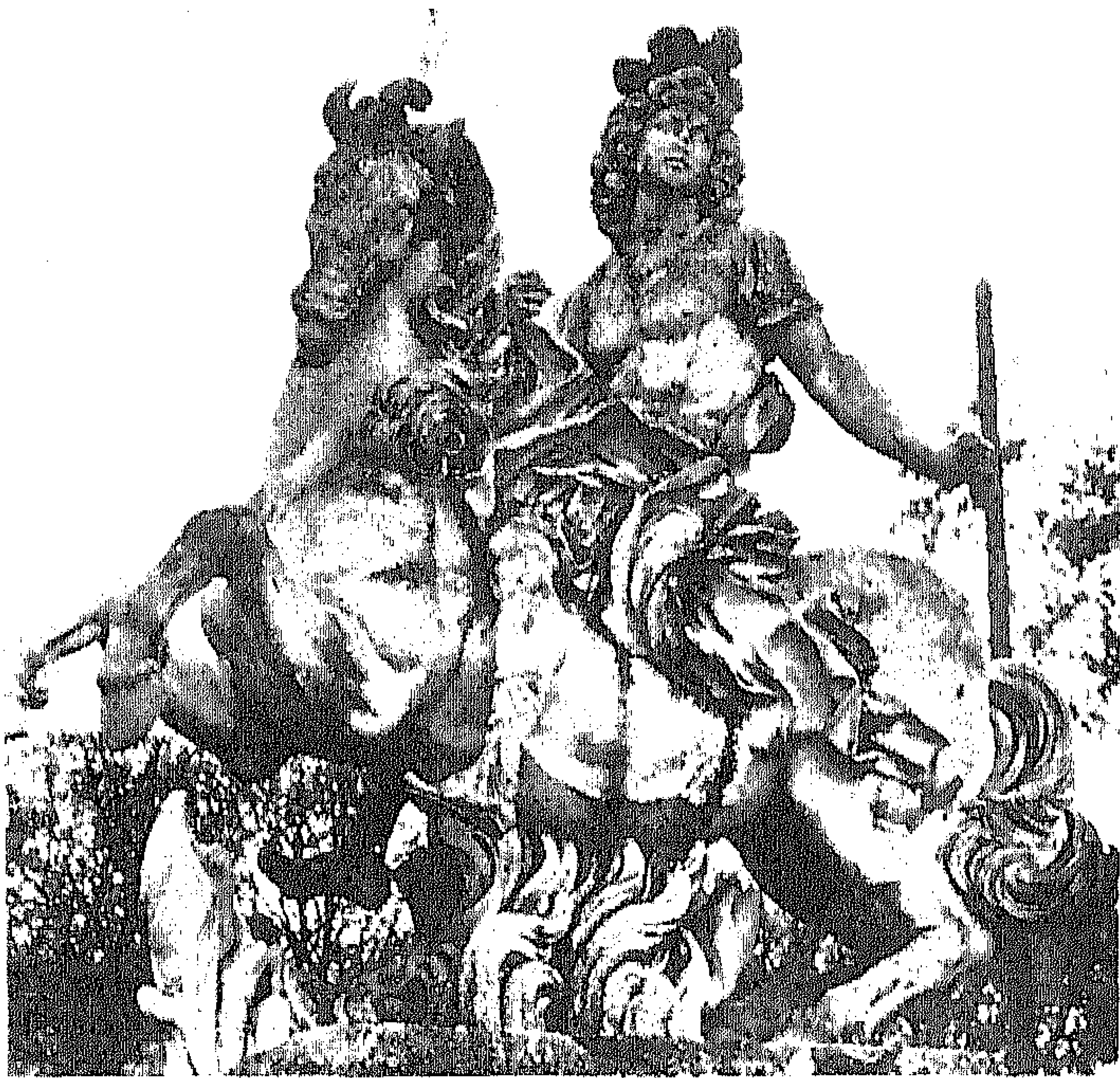
مهد المثال الايطالى « برنينى » أثناء إقامته فى باريس إلى ظهور الطراز الرسمى الملكى فى نموذج تمثال الملك لويس الرابع عشر الذى نحته له (شكل ١٧٤) الا أن الحركة الديناميكية الموجودة فى تمثال الملك وهو ممتط جواده لم تعجب لويس الرابع عشر ، الذى وجد أنها لا تتفق مع مهابته ومجده ، فرفض التمثال .

ولا يمكن معرفة أسلوب التماثيل الملكية التى أقيمت للملك بعد ذلك حيث إنها دمرت فى خلال الثورة الفرنسية التى قامت بعد ذلك . على أننا نتمكن من التعرف على الطراز الفرنسى فى تلك الفترة من المطبوعات والنماذج الصغيرة - ويتضح ذلك فى نموذج (شكل ١٧٥) صنعه المثال فرنسوا جيراردون « F . Cirardon » (١٦٢٨ – ١٧١٥) فى عام ١٦٩٩ – حيث نلاحظ ان المثال كان يسعى إلى إبراز عظمة الملك لويس الرابع عشر . والظاهر أن هذا المثال قد حاز الرضاء الملكى ، حيث نجد أن لوبران المشرف على شئون الفنون بفرنسا فى تلك الفترة قد كلفه بعدة مشروعات لتزيين قصور فرساى واللوفر .

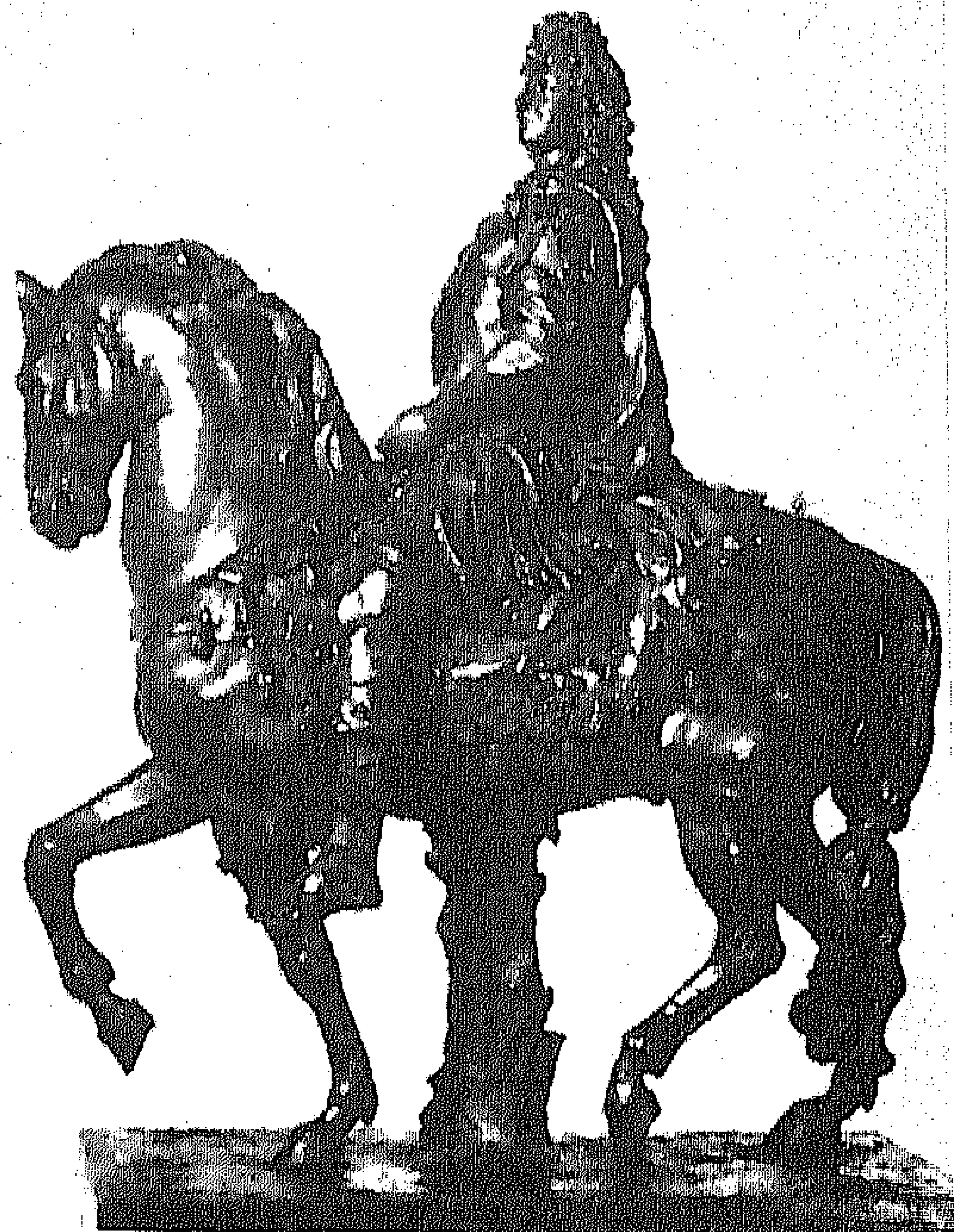
ومنذ منتصف القرن السادس عشر كانت المهمة الرئيسية للمثالين هى زخرفة قصر فرساى والقصور الملكيــة يُظهــر فى أعمالهم إما التأثر بالمثال برنينى او بالأسلوب الكلاسيكى القديم .

ومن المثالين الذين بزغوا فى تلك الفترة أنطون كُويْزو «A. Coyseax» (١٦٤٠ - ١٧٢٠) . وظهرت براعته فى الأعمال التى كلفه بها ليبران فى قصر فرساى حيث زخرف أحد جدارن صالون الحرب بنحت بارز يصور الملك فوق جواده (شكل ١٧٦) .

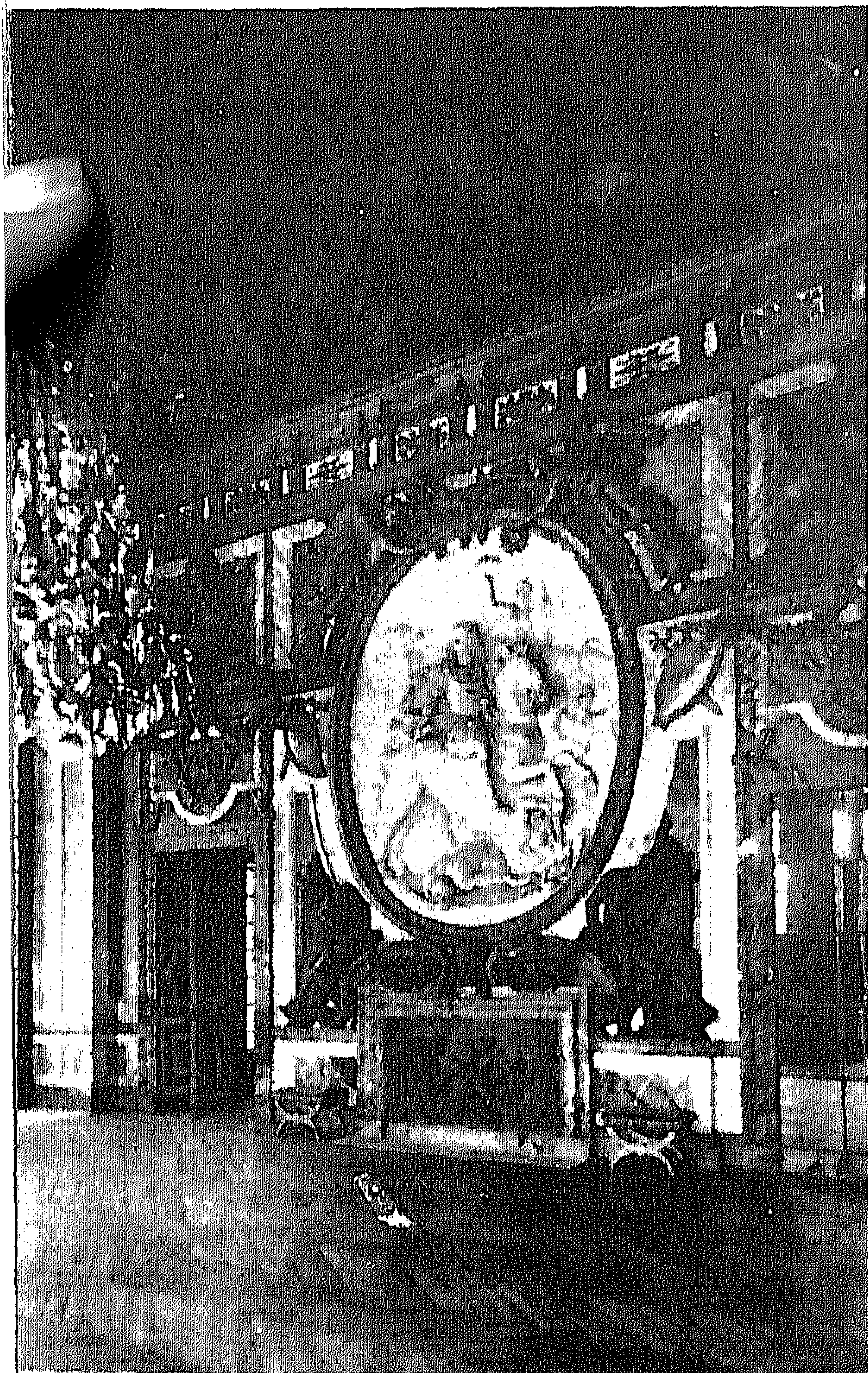
ولقد اشتهر هذا المثال بنحت التماثيل الشخصية ، فنحت فى عام ١٦٨٩ تمثالا واقفاً



(شكل ١٧٤) برنيني ، « نموذج لتمثال الملك لويس الرابع عشر » ، عدله جيراردون ، ١٦٨٨ ، فرساي فرنسا .



(شكل ١٧٥) فرنسوا جيراردون ، « نموذج لتمثال لويس الرابع عشر » ١٦٨٧ ، شمع ، متحف جامعة بيل ، كونكتيكت ، أمريكا .



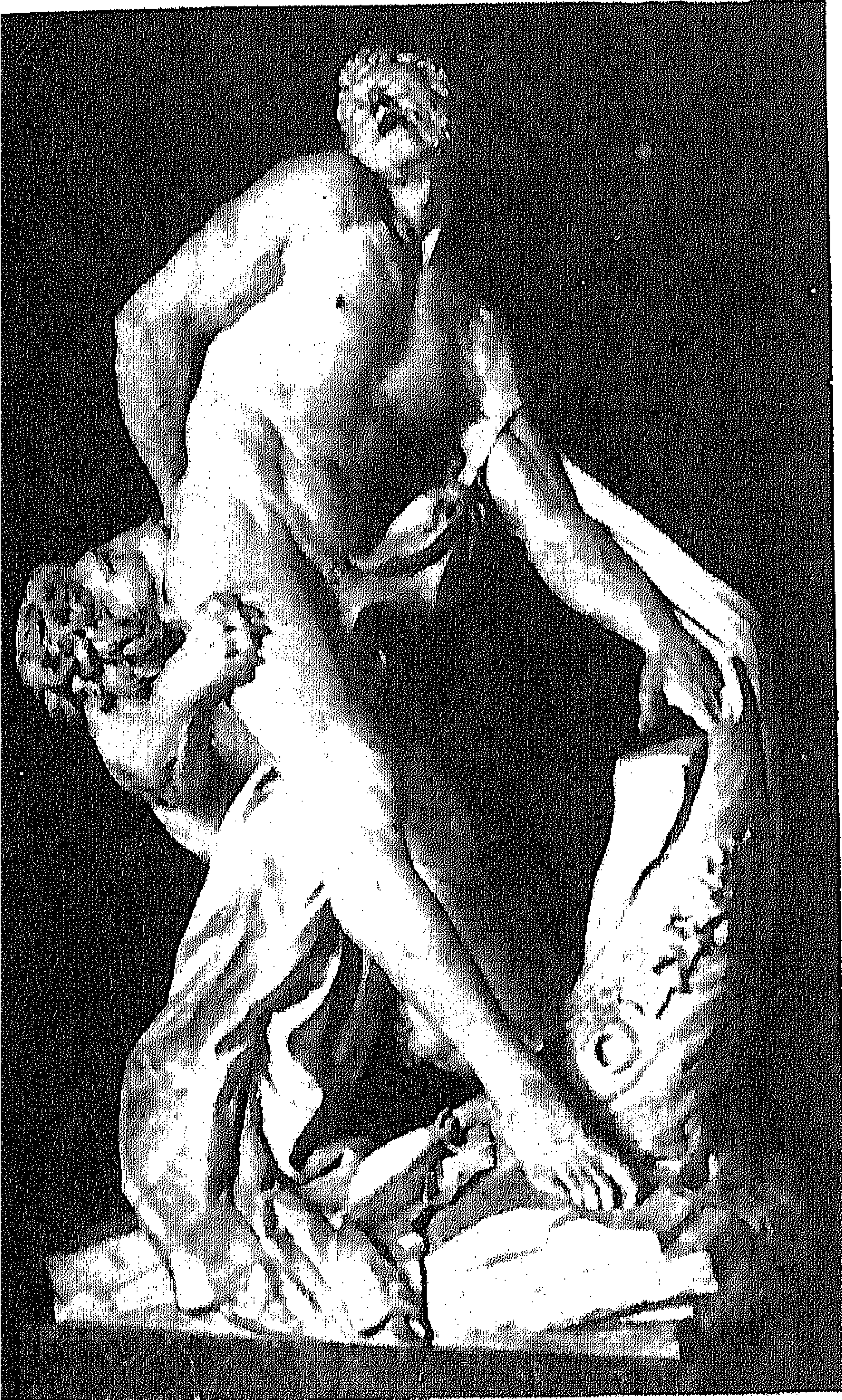
(شكل ١٧٦) كويزوولو بران ، « صالون الحرب » ، بدئ فيه عام ١٦٧٨ ، قصر فرساي ، باريس .

للملك لويس الرابع عشر ليوضع فى مجلس المدينة . ويتضح الأسلوب الباروكى فى تمثال الملك لويس الرابع عشر الذى نحته عام ١٦٨٠ (شكل ١٧٧) وتمثال ليبران الذى نحته عام ١٦٧٦ .

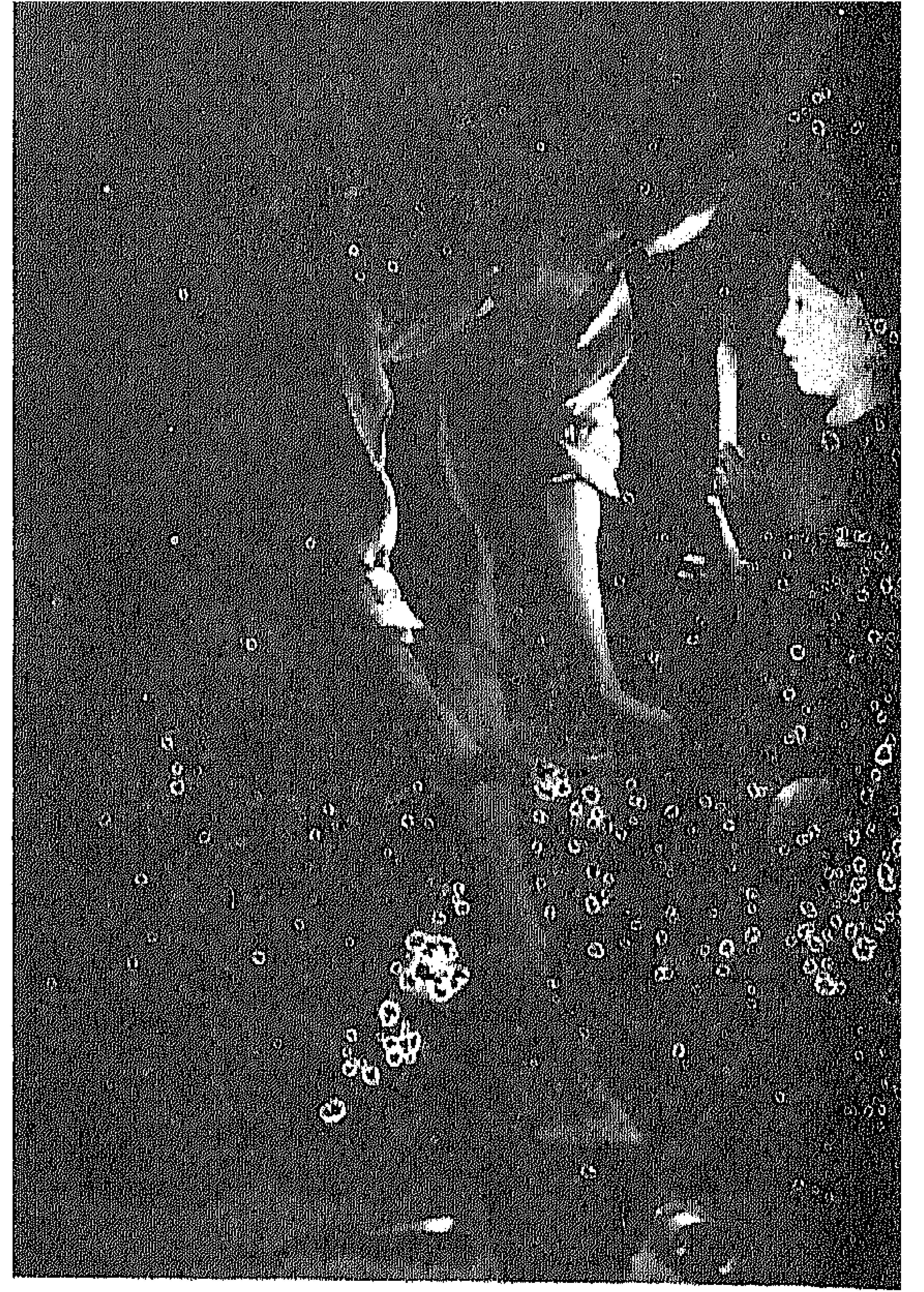
ويظهر طراز الباروك أكثر وضوحاً فى أعمال المثال بيير - بوجيه «P.Puget» (١٦٢٠ - ١٦٩١) الذى لم يبزغ نجمه فى بلاط الملك إلا بعد ضعف سيطرة ليبران على الفنون . ويتضح أسلوب المثال فى تمثـــال كلفه به فوكيه يصور موضوعاً أسطورياً « ميلو من كورتونـا » (شكل ١٧٨) الذى نحته فى الفترة (١٦٧١ – ١٦٨٣) وتصور هذه المجموعة الحركة والانفعال بالألم الذى يشعر به البطل عندما هاجمه الأسد .



(شكل ١٧٧) كويزيفو ، « تمثال نصفى للملك لويس الرابع عشر » ، ١٦٨٠ .



(شكل ١٧٨) بيتر بوجيه ، « ميلو من كورتونا » ، تمثال من الرخام ، ١٦٧١ – ١٦٨٣ ، متحف اللوفر ، باريس .



(شكل ١٧٩) جورج دى لاتور ،
« يوسف النجار » ، ١٦٤٥ ،
متحف اللوفر ، باريس .



(شكل ١٨٠) جورج دى لاتور ،
« إيرين تبكى سباستيان » ، ١٦٥٠
المتحف الأهلى ، دالم ، برلين .

التصوير :

سار التصوير خلال سيطرة كولبرت وزير لويس الرابع عشر على الفنون وفقاً لقواعد فن التصوير الإيطالى . فكان المصورون الفرنسيون الشبان يقبلون على دراسة طراز الباروك الإيطالى واتجه بعضهم إلى تقليد أسلوب المصور كارافجيو ، ومن أبرزهم ديلاتور .

« **جورج ديلاتور** G.Delatour » (١٥٩٣ - ١٦٥٢) :

اشتهر هذا المصور باستلهام الضوء من فتحة موجودة فى أى مكان فى الصورة . ويوضح هذا الأسلوب الذى يعتمد على الفرق بين الضوء والظلال لوحة « يوسف النجار » (شكل ١٧٩) التى رسمها عام ١٦٤٥ وبالرغم من أن الفنان قد رسم صبياً يمسك الشمعة ليضئ المكان بأسلوب واقعى ، إلا أننا نشعر بشىء من الروحانية فى تلك اللوحة . ويتكرر هذا الأسلوب الواقعى فى لوحة « بكاء ابرين على القديس ستيان » (شكل ١٨٠) حيث نلاحظ الواقعية فى الحركات وفى التباين بين الظلام والنور الذى ينبعث من الجهة اليسرى .

لويس لينان Touis Lenain ١٥٩٣ - ١٦٧٠

ومن المصورين الواقعيين الذين اشتهروا برسم لوحات من الحياة الشعبية ثلاثة أخوة يحملون لقب « لينان LeNain» انطون ولويس وماتيو . ولقد كان لويس أبرع الأخوة فاهتم بالموضوعات الريفية والدينية والأسطورية وكان أسلوبه متأثراً بكارافاجيو ، ويوضح ذلك الأسلوب الواقعى الباروكى الذى انتقل من إيطاليا إلى فرنسا لوحة « عائلة ريفية » (شكل ١٨١) . ولوحة « عربة المزرعة »

أخذ طابع فن التصوير يتجه إلى الكلاسكية فى فرنسا فى منتصف القرن السابع عشر . حيث تأثر الفنانون الفرنسيون بالقوانين الكلاسكية التى وضعتها الأكاديمية الملكية التى أنشأها الملك فى باريس فى عام ١٦٤٨ ، حيث كان المثالون المصورون يدرسون بها قوانين الفن وتقاليده وعندما تولى ليبران إدارة هذه الأكاديمية فى عام ١٦٦٣ وضع لها منهاجاً للدراسة فى اختيار الموضوعات التى يتناولها الفنان ، فدرس الفنانون أسلوب رافائيل وأتباعه . كما درسوا أهمية الألوان فى مدرسة البندقية ، إلى غير ذلك من أسس فن التصوير . ومن أهم المصورين الفرنسيين الذين اتجهوا إلى الكلاسيكية المصور بوسان .

نيكولاس بوسان «N.Poussin » (١٥٩٣ - ١٦٦٥)

كان بوسان أول مصور فرنسى اكتسب شهرة عالمية . وأمضى معظم حياته فى روما . بدأ تعلم فن التصوير فى فرنسا على يد أساتذة فرنسيين . ولما اشتهر التحق ببلاط الملكة الأم فى قصر لوكسمبورج فى باريس . وهناك اطلع على رسوم رافائيل وغيره من المصورين الإيطاليين .

وفى عام ١٦٢٤ هاجر إلى روما عن طريق البندقية واستقر هناك بقية حياته باستثناء فترة قصيرة ١٦٤٠ - ١٦٤٢ رجع فيها إلى فرنسا عندما استدعاه الملك لويس الرابع عشر لتزيين قصر اللوفر . التحق بمرسم المصور دومينيكينى ، ودرس أعمال فنانى عصر النهضة الذين اهتموا بتأثير الضوء واللون أمثال تيسيانو وكاراتش . كما اهتم بدراسة أعمال الفنانين الذين اهتموا بدراسة الإنسان أمثال رافائيل وتلاميذه .

ويتضح تأثره بالفنان تيسيانو الذى رسم موضوعات أسطورية ذات ألوان قوية فى لوحة « سيفالوس وأورورا » (شكل ١٨٢) التى رسمها عام ١٦٤٠ . وكان بوسان يختار خلفيات

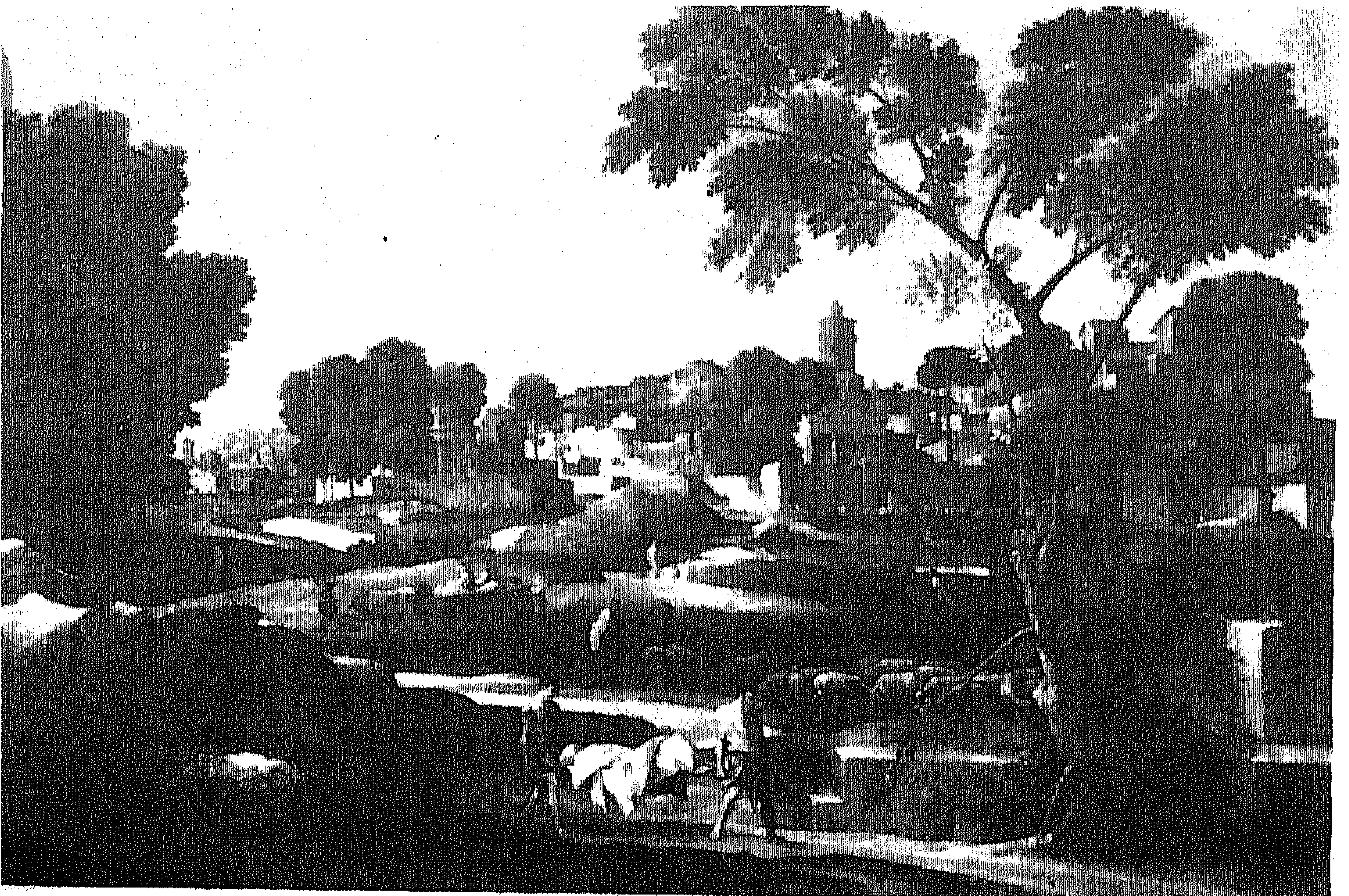


(شكل ١٨١) لويس لونين ، « عائلة ريفية » ، ١٦٤٠ ، متحف اللوفر ، باريس .



(شكل ١٨٢) نقولا بوسان ، « سيفالوس وأورورا » ض ١٦٣٠ ؛ المتحف الأهلى ، لندن .

(شكل ١٨٣) نقولا بوسان ، « دفن فوشيون » ، ١٦٤٨ ، متحف اللوفر ، باريس .



مغمارية كلاسيكية فى موضوعاته ، ويتضح ذلك فى لوحتى « الهجوم على نساء سابين » التى رسمها عام ١٦٣٦ - ١٦٣٧ . و« دفن فوشيون التى رسمها عام ١٦٤٨ (شكل ١٨٣)

ولقد ساهم بوسان فى تصوير المناظر الطبيعية وأوضح فيها العمق ، كما أكسبها شاعرية هادئة ، ويتضح ذلك فى لوحاته .

كلودلورين «C.Lorraive» (١٦٠٠ - ١٦٨٢)

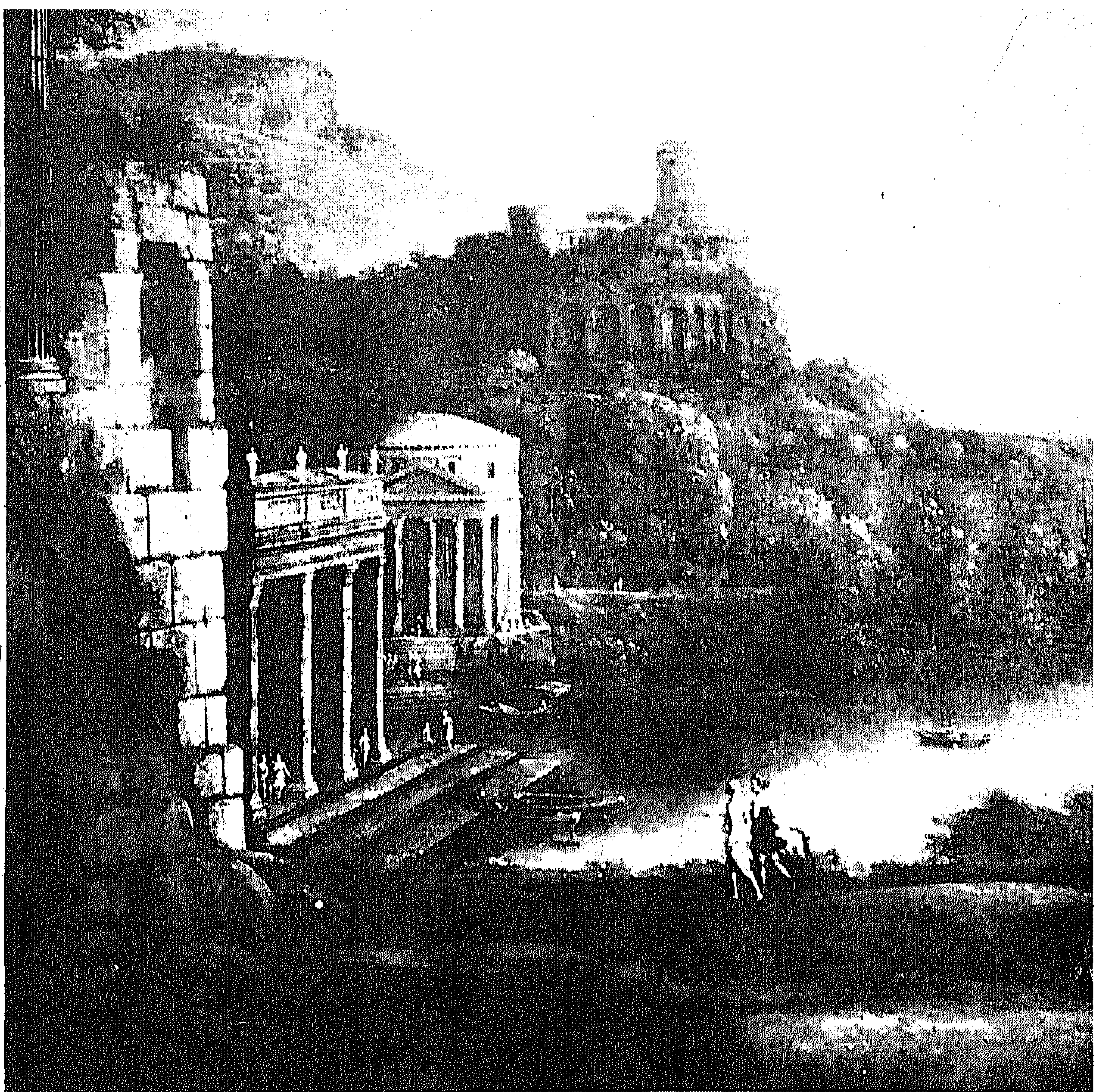
ومن المصورين الذين اشتهروا بتصوير المناظر الطبيعية المصور لورين . ولقد أمضى هذا الفنان أغلب حياته فى روما دارساً مستكشفاً البيئة الطبيعية المحيطة به ، ورسم عدة لوحات من الطبيعة الإيطالية خاصة فى الصباح ابكر ، وعندما تغيب الشمس مما مكنه من التأثير بالأضواء والظلال . ومن أجمل لوحاته (الحورية إيجريا) Egeria (شكل ١٨٤) التى رسمها عام ١٦٦٩ ، وطرد هاجر (شكل ١٨٥) التى رسمها فى نفس الفترة

إلا أن القوانين التى سيطرت على الفنون فى النصف الثانى من القرن السابع عشر لم تخرج لنا فنانين مشهورين ، وانقسم الدارسون إلى فريقين ، فريق يدافع عن يوسان الذى فضّل الخط على اللون فى لوحاته ، وفريق يناصر مذهب لورين الذى يفضل تأثير اللون على الاهتمام بالخط .

ولم ينته ذلك الجدال إلا بموت لويس الرابع عشر فى عام ١٧١٥ حيث ضعفت دكتاتورية الأكاديمية ، وانتشر أسلوب روبنز وفنانى البندقية فى كل مكان ، وسجل انتصار الفنانيين المنحازون لتأثير اللون ظهور المصور واتو .

انطوان واتو «A.Waheau» (١٦٨٤ - ١٧٢١)

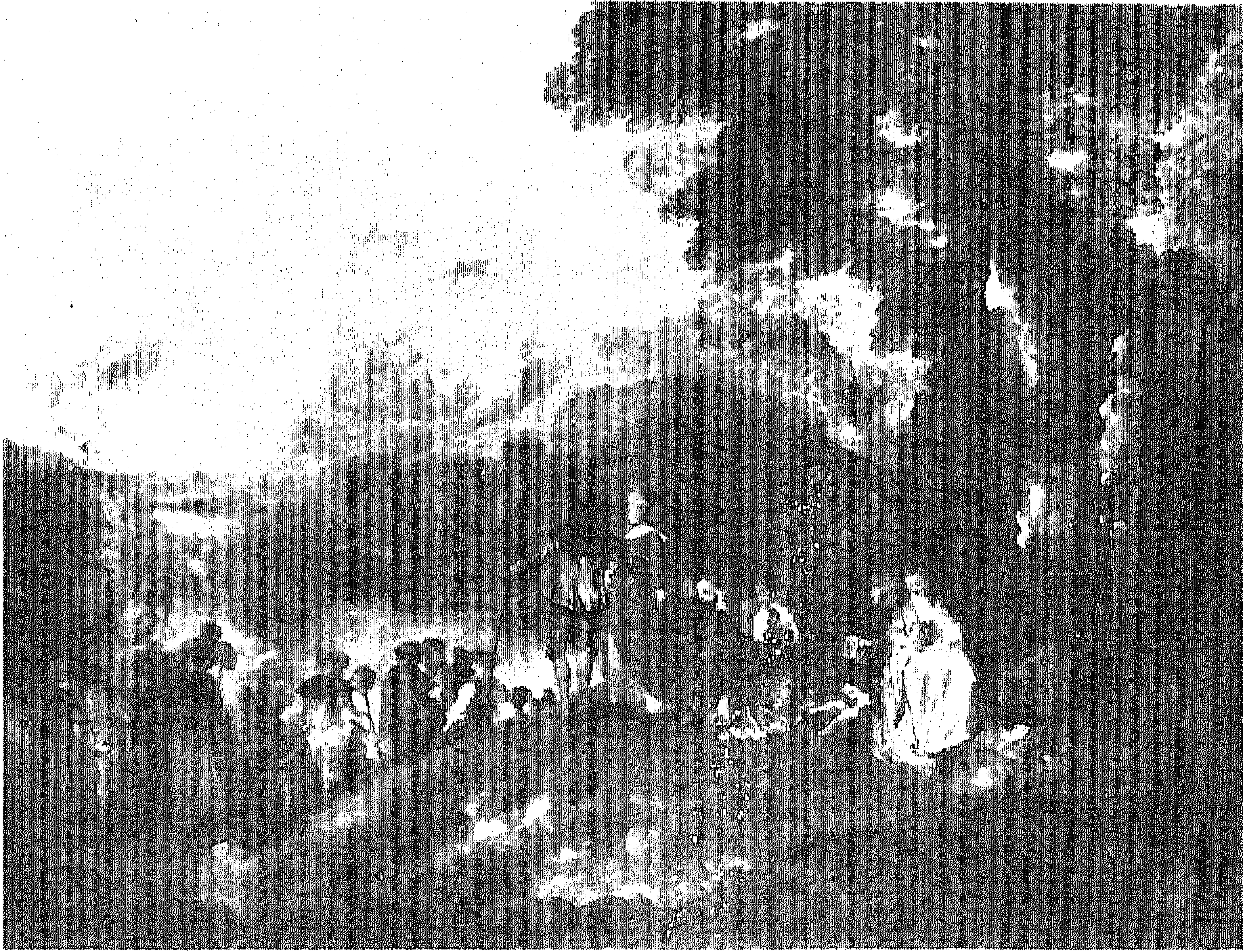
التحق واتو بالأكاديمية الملكية وقدم لوحة بعنوان « رحلة إلى كيثيرا Pilgrimige ot Cy theral » (شكل ١٨٦) إلى الأكاديمية أثارت ضجة كبيرة فى الأوساط الفنية لمعارضتها لجميع قوانين الأكاديمية . حيث سجل واتو فى هذه اللوحة صورة لمجموعة أشخاص من المجتمع الفرنسى تحتفل بيوم خلوى بين أحضان الطبيعة . ويتضح فى هذه اللوحة الأسلوب المسرحى الذى أراد أن يبرزه الفنان فى التهكم على المجتمع الفرنسى . ويعتبر فن واتو الذى يختم فن التصوير فى القرن السابع عشر بداية التطور فى طراز الفن والمجتمع الفرنسى ، حيث ظهر اتجاه جديد فى الفن تخلص من الأسلوب الأكاديمى وعرف باسم طراز لويس الخامس عشر أو طراز الركوكو .



(شكل ١٨٤) كلود لورين
« الحورية ايجيريا فى منظرخلوى »
١٦٦٩ ، المتحف الأهلى ، نابولى



(شكل ١٨٥) كلود لورين ،
« طرد هاجر » ، ١٦٧٠ متحف
بيناكوتيك . ميونيخ .



(شكل ١٨٦) أنطوان واتو ، « رحلة إلى كيثريا » ، ١٧١٧ ، متحف اللوفر ، باريس .

الفصل الخامس

طراز الباروك فى انجلترا

مقدمة تاريخية :

استمر طراز الفن القوطى المتأخر محتفظاً بنفوذه فى انجلترا لفترة طويلة امتدت حتى القرن السادس عشر ، مما سبب فى تأخر ظهور طراز النهضة فى هذه البلاد . الا أن المصورين الألمان والبلجيكيين والإيطاليين الذين استدعاهم الملك هنرى الثامن للعمل فى بلاطه نشروا أسس طراز النهضة فى إنجلترا ، لذلك ظهرت فى تلك الفترة مبانى خليط من الفن القوطى ومن طراز النهضة المستورد .

العمارة :

كان أول المساهمين فى تطوير العمارة الإنجليزية المهندس اينيجو جونز Lnlgojones (١٥٧٣ - ١٦٥٢) وكان ذلك بعد زيارته لإيطاليا فى الفترة ١٦٠٠ - ١٦١٣ ، ويتضح ذلك

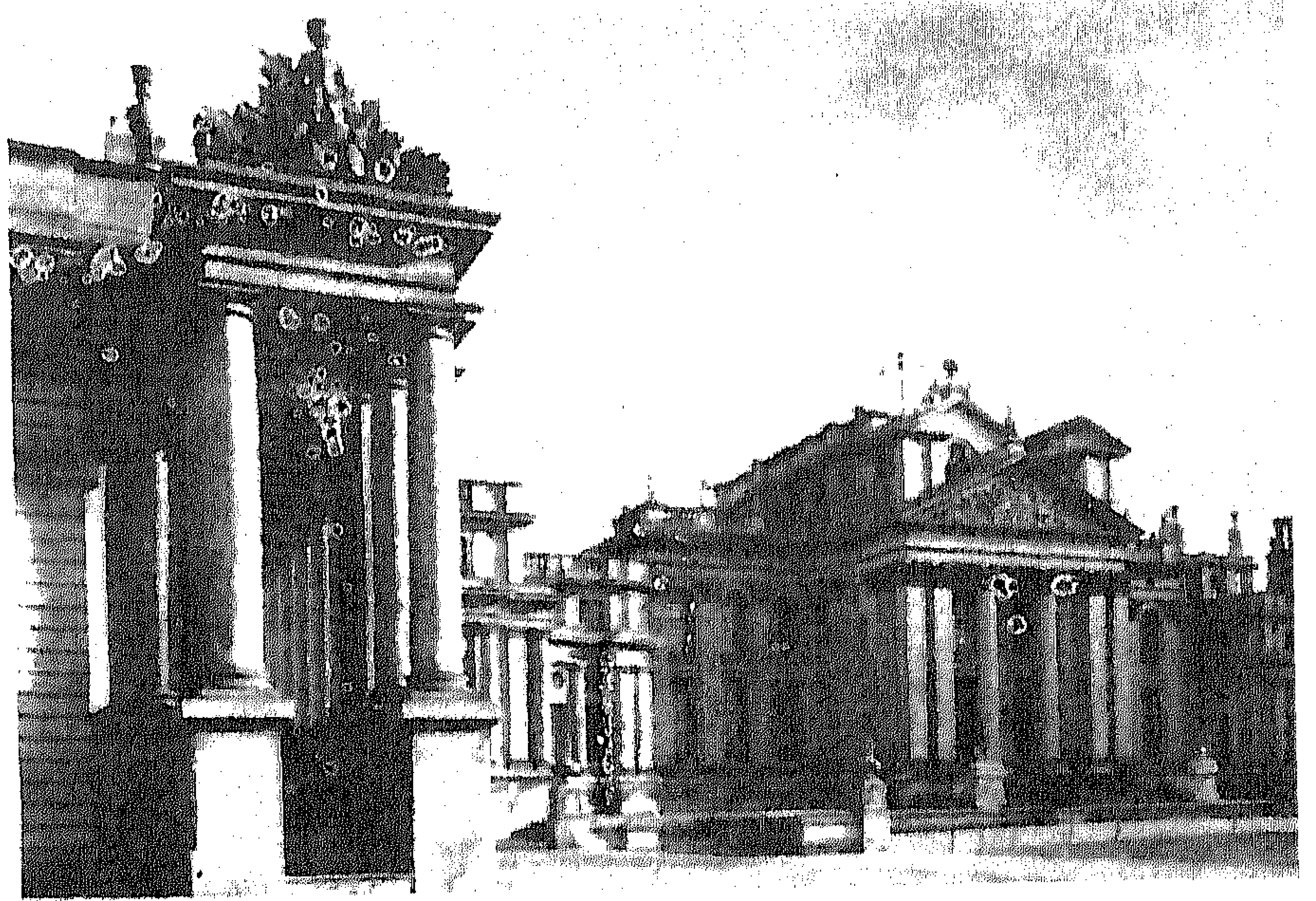


(شكل ١٨٧) سير كريستوفر رن ، « واجهة كاتدرائية القديس بولس بلندن » ، ١٦٧٥ – ١٧١٠ .

فى مبنى « الهوايت هول White Hall » الذى شيده فى الفترة ١٦١٩ - ١٦٢٢ . وأكمل مرحلة التطوير المهندس كرستوفر رين Ghristopher Wren أشهر معمارى القرن السابع عشر ويتضح ذلك فى كتدرائية القديس بولس فى لندن (شكل ١٨٧) التى شيدت فى الفترة (١٦٧٥ - ١٧١٠).

درس كرستوفر العلوم والرياضيات وعلم الفلك وعلم التشريح ، وكان معجبا بنظريات العالم نيوتن . قام بزيارة باريس فى الفترة التى قام فيها الخلاف على تصميم واجهة اللوفر ، ومن المحتمل انه اضطلع على التصميمات التى قام بها المهندس بيرو للواجهة الشرقية واعجب بها . حيث نلاحظ ترديد لعناصر من تلك الواجهة فى واجهة كنيسة القديس بولس . كما تظهر ملامح من كنيسة القديس بطرس فى هذه الكنيسة ايضاً .

انتشرت عناصر من طراز الباروك الايطالى فى أنحاء انجلترا واحسن مثال على ذلك نجده فى قصر « بلنهيم » (شكل ١٨٨) الذى بدأ المهندس سيرجون فانبرخ John Vanbrugh فى تشييده عام ١٧٠٥ م .



(شكل ١٨٨) سيرجون فان بروج ، « قصر بلنهايم » ، أوكسفورد تشاير . بدئ فى تشييده ١٧٠٥ .

التصوير :

ظهر طراز جديد لفن التصوير فى إنجلترا فى أوائل القرن الثامن عشر متأثراً بطرازى الباروك والركوكو اللذان ظهرا فى أعمال المصورين واتو ، بوشية وفراجونار ، وكان أول من مارس ذلك فى الأسلوب المصور هوجارت الذى اهتم بعرض مشاكل المجتمع فى أسلوب ساخر .

ويليام هو جارث «William Hogarth» (١٦٩٧ - ١٧٦٤)

بدأ ويليام هوجارث منذ عام ١٧٣٠ يتناول موضوعات تعرض نزوات الطبقة المتوسطة فى انجلترا - ، ويتضح ذلك فى لوحة « الزواج العصرى » (شكل ١٨٩) التى رسمها عام ١٧٤٥ . وصور رسم فيها مجموعة من الأشخاص داخل حجرة يمارس كل منهم عمل لا يتصل بالاشخاص الآخرين . وكان هذا المصور أول فنان فى تاريخ الفنون يمارس النقد اللاذع للمجتمع عن طريق التصوير . وبالاضافة إلى هذه اللوحات التى تميز بها نجد أنه مارس الصور الشخصية لسيدات ورجال المجتمع الانجليزى .

ولقد كان تصوير اللوحات الشخصية المصدر الرئيسي للرزق بين المصورين الإنجليز . واختلف أسلوبهم عن أساليب المدارس المعاصرة فى أوربا ومن ابرز مصورى الشخصية الإنجليز الفنان جينزبرو ورينولدز .

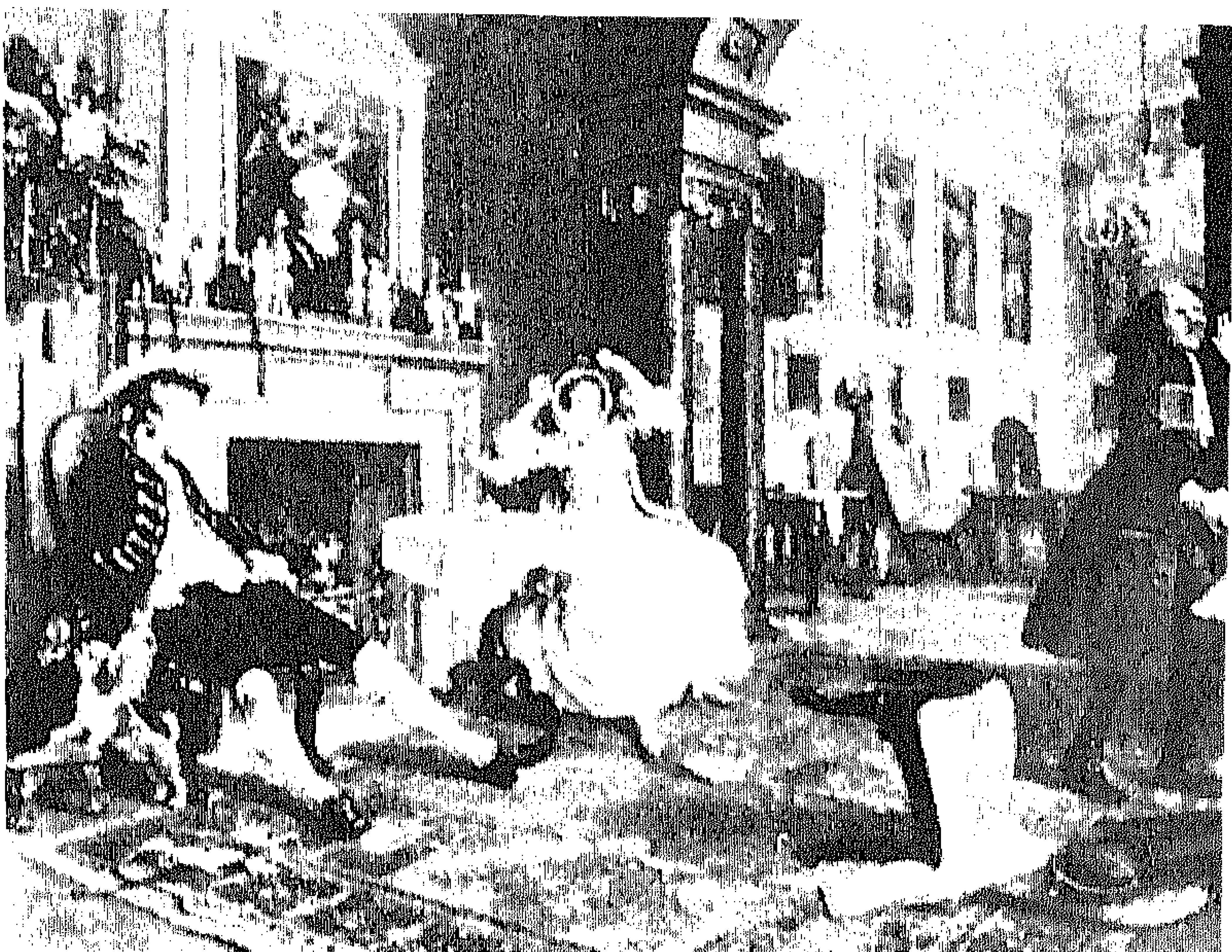
جينزبرو توماس « جينزبرو «Thom.Gainsboborough» (١٧٢٧ - ١٧٨٨)

كان لنشأته الريفية صدى فى إنتاجه الأول ويتضح ذلك فى لوحة « الذهاب إلى السوق » (شكل ١٩٠) التى رسمها عام ١٧٦٩ ، ثم مالبث أن صار أهم مصور للصور الشخصية فى انجلترا . وبالرغم من أنه كان متأثراً بالمصور فان دايك ، إلا أن أشخاصه تبدو أقل تكلفاً ، كما تتميز ألوانه بصفاء أكثر .

ومن أحسن لوحاته الشخصية «صورة السيدة شيريدان [**لوحة ملونة رقم** ١٦] التى رسمها عام ١٧٨٣ . كما أن ميله لتصوير مناظر من الريف الإنجليزى كان يتضح فى الخلفيات الطبيعية التى تظهر فى لوحاته الشخصية .

جوشوا رينولدز Sir Joshua Reynoids (١٦٢٣ - ١٧٩٢)

شغل منصب مدير الاكاديمية منذ إنشائها عام ١٧٦٨ واستمر فيها لمدة عشرون عاماً ، كما كان يصور البلاط الملكى والطبقة الارستقراطية الإنجليزية منذ عام ١٧٨٩ .
يفضل رسم لوحات تاريخية إلا أننا نجد أن إنتاجه فى اللوحات الشخصية كان غزيرا ، وكان يضع عامين ، وكان متأثراً بأسلوب فان دايك فى الاهتمام برسم نسيج ثياب أشخاصه . ولو انه كان يفضل رسم لوحات إلا أننا نجد أن إنتاجه فى اللوحات الشخصية كان غزيراً ، وكان يضع شخصياته فى خلفيات من الحدائق .



(شكل ١٨٩) وليم هوجارت ، « الزواج العصرى » ، ١٧٤٥ .

(شكل ١٩٠) توماس جينزبره ، « الذهاب إلى السوق » ، ١٧٦٩ ، مجموعة كلية هولوواى ، صارى ، إنجلترا .

ومما لا شك فيه ان لوحاته التى توضح الشخصيات النسائية مثل صورة « السيده سيدونز (شكل ١٩١) التى رسمها عام ١٧٨٤ يبدو فيها جمال ارستقراطى هادئ . كما أن الاطفال فى لوحاته تتميز ببراءة ورقة طبيعية ويتضح ذلك فى لوحة السيدة « كوكبرن » (Cokburn) (شكل ١٩٢) التى رسمها عام ١٧٨٥ . ولقد رفع رينولدز بمجهوداته من شأن فن التصوير فى انجلترا مما دعا جامعة أكسفورد إلى أن تنعم عليه بدرجة الدكتوراه الفخرية .



(شكل ١٩١) سير جوشوا رينولدز ، « السيدة سيدونز » ، ١٧٨٤ ، مكتبة ومتحف هنتبجتون ، سان مارينو ، كاليفورنيا .



(شكل ١٩٢) سير جوشوا رينولدز ،
« السيدة كوكبورن وأولادها » ،
١٧٨٥ .

البَابُ الخامِسُ



طراز الرّوكوكو



تمهيد :

ظهرت فى القرن الثامن عشر فى أواخر حكم الملك لويس الرابع عشر بوادر ظهور طراز فنى جديد يختلف فى مظاهره الفنية عن طراز الباروك الذى ساد فى أوروبا فى أعقاب عصر النهضة .

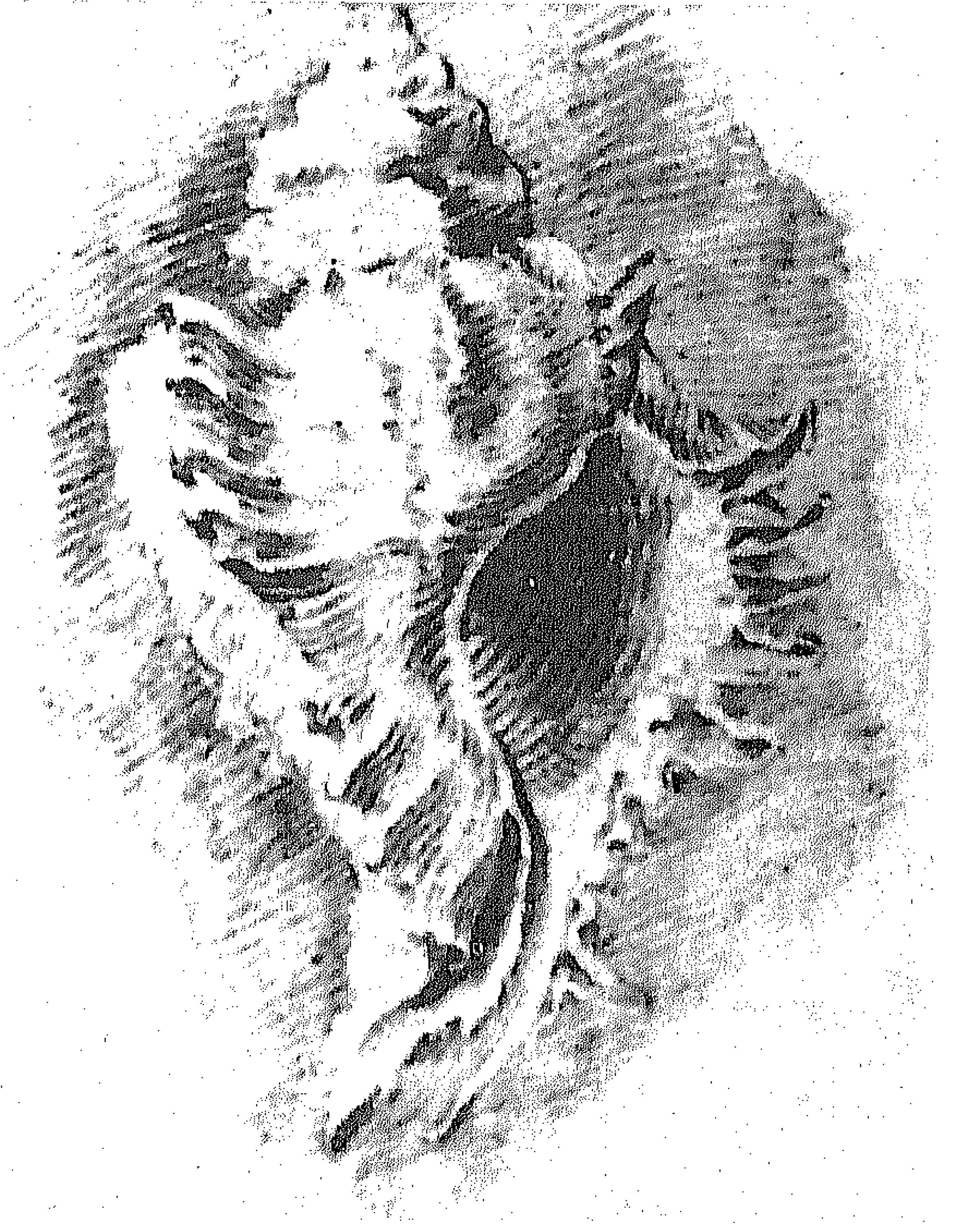
ويرجع الفضل فى هذا التغيير إلى الاسلوب المبتكر الذى ابتدعه المصور « واتو » فى أعماله التى تعتبر بمثابة تحول كبير فى أسلوب الفن إلى وجهته الجديدة . ولقد استمر هذا الطراز الذى دعى بعد ذلك باسم « روكوكو » (Rococo) مزدهرا فى ألمانيا وفرنسا بصفة خاصة ، واختفى من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ . ولفظة « روكوكو » مستمدة من كلمة الصدفة (Rocaille) الغير منتظمه الشكل ذات الخطوط المنحنيه (رسم ح) التى ساعدت على تشكيل الزخارف لشائعة فى ذلك العصر .

العمارة :

بدأ انتشار هذا الطراز بعد وفاة لويس الرابع عشر فى عام ١٧١٥ حيث هُجر قصر فرساى ، وفضل النبلاء الاقامة فى باريس بدلا من العودة إلى قصورهم العظيمة فى الريف ، فشيدوا منازل لهم عرفت باسم « هوتيل » (لوكاندة) ، مثل لوكاندة سوبيز وماتينيون . وبدلاً من الاهتمام بالواجهات الارستقراطية التى نشرها ليبران ، اهتم النبلاء بزخرفة منازلهم من الداخل . ولقد لبى المهندسون الزخرفيون هذه الطلبات وابتكروا طرازاً جديداً تعتمد زخارفه على شكل الصدفة عرف باسم (الروكوكو) (أو طراز لويس الخامس عشر) . ويتضح هذا الأسلوب فى الزخارف الداخلية قاعة الأميرة فى لوكاندة (سوبيز) (شكل ١٩٣) ولقد عم هذا الطراز فى ميادين التصوير والنحت وفى الأثاث وما شاكله .

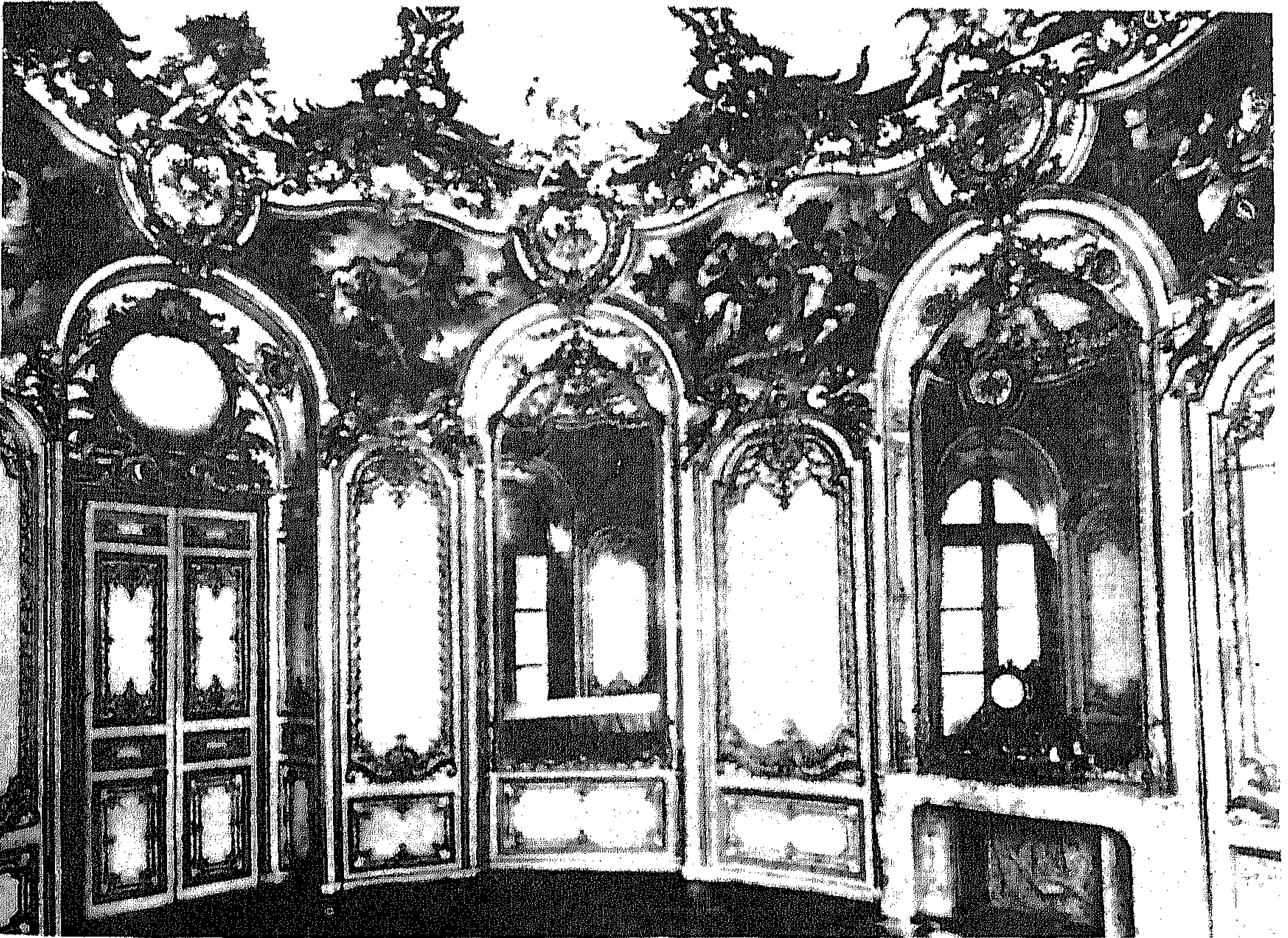
التصوير :

كان اهتمام المصورين فى تلك الفترة موجة إلى رسم موضوعات تصور حياة المجتمعات- الارستقراطية بحفلاتها . أو موضوعات تدور حول المرأة . . وكان واتوه هو الراعى بالنسبة لهذه الموضوعات ، واتبع أسلوبه عددا كبيراً من المصورين أشهرهم بوشيه وفراجونار .



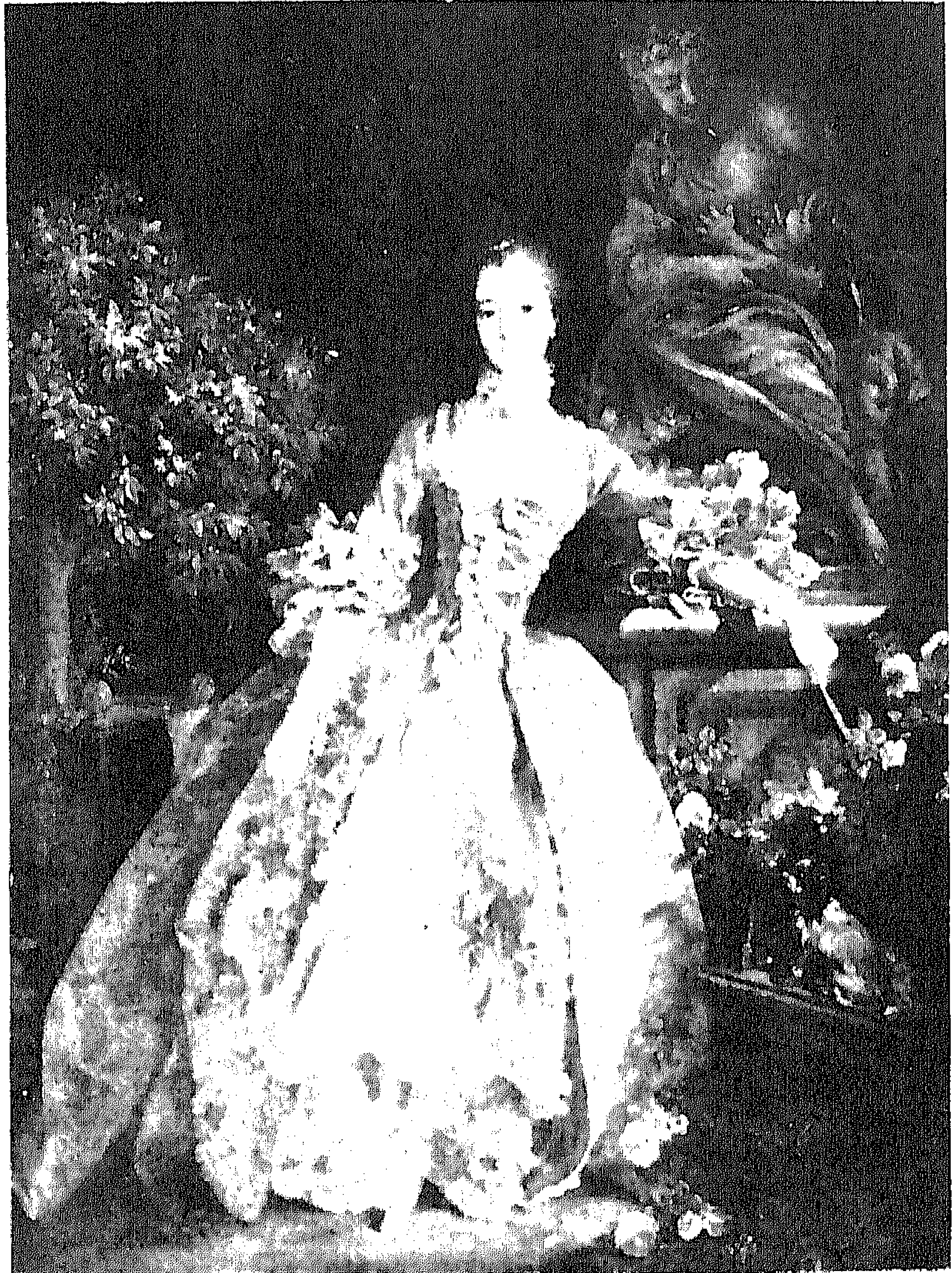
(رسم ح)

(شكل ١٩٣) جرمين بدفورد ،
« قاعة الأميرة » ، أوتيل سوبيز ،
١٧٣٥ — ١٧٤٠ ، باريس .



فرنسوا بوشيه Françás Boucher (١٧٠٣ - ١٧٧٠)

كان « بوشيه » عضواً فى الأكاديمية كما شغل منصب مدير مصانع جوبلان ، وصار المصور الرئيسى لبلاط الملك اويس الخامس عشر ، نشر فكرة زخرفة أسقف قاعات قصور النبلاء ، وزخرف قصر فرساى وقصىو فونتينبلو ، وكان مغرماً برسم موضوعات تصور نساء فى خلفيات طبيعية ويوضح ذلك لوحة مدام بومبادور (شكل ١٩٤) ، كما رسم الإلهة فينوس بكثرة حتى يرضى رغبته فى رسم أجسام النساء وهى عارية . . ويوّضح ذلك لوحة ميلاد فينوس ، (شكل ١٩٥) التى رسمها عام ١٧٥٤ .



(شكل ١٩٤) فرنسوا بوشيه ، « مدام دى بومبادور » . لندن .



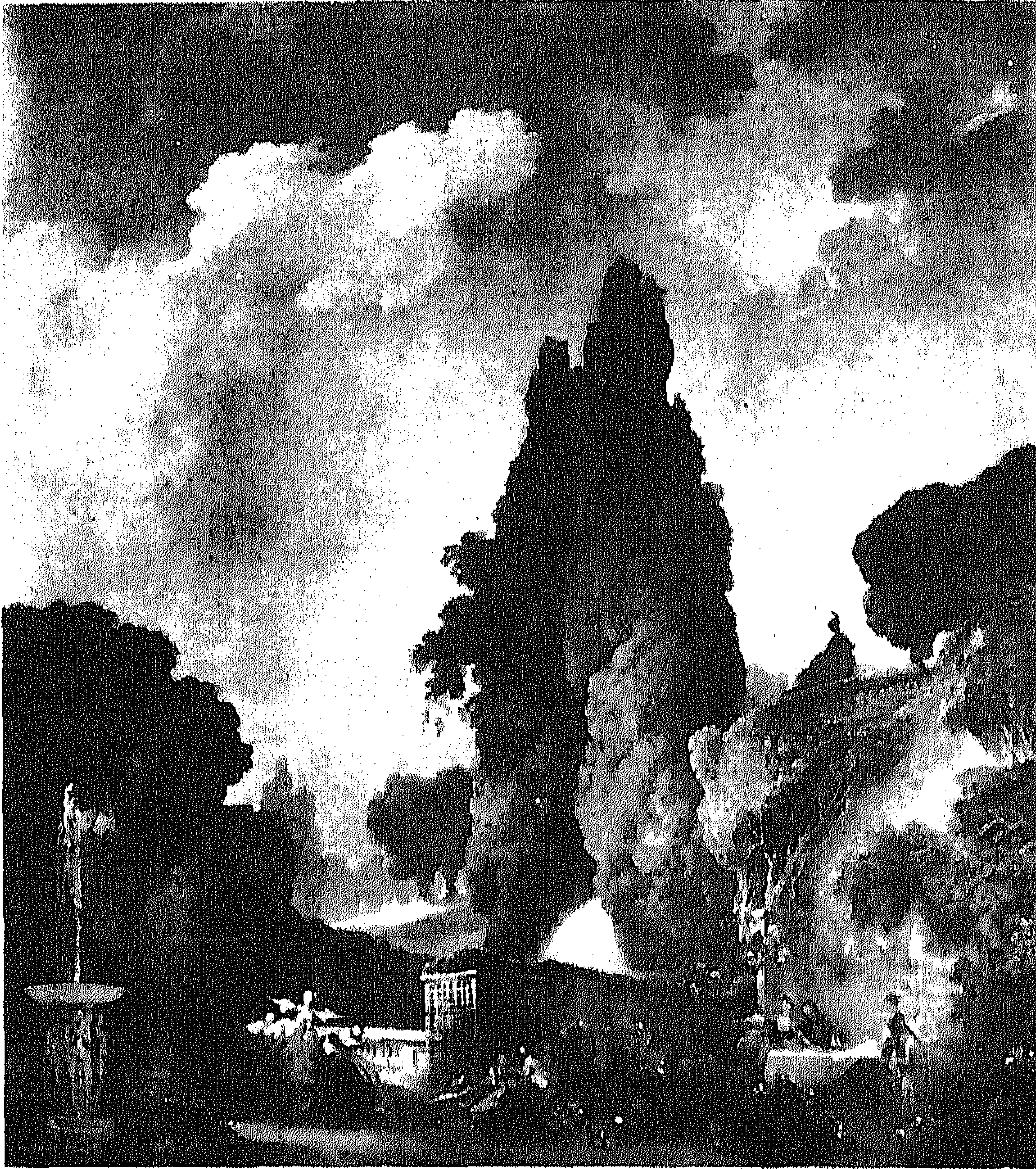
(شكل ١٩٥) فرنسوا بوشيه ،
« ميلاد فينوس » ، مجموعة والاس ،
لندن .

جان هونوريه فراجونار J.H.Fragonard (١٧٣٢ - ١٨٠٦)

يعتبر فرجونار من اشهر مصورى مذهب الروكوكو تتلمذ على يد شاردان وبوشيه ، كما تأثر بالمصوران واتو وتيبولو .

ذهب إلى روما عام ١٧٧٦ ، ثم عاد ثانياً إلى باريس . . وتعكس لوحاته موضوعات ناعمه ، ويتضح ذلك فى « لعبة الرجل الأعمى » (شكل ١٩٦) التى رسمها فى عام ١٧٧٥ . وتتميز ألوانه بالنقاء . وكانت صلته بمدام بومبادور صديقة الملك لويس الخامس عشر سببا فى تكليفه بأعمال كثيرة لبلاط الملك والنبلاء . ورسم عدة صور شخصية لها . ولمدام دوبارى ، ويتضح أسلوبه الرقيق الناعم فى لوحة (الطفل) (شكل ١٩٧) .

ومن مصورى تلك الفترة الذين اتجهوا إلى توضيح الحياة اليومية بدلا من الموضوعات الارستقراطية المصوران « شاردان » و « جريز » .



(شكل ١٩٦) أونوريه فراجونار ،
« لعبة الرجل الأعمى » ، ١٧٧٥ ،
المتحف الأهلى للفنون ، واشبخطن .



(شكل ١٩٧) أونوريه فراجونار ،
الطفل

ج . ب شاردان J.BS.Chardin (١٦٩٩ - ١٧٧٩) :

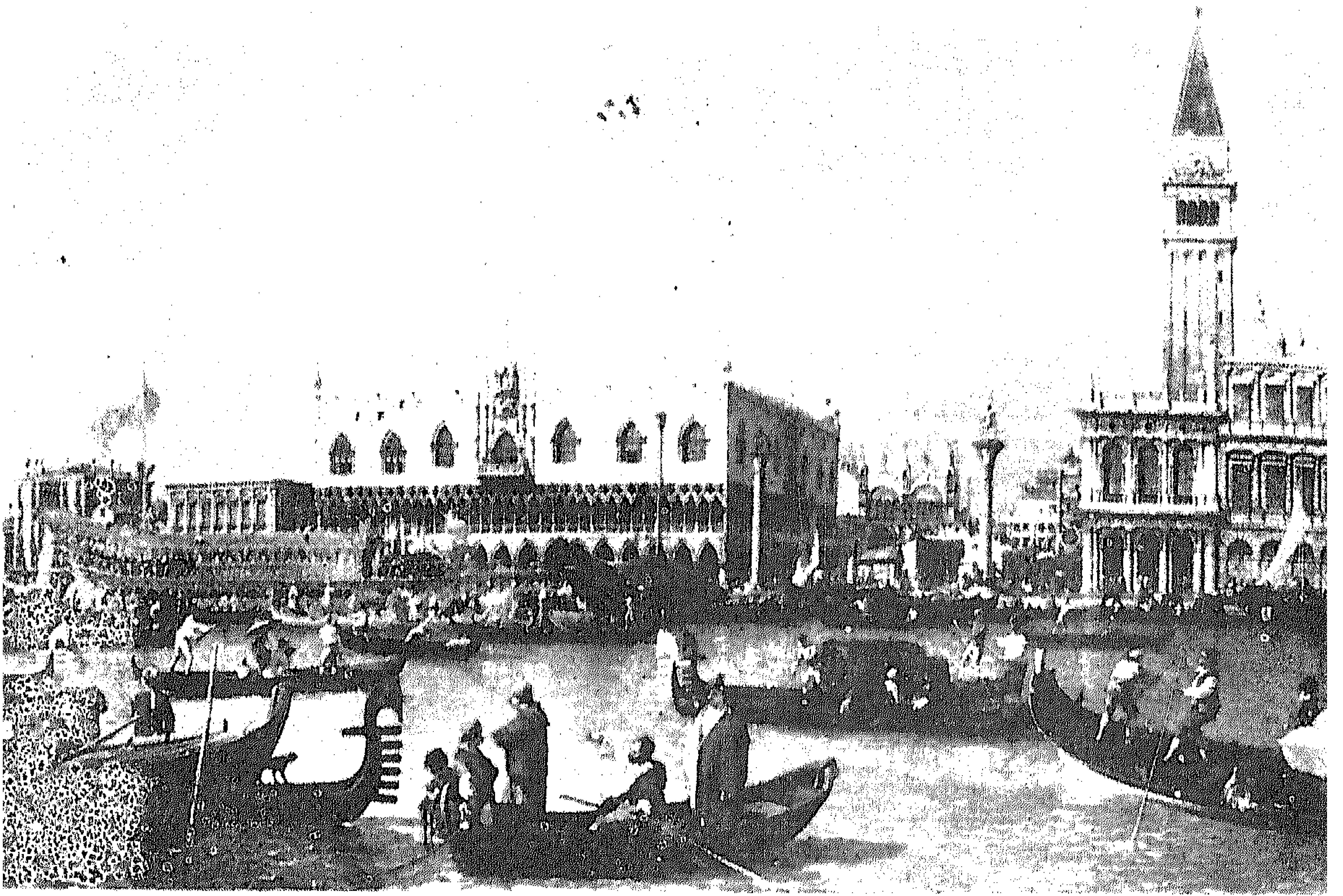
اهتم شاردان بتسجيل موضوعات واقعية تدور حول حياة المرأة العادية فى داخل المنزل . وهى تعدّ الطعام مثلا (فتاة تقشر الخضار) (شكل ١٩٨) ، أو تقوم بترتيب منزلها وما شاكل ذلك من الموضوعات اليومية . وكان فى رسمه لهذه الموضوعات يشعرنا بالجمال الموجود فى الحياة البسيطة .

كما أنتج الكثير من اللوحات التى تصور الطبيعة الصامتة تميزت بالدقة والمهارة . وكان من نتيجة ذلك أن أختير فى الأكاديمية . كما رسم لوحات شخصية بالطباشير اه ولزوجته .

ومن المصورين الذين ازدهروا فى إيطاليا فى القرن الثامن عشر مصوراً البندقية كانالتو وجواردى وقد تميزا بأسلوب خاص فى تصوير طبيعة البندقية .



(شكل ١٩٨)
جان باتست سيمون شاردان ، «تحضير الطعام»



(شكل ١٩٩) جيوفانى كاناليتو ،
« البندقية » ، ١٧٢٨ — ١٧٣٠ ،
متحف قصر وندسور ، لندن .

جوفانى كانال (كاناليتو) C.A.Canale (Canaleho) (١٦٩٦ - ١٧٦٨) :

نشأ فى البندقية وتخصص فى رسم لوحات عن مدينته الجميلة أظهر فيها دقة متناهية فى توضيح التفصيلات المختلفة .ويتضح ذلك فى لوحة البندقية (شكل ١٩٩) التى رسمها عام ١٧٢٨ . وعندما أقام فى لندن لفترة أعجب الإنجليز ببراعته المتناهية فى تلوين السماء والماء .

فرنشيسكو جواردى Fr.Guardi (١٧١٢ - ١٧٩٣) :

كان جواردى من مصورى البندقية البارعين إلا أن شهرته فى تلك الفترة لم تصل إلى شهرة زميله كاناليتو ولم يتعرف العالم على منزلته الا فى عصرنا هذا . وكانت الموضوعات التى صورها

هى الموضوعات التى طرقها زميله والتى تصور البندقية ، إلا أن أسلوبه يتميز بحرية أكثر وتتضح مهارته فى تصوير الضوء والظل الذى ينعكس على المياه فى إحدى لوحاته (قناة كاناريجيو) (شكل ٢٠٠) .

ولقد امتدت هذه الأساليب إلى الفنون الحرفية أيضاً وظهرت طرق فنية خاصة بالأثاث فى فترتى حكم لويس الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر كما زاد الاهتمام بالقطع الفنية التى تزين بها المنازل . كالمرايا والساعات . . إلخ . إلا أن الاهتمام بهذه الفنون يقل فى القرن التاسع عشر بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

(شكل ٢٠٠) فرانشسكو جواردى ،
« قناة كاناريجيو » ، البندقية .



المراجع العربية

١ – حسن محمد حسن : مذاهب الفن المعاصر

٢ – دكتور عفيف بهنس : تاريخ الفن والعمارة ، المطبعة الجديدة بدمشق ١٣٩١ – ١٩٧١

٣ – محمد عزت مصطفى : دقة الفن التشكيلي ، دار المعارف ١٩٦٤ . الجزء الأول عصر النهضة .

ترجمة « » : كيف تفهم التصوير من جيوتو إلى شاجال تأليف ليونيللو فينتورى . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

٤ – دكتور ماهر كامل : الجمال والفن ، مكتبة الأنجلو المصرية .

المراجع الأجنبية

1 — The Praeger Picture Encylopedia of Art, F. A. Praeger, Newyork, Washington
2 — Art and Man Kind. Larousse Encyclopedia of Byzantine and Medieval Art. Prometheus Press. Newyork.
3 — Art and Man Kind. Larousse Encyclopedia of Renaissance and Baroque Art. Paul Hamlyn. London.
4 — Landmarks of the World's Art, The Medieval World. Paul Hamlyn London.
5 — Landmarks of the World's Art. Man and the Renaissance. Paul Hamlyn London.
6 — Landmarks of the World's Art. The Age of Baroque. Paul Hamlyn.
7 — Anthony Bertam, Florentine Sculptue, Studio Vista 1969, London.
8 — David Bindman, European Sculptue, Studio Vista 1970 London.
9 — Erwin O. Christensen. A. Pictorial History of Western Art, Mentor Book 1964 Newyork.
10— Friedlander Max. Landscepe, Portrait, still Life.
11— Gombrich E. H. Norm & Form stndies in the art of the Renaissance, Phaidon London and Newyork.
12— Kenneth Clark : Looking at Pictures John Murray London.
13— Rolando Fusi : Les Mervelles de Florence Bonechi Ed. Editore. Firenze
14— Sarah Newmeyer : Enjoying Modern Art Mentor Book 1963.
15— Janson H. W. : History of Art, Harry N. Abrams, Inc, Newyork.
16— Juan Ainaud : Romanesque Painting, The Viking Press New york.
17— Wolfflin Heinrich : Prinsciples of Art History, Doven Publications Inc. Newyork.
The Art of the Italian Renaissance, Schocken Books Newyork.

رقم الإيداع	١٩٧٦/٥٦٧٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٦ - ٥٩٣ - ٠

١/٧٦/٢٣٦ مطابع دار المعارف - ١٩٧٦



نعمت إسماعيل علام

بدأ اهتمام المؤلفة بدراسة تاريخ الفنون فى أثناء تدريسها لمادة التربية الفنية فى المعاهد العالية التابعة، لوزارة التعليم ، حيث لاحظت خلو هذا الميدان من أساتذة متخصصين فى دراسة هذا التراث الفنى المرتبط بحضارات الشعوب ، فسافرت إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٤ والتحقت بكلية الآداب بجامعة نيويورك وحصلت على الماجستير فى عام ١٩٦٦ .

وبعد عودتها إلى أرض الوطن ثابرت على تدريس هذه المادة .

ومؤلفة هذا الكتاب تشغل حاليًا منصب أستاذ تاريخ الفنون بكليتى التربية الفنية والفنون الجميلة بجامعة حلوان . كما تقوم بتدريس هذه المادة فى كلية الآثار بجامعة حلوان . ولاهتمامها بمعرفة كل جديد فى هذا الميدان كان لها نشاط ملحوظ فى مؤتمرات الفن العالمية التى اشتركت فيها ممثلة لمصر أو لجامعة حلوان .

ولقد سبق أن نشرت لها دار المعارف ثلاثة مؤلفات تبحث فى تاريخ فنون الشرق الأوسط منذ العصور البدائية حتى العصور الإسلامية .







